دراسة نقدية عبر الأدب الروائي العبري

إسرائيل

بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي

دكتور

عبد الرازق سيد سليمان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : إسرائيل بين الفناء والوجود
ودعم الشتات اليهودي

المؤلف : د. عبد الرازق سيد سليمان

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٩٧١٧

الطبعة الأولى ٢٠١٣



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨ ﴾
[الأعراف]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى روح شريكة حياتي ومشواري أسكنها الله فسيح جناته :

الحاجة الدكتورة / ليلى فاروق

وأتمنى من الله أن يتقبل هذا العمل «علمًا نافعًا واهبًا ثوابه إلى روحها الطاهرة ، وقد عاشت معي معاناة إتمام هذا العمل . وشاء الله أن تكون في لحظات خروجه للنور في مكان أفضل في جنات الخلد إن شاء الله » .

شكر وتقدير

خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور ، وأخص بالشكر تلميذتي الباحثة المخلصة والصحفية الأستاذة/ سهرة قاسم محمد (باحثة دكتوراه علوم سياسية) ولها مشاركة هامة .

وكذلك الباحث المتميز والمؤلف الجاد في الشأن الإسرائيلي الأستاذ/ خالد سعيد (باحث دكتوراه دراسات إسرائيلية) وله جهد مشكور .

والشكر كل الشكر لمكتبة جزيرة الورد والأستاذ/ فتحي هاشم والشكر الخاص للأستاذ / عبد الفتاح بشار ولمساته الفنية والإخراج الممتاز ، وفقهما الله لخدمة القارئ العربي وقضايا مصر والوطن العربي.

والشكر والتقدير للمساندة الجادة من أسرتي وأبنائي وأحفادي . كريمتي أسماء حرم العقيد/ لؤى الدين وأحفادي أحمد ، أدهم وآسر ونجلي الرائد أحمد وحرمه هدير وحفيدتي يارا . بارك الله فيهم ولهم .

تقديم

عندما كانت هذه الدراسة فكرة مغروسة في العقل والوجدان ، عبارة عن رغبة قوية في تقديم صورة وافية وواضحة وموثقة عن المجتمع الإسرائيلي المحدود المساحة وعدد السكان والمقومات في قلب المجتمعات العربية الواسعة والمأهولة بالسكان ، وكان الهدف تقديم صورة من خلال وثائق معرفية أدبية من صلب هذا المجتمع وبأقلام كتابه المشهورين بكتاباتهم الوثائقية والواقعية ، فالأدب يمثل واحدًا من أهم وأوثق السجلات المعرفية التي يمكن الاستناد إليها في جلب المعلومات عن التكوينات والثقافات المختلفة عن مجتمع ما من المجتمعات ومن هنا فإن المجتمع الإسرائيلي يمثل صورة مختلفة عن المجتمعات الأخرى لأنه يضم خليطًا من جميع الثقافات المهاجرة من المجتمعات الأخرى فالمصري؛ يعيش في تل أبيب بثقافته المصرية ولغته التي تربى عليها وكذلك العراقي والروسي والألماني والإيراني وغيرهم .

ومن خلال متابعتي لأقسام اللغة العربية بالجامعات العبرية نجد اهتمامًا كبيرًا بأدباء العرب ودراسة المجتمعات العربية من خلال أعمالهم ، فعلى سبيل المثال ، هناك دراسات وافية عن مجتمعاتنا المصرية والعربية من خلال أدب الأديب المصري العالمي وصاحب نوبل «نجيب محفوظ» ودراسة كل تفاصيل المجتمع المصري وهناك رسائل علمية ماجستير ودكتوراه في أدبه وأدب وأعمال أدباء آخرين ، ومن هنا كان اختياري لأدباء إسرائيليين يمثل إنتاجهم وأعمالهم تشريحًا للمجتمع الإسرائيلي بهذا الأسلوب . فالأديب أهارون ميجيد من مواليد بولندا ويشعر بالغربة في إسرائيل ويقول إنه لا يزال محسوبًا على الشتات البولندي ويقول : إن اليهودي في أي بلد في العالم هو يهودي فقط ولكنه في إسرائيل يهودي بولندي ويهودي مصري وعراقي وأمريكي وهكذا ..

ويقول عن الصهيونية : «إنها ولدت من الخطيئة ، وأنها لم تكن حركة لتحرير الشعب اليهودي كما كانت تعتقد ، لكنها كانت حركة لقمع شعب آخر هو الشعب العربي ،

وجرائمها لم تبدأ بالاحتلال عقب حرب يونيو ١٩٦٧ والإخفاق في إعادة الأراضي المتنازع عليها لأصحابها الأصليين ، وسحق سكان هذه الأرض بكل قسوة لكنها ومنذ أيامها الأولى قامت بارتكاب السرقة والطرد والانتهاك والقمع كما مارست الخداع للسيطرة على الأراضي التي لا تملك الحق فيها » .

ويعد هذا انحيازًا للحق الفلسطيني وضرورة إنهاء الاحتلال الظالم كما وصفه ويقول أيضًا : «في الواقع أنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين ، ونتحدث مع من يختارونهم ، إذا اختاروا أشخاصًا من منظمة التحرير الفلسطينية ، يكون الحديث معهم . لا يجوز لنا (إسرائيل) أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم ، ستكون النتيجة في نهاية الأمر ، أيًا كانت ، هي تقسيم الأراضي ، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى «اليشوف» وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم «الشتات» فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل أيضًا تحت سلطة فلسطينية . إن الحل الكونفيدرالي يبدو لي واقعيًا » .

وقد تم اختيار روايته «فويجلمان» حيث تبدأ أحداثها في الشتات وتنتهي بحرب أكتوبر ١٩٧٣م وأحداث الثغرة والاعتراف بقوة الجيش المصري وانتصاره في مقابل تخبط الجيش الإسرائيلي. وكان الاختيار الثاني هو الأديب «أهارون أفيلفيد» الروماني الأصل وروايته «حفرة الثلج» والسرد الواقعي لأحداث النازية ورؤيته لها ورؤيته للمجتمع الإسرائيلي .

وكان الاختيار الثالث لأديب من أصول عربية وهو عراقي من مواليد بغداد «سامي ميخائيل» وروايته «فيكتوريا» والشعور بالعزة والكرامة وعلو الشأن في بغداد مقابل الإهانة والاحتقار من أول يوم وطأت قدماه أرض فلسطين مهاجرًا ، ومن هنا يوجه النقد لإسرائيل ويعرب عن سوء العيش فيها في مقابل ما كان له لأسرته من مكانة واحترام بالعراق .

وعليه هناك قاسم مشترك بين الأدباء الثلاثة وهو عدم الشعور بالأمان والاحترام بإسرائيل مقابل أفضلية ذلك في دول الشتات سواء كانت غربية أم عربية .

وسيجد القارئ بانوراما مضيئة عن المجتمع الإسرائيلي وتسيد العنصرية الإشكنازية ضد الثقافات الأخرى في مقابل الصراعات الدينية والعلمانية والأيديولوجيات الدينية الرافضة للصهيونية في مقابل التمسك بالمسيح المخلص .

القاهرة

د. عبد الرازق سليمان

مقدمة

عندما قامت الحركة الصهيونية فى أوائل القرن العشرين، كان من بين أهدافها الرئيسية، التى وضعتها نصب أعينها، لتحقيق ما تصبو إليه، هدف «جمع شتات المنفيين» فى فلسطين، وهو هدف كان يتضارب تضارباً رئيسياً، مع عقيدة أساسية من عقائد الإيمان اليهودي، وهو أن العودة إلى فلسطين، لابد وأن تتم مع مجيء المسيح المخلّص، وأن أى استعجال لهذه العودة قبل ظهور المسيح المخلّص، هو خروج عن ركن أساسى من أركان العقيدة اليهودية. ولكن الصهيونية مضت فى سبيلها وسعت لتحقيق هدفها محولة شخص المسيح إلى ما أسمته عصر المسيح.

وقد تعرض تحقيق هذا الهدف الصهيونى للعديد من المصاعب رغم محاولات الصهيونية استغلال معاناة اليهود فى شرق أوروبا فى بداية نشأتها، ثم أزمة الحرب العالمية الثانية، بل وسعت لتأجيج ظاهرة معاداة السامية فى بلدان كثيرة لدفع اليهود إلى الهجرة التى كانت وسيلتها لتحقيق هذا الهدف الذى لم تنجح فى الوصول إليه حتى الآن، وظل الشتات اليهودى قائماً، وبالذات فى البلدان التى نشأت فيها، سواء الفكرة الصهيونية أو الحركة الصهيونية، الأمر الذى جعل الصهيونية، وبخاصة بعد قيام الدولة اليهودية تواجه مشكلة العلاقة بين المركز اليهودي، أي الدولة، وبين يهود الشتات، كمعضلة كانت فى حاجة لوضع تصورات جديدة لها.

ومن هنا تعد قضية «الشتات اليهودى» واحدة من أهم القضايا التى شغلت دعاة الصهيونية ومفكريها، منذ نشأتها فى أوروبا، وخاصة بعد قيام دولة إسرائيل وتعرض الحركة للاهتزاز الذى كاد يصل إلى الإخفاق، فيما يتعلق بالهدف الأساسى، وهو تقديم الحل الأمثل لما يسمى «المشكلة اليهودية» فى العالم، وخاصة فى ضوء سلسلة الحروب

التى خاضتها إسرائيل ضد العرب، اعتباراً من حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ بحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، الأمر الذى أدى إلى تبدُّل النظـرة الصـهيونية تجاه «الشتات اليهودى» من رفضه، تماماً، في بعض المراحل المتقدمة، إلى تقـديره والسـعى للمحافظة عليه كمخزون بشرى ومادى يـدعم دولـة إسـرائيل فى الأزمـات العسـكرية، والسياسية، والاقتصادية.

وإذا كان الأدب العبرى المعاصـر قـد واكـب جميـع الصـراعات والتناقضـات التـى واكبت نشأة الحركـة الصـهيونية والاسـتيطان الصـهيونى فى فلسـطين، ثـم تلـك التـى تفجرت مع قيـام دولـة إسـرائيل عـام ١٩٤٨م ، وحتـى اليـوم، ومـن بينهـا التـوترات والصراعات الثقافية، والاجتماعية، والطائفية، والدينية داخل الدولة بحثـاً عـن الهويـة الحقيقية للدولة، فإن إشكالية الموقف من «الشتات اليهودى» أصبحت إحدى القضـايا التى طرحها هذا الأدب على خلفية قضية الهوية وإشكالياتها المختلفة.

وقد عكس الأدباء المناصرون للشتات وثقافته أهمية ثقافة لغـة «اليـديش» ودورهـا كلغة فاعلة فى الشتات، وفى إسرائيل أيضاً، والدفاع عنها وعن أصحابها فى الوقت الراهن مع إبراز جمالياتها فى مقابـل اللغـة العبريـة، (عـلى سـبيل المثـال: روايـة «فويجلمـان» لأهارون ميجد). وفى المقابل كان هناك الرافضـون لليـديش وشخصـيات «الشـتات» بمعنى أن رفض اليديش لم يكن رفضاً أيديولوجياً فقط، وهكـذا فجـرت لغـة اليـديش والعالم اليهودى اليديشى ـ أى اليهود على ما هم عليـه فى الشـتات ـ حالـة مـن الـرفض والاشمئزاز بين الصهيونيين.

وبالرغم من أن الشتات اليهودى داخل إطار من الحكم الذاتى، كـان أحـد الحلـول المطروحة لما يسمى «المشكلة اليهودية» فى العـالم، فـإن الصـهيونية رفضـت الوجـود الشتاتى وطرحت حلاً آخر، وهو الوجـود الإقليمـى عـلى أرض فلسـطين بإقامـة دولـة يهودية يتم فيها تجميع يهود الشتات.

ومازال هناك صراع يدور الآن على الساحة السياسية والثقافية فى إسرائيل بين أنصـار الشتات اليهودى وأنصار الصهيونية. وهناك محاولات تتم داخـل إسـرائيل وخارجهـا لإحياء ثقافة الشتات اليهودي والحفاظ عليها، سواء من قبل المتدينين أو العلمانيين.

ح المتأرجح بين القبول والتقدير للشتات اليهودي، ووجوده وثقافته، من الرفض، وجد طريقه بوضوح فى العديد من الأعمال الروائية العبرية فى إسرائيل.

ويلقى رصد هذه الحالة ضوءاً على مساحة مهمة من ساحات الصراع الدائرة الآن فى المجتمع الإسرائيلي، وفى فكر ما بعد الصهيونية، وأثر ذلك كله على القرار المسيطر والمؤثر على القضايا والعلاقات بين إسرائيل والشتات اليهودى.

ومن خلال هذه الدراسة التى تعتمد فى رصد هذه الظاهرة على نماذج من الأدب العبرى المعاصر المعبِّر عن المجتمع الإسرائيلى، وعن الشتات اليهودى، سنحاول كشف جانب من جوانب الأزمات التى تواجه هذا المجتمع، فى علاقته بالآخر اليهودى عبر أرجاء الشتات، متخذين من الأدب الروائى وسيلة لإبراز مكنونات وأسرار وخبايا هذا المجتمع، ومدى ارتباطه من عدمه بالشتات، وأهمية هذه التوجهات على شتى المستويات الثقافية، والتاريخية، والنفسية.

وسوف يتمحور البحث حول نماذج أدبية روائية كتبت بعد عام ١٩٧٣م، وعكست التوجهات والصراعات داخل المجتمع الإسرائيلى والشتات اليهودى.

وقد وقع اختيار الباحث من بين نماذج روائية عبرية كثيرة عالجت قضية الشتات اليهودى على ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد (١٩٨٧م). حيث تتناول هذه الرواية، وكما سنتبين من خلال البحث، قضية الشتات اليهودى وقضايا عديدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشتات اليهودى ودولة إسرائيل:

(١) تعالج الرواية فترة زمنية تمتد من الحرب العالمية الثانية وأحداث النازية حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

(٢) من ناحية المكان تشمل الرواية الشتات الأوروبى وحركة اليهود بين شرق أوروبا وغربها والولايات المتحدة الأمريكية، وحتى إسرائيل فى الوقت الراهن.

(٣) تعالج الرواية الشتات اليهودى وقضاياه من حيث الثقافة واللغة والصراع ما بين العبرية واليديشية والمقارنة بين الثقافتين، وكذا المقارنة بين شخصيات الشتات

والشخصيات الصبارية فى إسرائيل.

(٤) أسباب الهجرة من الشتات وشروطها مع الاعتراف بمحدوديتها لتفضيل الشتات وبيئته على إسرائيل.

(٥) رفض الشباب الشتاتى لدولة إسرائيل، وأسلوب حروبها مع جيرانها.

(٦) الاعتراف بفشل الصهيونية فى توفير الملاذ الآمن لليهود فى إسرائيل.

(٧) المقارنة بين ما كان يجرى لليهود فى «أوشفيتس» فى الشتات، وما يحدث الآن فى إسرائيل من افتقاد للأمن والأمان.

(٨) رفض شباب الشتات الغربى التنازل عن ثقافته التى تربى عليها ، والانخراط في ثقافة إسرائيل حسب الأيديولوجيات الصهيونية.

(٩) وفى النهاية تعالج الرواية قضايا عديدة تتعلق بالشتات وتوجهاته نحو دعم إسرائيل مادياً ومعنوياً للحفاظ على وجودها فى قلب الشرق الأوسط.

النموذج الثانى: رواية «فيكتوريا» لسامى ميخائيل (١٩٩٣م) وهى نموذج يعبر عن جانب آخر من الشتات اليهودى، بعيداً عن يهود الغرب وأمريكا، وهم اليهود فى البلاد العربية، ونعنى بصفة خاصة يهود العراق الذى ينتمى إليهم الأديب سامى ميخائيل، حتى تكتمل صورة التناول والعرض من حيث تمثيل كافة يهود الشتات فى كل من الغرب الأوروبى والشرق العربى، فالرواية تعالج أحداثاً تمتد إلى جذور الطائفة اليهودية فى العراق على مدى تاريخ بعيد، شاركت فيه الطائفة فى تشكيل الثقافة بالعراق، وكان للطائفة شأنها المميز، وحتى الهجرة إلى إسرائيل والمعاناة، بدءاً بحياة المعابر والبحث عن العمل والمعاناة من النظرة المتدنية للمهاجرين الشرقيين بإسرائيل.

والرواية في مجملها تعبير عن الشتات اليهودي الشرقي بكل قضاياه الثقافية، والاقتصادية، والأمنية، مقارنة بتلك الأمور جميعها فى إسرائيل.

النموذج الثالث: رواية «حفرة الثلج: لأهارون أبيلفيلد (١٩٩٧م). وقد وقع الاختيار عليها للأسباب الآتية:

(١) كاتب الرواية الأديب أهارون أبيلفيلد، كاتب معاصر، عاش تجربة الشتات وأحداث الحرب العالمية الثانية، وبالطبع كان لهذه التجربة أثرها البالغ فى كل كتاباته المعبرة عن تلك الحقبة وأحداث النازية.

(٢) تطرق الكاتب فى هذه الرواية إلى تفاصيل واقعية لمعسكرات الاعتقال تناول فيها أسباب سقوط القتلى من اليهود، وأن هذه المعسكرات كانت تضم الكثيرين من غير اليهود.

(٣) تطرق الكاتب للحالة النفسية لليهود بعد نهاية فترة المعسكرات وتوجههم.

(٤) تناول الكاتب سلوكيات بعض اليهود فى الشتات وتعاونهم مع سلطات النازية.

(٥) ومن خلال التحليل والبحث فإن الرواية تعالج عدة قضايا تتعلق بالشتات الغربى، تتطابق الآراء فيها عند الأدباء الثلاثة، على الرغم من اختلاف ثقافاتهم وتوجهاتهم الشتاتية.



الباب الأول

مفهوم الشتات اليهودي في المنظور الاصطلاحي المسيحاني والصهيوني

الفصل الأول

المنظور الاصطلاحي والتاريخي لمفهوم الشتات اليهودي

أولاً: المنظور اللغوي الاصطلاحي

تمثل أسطورة الاختيار، الواردة فى التوراة، للشعب اليهودى، ركيزة أساسية فى تحديد مسلك اليهود وحركتهم وانتشارهم بين الشعوب الأخرى فى شتى أنحاء العالم، حيث يعنى الاختيار القداسة، والقداسة تعنى الخصوصية. هكذا أصبحت هذه الأسطورة، (الاختيار الإلهى) ذات تأثير فعال فى تشكيل طبيعة وشخصية اليهودى، وحركته بين الآخرين، قديماً وحديثاً.

ولأن فلسطين مزروعة فى كل من الوعى والتراث الدينيين اليهوديين، باعتبارها، المكان التنفيذى لهذا الاختيار (حسب رواية التوراة)، فقد استغلت الصهيونية هذا الاتجاه ليكون الأساس فى أيديولوجيتها فى جلب اليهود من شتاتهم إلى فلسطين. ومن هنا، فقد حرصت الصهيونية على أن يكون لدى اليهودى فى شتاته إحساس دائم بالنفي، وبالتالي الرغبة القوية فى العودة لما يسمى «أرض الميعاد»، وإنهاء حالة « المنفى». ومن هنا أصبح تداول مصطلح « المنفى» ومرادفاته، مثل: «السبى »، و «الشتات»، و«الدياسبورا» ملازماً لنقيضه وهو «العودة»، وهى الهدف الرئيسى للصهيونية.

وبناء على ما سبق، أصبح اليهود فى شتاتهم نموذجاً منبوذاً ومكروهاً بين شعوب العالم، ومن ثم ضرورة التخلص منهم، ووجد الغرب مفهوم الاختيار وأرض الميعاد وسيلة ناجحة لتنفيذ ذلك. ويمكن القول بأن نموذج الشعب العضوى المنبوذ هو الحلقة التى تربط بين العداء لليهودية والصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة. وتنطلق صهيونية اليهود من فكرة أن « الفولك» أو « الشعب العضوى اليهودى» لا مكان له حقاً

فى العالم الغربى، (وهذه هى نفسها دعوى أعداء اليهود)، ولكن يمكن الاستفادة منه كأداة يمكن توظيفها لصالح الغرب فى مشروعاته المختلفة التى أصبح من أهمها، مع مرور الوقت، المشروع الاستيطانى فى فلسطين»[1].

«وتشكل عقيدة «المنفى» و«العودة»، إحدى النقاط المحورية فى الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهى ترتبط، مثل كل العقائد الدينية اليهودية، بعقائد أخرى، مثل عقيدة « الماشيح» و«الشعب المختار» . وحسب هذه العقيدة فإن إله اليهود، حكم على شعبه المختار بالنفى والتشتت فى بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود فى تحديده. وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيح المخلِّص. وكالمعتاد، أحاط بهذه العقيدة هالة من القداسة والخصوصية، فنجد أن الشعور بالنفى ليس نتيجة حتمية للنفى ذاته، وإنما هو إحساس مقصور على اليهود حينما يبتعدون عن « أرض الميعاد»، وذلك بسبب ارتباطهم الحلولى أو العضوى بها. أى أنهم يجعلون المنفى سمة أساسية وخاصية مقصورة على ما يسمى « التاريخ اليهودى»، ويصبح الإحساس بالغربة أمراً ينفرد به اليهود وحدهم»[2].

وتؤكد الأدبيات اليهودية على العودة لأرض الميعاد (فلسطين)، وتستند فى ذلك لما ورد فى التوراة حول أسباب النفى من هذه الأرض « فسبى الشعب من أرضه (فلسطين) حسب ما يفهم من التوراة وأسفار الأنبياء هو عقاب واقع بسبب أخطاء الشعب وذنوبه (بسبب أخطائنا سبينا من أرضنا)» [3].

وتؤكد هذه الأدبيات أيضاً على أن النفى الذى وقع على اليهود هو من « مكان المولد» لأرض غريبة، قد وقع قسراً، حيث إن الإنسان أو الشعب مجبر على هذا النفى، وبشكل عام، فالمطرودون والمنفيون على مدى «تاريخ شعب إسرائيل» يمثلون حالة من قطع شعب إسرائيل من مسقط رأسه وتشتته بين الأغراب، ومنها نزوح يعقوب وأبنائه لمصر، وسبى الأسباط العشرة، وسبى بابل ليهودا وبنيامين فى عهد الملك صدقياهو،

(١)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، جـ٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٩٢.

(٢)المرجع السابق، ص٩٥.

(٣)תלמי. אפריסר מנחם: לקסיקון ציוני , מהדורת מעריב, תל- אביב, 1977, עמ/78.

والسبي الأحمر (سبى روما) الذى وقع بعد خراب الهيكل الثانى، وفشل ثورة بركوخبا[١] .

« والمنفى أو الشتات وفق المفهوم اليهودى، والذى يسمى بالعبرية (גלות) هو كل مكان يعيش فيه اليهود كأقلية، وكل مكان لا يتمتعون فيه بالاستقلالية من الناحية السياسية أو الاجتماعية، وكل مكان يكونون فيه مرتبطين بكرم الأغلبية غير اليهودية، وخاضعين للضغوط اليومية لثقافتها وطابع حياتها. ومعنى هذا أن المقصود بالمنفى » هو «المنفى القهرى» خاصة خارج فلسطين، أى أن المنفى هو سمة مقصورة على التاريخ اليهودى وإحساس مقصور على اليهود حيثما يبتعدون عن (أرض فلسطين)» [٢] .

« وعلى الرغم من أن هناك شعوباً أخرى مرت بتجربة الشتات، وبخاصة شعوب أوروبا، فهناك من أخرجوا من مواطن إقامتهم، واقتلعوا ليقيموا بصفة دائمة فى أوطان أخرى مثل: الإيطاليين، والأسبانيين، والبرتغاليين، والايرلنديين، والأرمينيين، وأبناء البلاد الاسكندنافية، ولبنانيين ونصارى من سوريا، شكلوا فى العصر الحديث مجموعات كبيرة وراء البحر وحذا حذوهم، أيضاً، صينيون ويابانيون فى شتى أنحاء آسيا وقارة أمريكا، فمنهم من ذاب واندمج فى الشعوب، ومنهم من ساهم فى إنشاء دولة جديدة. وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الخصوصية فى شتات اليهود هى عدم فقدانهم الشعور بالانتماء لمصدرهم على مدى التاريخ»[٣] .

وتكمن الخصوصية الحقيقية فى شتات اليهود فى السعى الدؤوب لتثبيت فلسطين فى ذاكرة كل يهودى، استناداً لما أوردته التوراة قديماً، وإلى ما ارتكزت عليه الصهيونية حديثاً، على الرغم من أن معطيات التاريخ الحقيقية تؤكد أن فلسطين كانت دائماً مفتوحة أمامهم، لكنهم لم يتوجهوا إليها، « فعشية خراب الهيكل الثانى كان حوالى نصف الشعب اليهودى مشتت خارج فلسطين. لقد ترك اليهود فلسطين طواعية وتشتتوا فى بلدان مختلفة، ونحن نجد شواهد على وجود طوائف يهودية فى شمال أوروبا، وفى

(١)שם עמ' 78.

(٢)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور):إشكالية الهوية فى إسرائيل.عالم المعرفة، العدد ٢٢٤، الكويت، ١٩٩٧، ص٩٧.

(٣)ציר, יעקוב: דיוקנה של התפוצות, בית הוצאת כתר, ירושלים, 1975, עמ'3.

روسيا، وعلى حدود ليبيا، وفى بابل، وحتى الإسكندرية، وروما، وآسيا الصغرى، لقد ذهب اليهود برغبتهم الحرة، واستقروا في أماكن بعيدة، ولم يكن هذا (لا سمح الله) لأنه لم يكن فى فلسطين أماكن كافية لهم، وأن الحقيقة القاطعة هى أن فلسطين كانت مليئة بالأجانب الذين يقيمون فيها، ويحتلون مساحات كبيرة منها، لأن اليهود لا يقيمون فيها»[1].

وقبل ظهور الصهيونية على مسرح الأحداث كان اليهود يعيشون مشتتين فى أرجاء العالم، دون أن يشعروا أنهم يرتكبون إثماً دينياً، بما فى ذلك حاخاماتهم ورجال الدين، ولم يكن أحداً من هؤلاء يفكر فى فلسطين أو يتذكرها إلا من خلال بعض الصلوات التى كانت تؤدى فى المناسبات الدينية، بالرغم من أن فلسطين كانت دائماً مفتوحة أمامهم، ولم يكن أحداً يمنعهم من دخولها أو الإقامة فيها.

وفى فترة التنوير كان هناك إجماع يهودى عام فى غرب أوروبا، على اعتبار أن الشتات هو ظاهرة ملازمة للتاريخ اليهودى، وأنهم سعوا للاندماج القائم على طمس الفوارق بينهم وبين أبناء الأوطان التى يعيشون فى وسطها، كما محيت النصوص كافة التى تتحدث عن حلم العودة إلى فلسطين، والحنين إلى صهيون ـ من الصلوات تأكيداً لهذا التوجه. أضف لهذا شيوع الزواج المختلط والاندماج مع غير اليهود فى أوطان الشتات، وما نتج عنه من سلالة لا تنتمى إلى اليهودية وشريعتها، وهو ما خلق الآن سؤالاً محيراً لم يلق إجابة، وهو:«من هو اليهودي؟»

وارتباط اليهود واندماجهم مع شعوب الشتات قديم قدم التاريخ، فعلى سبيل المثال، بعد السماح لهم بالعودة من بابل فضلوا البقاء بها «فقد ألفوا الحياة الهادئة فى بابل، وانخرط الكثيرون منهم فى الصناعة والتجارة، ونسوا أورشليم، أو على الأقل لم تعد لهم نفس الحماسة والتطلع للعودة إليها، مما يدعوهم إلى ترك مراكزهم وأموالهم ويدفعون بأنفسهم إلى مغامرة جديدة فى أورشليم، وقد فضَّل أغنياء المنفيين البقاء حيث هم، بدليل ورود أسماء عبرانية بكثرة فى الوثائق التجارية لذلك العهد، وبعض هذه الأسماء

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الشتات، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ط١، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣٨.

مركبة لأسماء آلهة بابلية، ولابد أن من استجاب لنداء العودة كانوا من الناقمين الذين لم يكن لهم جذور فى الأرض الجديدة»[١] .

ويروى ول ديورانت فى كتابة « قصة الحضارة»: « أن شباب اليهود لم يتحمسوا لهذا التحرير؛ لأن كثيراً منهم قد تأقلموا مع التربة البابلية، وامتدت أصولهم فيها فترددوا طويلاً فى ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلى القفار الخربة المقدسة»[٢] .

وعلى الرغم من النزاعات التى كانت قائمة بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، سواء القدامى منهم أو النازحون الجدد، بغرض الإقامة، فإن « الفلسطينيين العرب لم يبدوا أية مقاومة نحو اليهود الذين كانوا يحضرون لفلسطين للصلاة أو حتى للاستيطان لأهداف دينية، بل إنهم كانوا يرحبون بهم، وعلى الرغم من هذا لم يزد عدد اليهود فى فلسطين، عام ١٨١٤م عن عشرة آلاف يهودى فقط، وفى عام ١٩١٤م لم يزد عدد اليهود فى فلسطين عن ٣٥.٠٠٠ يهودى من بين ١٢.٠٠٠.٠٠٠ يعبرون فى صلواتهم ثلاث مرات عن رغبتهم فى العودة إلى أورشليم، أى أن حلم العودة ظل له فعالية دينية فردية، ولم ينجح فى نقل اليهود و (المسألة اليهودية) إلى الشرق»[٣] .

ويؤكد الأديب الإسرائيلى أ. ب. يهوشوع، هذه الحقيقة بقوله:« إذا كان هناك أحد فى حاجة إلى الدليل النهائى والقاطع بشأن العلاقة المشكوك فيها بين اليهود وفلسطين، بشأن حقيقة أنهم لم يحاولوا العودة إلى فلسطين بشكل جدى، وبشأن خشيتهم من العودة والتصاقهم بالمنفى، فإنه ليس أمامه إلا أن يستعرض ويفحص سنوات الدولة الخمسين. إن الأبواب مفتوحة والإمكانيات هائلة، ولكن المهاجرين لا يأتون، إن موجات الهجرة تحت ضغوط: لاجيء النازية، لاجيء البلاد العربية، لاجيء البلاد الشيوعية....إلخ، أقلية لا بأس فقط، هي التي وصلت إلى إسرائيل بدافع من الرغبة

---

(١)حتى، فيليب (دكتور): تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة: جورج حداد، ط١ ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧، ص٢٤٣.

(٢)ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، جـ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٠، ص٣٦٥.

(٣)جانس، ج: الصهيونية وإسرائيل وآسيا. ترجمة: راشد حميد، منظمة التحرير الفلسطينيةـ مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٢، ص٢٣ـ ٢٤.

الحرة»[١].

وأمام هذا الإخفاق الواضح لأهم مقوم من مقومات الصهيونية، وهو تجميع شتات اليهود داخل إسرائيل، ابتدعت الصهيونية وزعماؤها مزيداً من المصطلحات التبريرية تتعلق باليهود فى منفاهم، « فبعد إنشاء إسرائيل، لم يهرع اليهود إلى أرض الميعاد، ولم يتم تجميع المنفيين كما كان يتوقع الصهاينة، وهو ما اضطر بن جوريون إلى ابتداع مصطلح (منفيو الروح) ليصف اليهود الذين يحيون حياة جسدية مريحة فى المنفى، ولكنهم بلا شك معذبو الروح. وهو بهذا يتبنى الصيغة الصهيونية الثقافية. ولكن الملاحظ أن منفيّ الروح هم الأغلبية العظمى بين يهود العالم، أى أن اليهودية حتى بعد إنشاء الدولة الصهيونية لا تزال يهودية الدياسبورا. ولذلك فالجالوت، أو «المنفى القسرى» أصبح يسمى «تفوتسوت תפוצות »، أو « المنفى الاختيارى»، وهذا تناقض عميق فى المصطلح. ويبدو وأن الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تحدياً عميقاً لفكرة المنفى، إذ أنها تشكل نقطة جذب هائلة للغالبية الساحقة من يهود العالم»[٢].

وهذه المصطلحات المفروضة التى تبنتها الصهيونية حول تواجد اليهود وانتشارهم فى شتى أنحاء العالم، والتي تباينت ما بين، « السبى»، و«المنفى»، و«الشتات»، و«المنفى القسري»، و«المنفى الاختياري»، و«المنفى الروحي»، قد أفرزت مشاكل عدة فى دول الشتات، وخاصة فيما يتعلق بشفافية الولاء والانتماء لموطن الرزق، والإقامة وعلى وجه الخصوص فى الولايات المتحدة الأمريكية ». فمصطلح جالوت «المنفى القهرى» لا يقبله اللا صهيونيون من اليهود فحسب، بل هو مصدر جدل بين الصهيونيين أنفسهم. إن اللا صهيونيين من اليهود يتحاشون استعمال هذا المصطلح؛ لأنه يلقى ظلالاً من الشك على انتمائهم للوطن الذين يعيشون فيه، وخاصة في أمريكا، ويفضلون التأكيد على الفروق بين الظروف التى يعيشون فيها فى العالم الحر وبين ظروف اليهود فى البلاد التى يتعرضون فيها للاضطهاد والتميز، ويرفض كثيرون من الصهيونيين الأمريكيين النظر إلى اليهود هناك على أنهم جزء من (جالوت)، ويصرون على استخدام مصطلح

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٩٧.
(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق ، ص٩٧.

«تفوتسوت **תפוצות** »[١].

ووفق هذا، فإن الإيديولوجية الصهيونية تفرق بهذه المصطلحات بين تواجد اليهود فى البلاد التى ينعمون فيها بالاستقرار والثراء والقوة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ترى أنهم فى حالة « تفوتسوت **תפוצות** » أى «منفى اختياري»، وبالتالي فهجرتهم إلى إسرائيل غير واجبة، ويكفى هؤلاء أن يدعموا الصهيونية وإسرائيل وهم فى شتاتهم، وعلى العكس من ذلك، ترى أن اليهود فى دول الاتحاد السوفييتي (السابق) ودول الشرق الأوسط فى حالة «منفى»، وبالتالي فهجرتهم واجبة طبقاً لهذه المفاهيم الصهيونية. وفى هذا الصدد تقول دائرة المعارف العبرية « يجب التفريق بين « **גלות**» و«**תפוצות**»، فاستقرار الغالبية من أبناء الأمة ولو معظمهم خارج الوطن (يقصد فلسطين) لا يعتبر أساساً جالوت (منفى) بشكل عام طالما بقى الوطن (فلسطين) تحت سيادة (الأمة) أى أن هذا المنفى يعتبر «منفى اختيارياً»[٢].

ولكن بشكل عام، فيما يخص الشتات اليهودى منذ القدم وحتى عصرنا الحالى، نجد أن دائرة المعارف العبرية تعرفه:«بأنه حالة وإحساس ذاتى لأمة مقتلعة من وطنها، وواقعة تحت سلطة الغرباء، والمصطلح (مفهوم الشتات) مخصص فى جوهرة للتاريخ والوعى التاريخى لليهود منذ فترة خراب الهيكل الأول، وحتى عصرنا الحالي».

وبالإضافة للمصطلحات الشتاتية التوراتية الواردة بالعبرية، هناك المصطلح اليونانى «دياسبورا» الذى يشير بشكل عام إلى الشتات والانتشار، إلا أن تفسيره الحديث بالإنجليزية قد ربط بين اليهود وفلسطين، حيث يفسر المصطلح بأنه «حركة الشعب اليهودى بعيداً عن وطنهم الأم (يقصد فلسطين) من أجل العيش والعمل فى بلاد أخرى»[٣].

وعلى الرغم من ذلك فإن «كثيرًا من يهود الولايات المتحدة يرفضون استخدام هذا

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية فى إسرائيل، المرجع السابق، ص٢٨.

(٢)האנציקלופדיה העברית כללית יהודית ארץ ישראילית, מהדורה שניה, חברה להוצאת אציקלופדיות, תל- אביב, 1972, עמ'813.

(٣) Sally Wehmeienled: Oxford advanced learners dictionary, oxford university press, Sixty edition, (Oxford 2000), p.365.

المصطلح، بمعنى « المنفى المؤقت»، فالولايات المتحدة أو كندا هى وطنهم النهائى، وليس المؤقت. ولذا، ففى كتاب هوارد ساخار الأخير، الدياسبورا (١٩٨٥)، لا توجد أية إشارة إلى الجماعات اليهودية فى إسرائيل أو أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا)، باعتبار أنهما لا يشكلان «منفى»، وبالتالي لا يمكن الحديث عنهما باعتبارهما دياسبورا. فكأن كلمة «دياسبورا» تستبعد كلا من فلسطين والولايات المتحدة وكندا[١] .

«وبشكل عام فقد اكتسب مصطلح («دياسبورا» Diaspora) أهمية متزايدة فى أواخر القرن العشرين، فبعد أن كان المقصود به بشكل أساسى اليهود، وبشكل أقل اليونانيين والأرمن، أصبح هناك ما يزيد عن ثلاثين مجموعة إثنية تعلن عن كونها شتاتًا، أو عن نظرة الآخرين لهم باعتبارهم كذلك، فلماذا هذا الاهتمام الآن؟! من جهة يرجع ذلك إلى خوف العديد من الدول من اتساع حجم الهجرة العالمية، وبالتالي عدم قدرتها على تشكيل نظام اجتماعى مستقر، ومن جهة أخرى، لم تعد الأقليات راغبة فى التخلى عن ماضيها، فمعظمها اكتسب أو حافظ على جنسية مزدوجة فى الوقت التى ساعدت فيه نتائج العولمة على المحافظة على العلاقات مع الوطن الأم»[٢].

ولكن الشتات اليهودى فى جانبه الدينى التوراتي الموروث، هو شتات له خصوصيته فى حالات الماضي، وصفته الشاذة فى الحاضر؛ لأن الشتات الطبيعى يستلزم عنصرين أساسيين هما: المركز (موطن الميلاد)، والموطن الجديد للشتات، فالشتات اليهودى يفتقد صفة المركز (كون فلسطين أرض عربية محتلة). «إن الشعب اليهودى لم يخلق فى فلسطين، إن العلاقة المادية والأولية بين الشعب.(ووطنة)، ليست علاقة طبيعية، لقد تم إعداد اليهود كشعب فى مصر، ومن هنا فإن المنفى كبوتقة لصهر اليهود تسلل إلى أعماق الوجود اليهودى، وأكثر من هذا فقد أعطيت التوراة فى الصحراء وليس فى فلسطين، والتوراة ـ إطار الصفات التى سوف تحدد هوية اليهود وتحدد رسالتهم. لم يتم منحها فى فلسطين. إن العلاقة الخاصة التى قطعت بين الشعب والرب كانت بدايتها فى الصحراء

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) Robin Cohen: Diasporas and Nation state from victims to challengers international affairs, vol. 72, no.3, 1986, pp.507: 520.

وفى منطقة خاوية، وفى منطقة وسط بين المنفى وفلسطين»[١].

وقد تبنى الأديب المعاصر أ.ب. يهوشوع[٢]، وجهة نظر مماثلة حيث يرى: «أن الشتات ركيزة رئيسية للوجود اليهودى، فقد ولد إبراهيم (عليه السلام) أبو الأمة خارج فلسطين. واستدعاه الرب لترك وطنه وبيت أبيه ليصل لأرض جديدة اختارها له الرب؛ من أجل أن يخلق فيها شعباً جديداً مع عهد وميثاق جديدين (إذن فاليهودى الأول هو المهاجر الأول، ولكن هذا المهاجر هو أيضاً النازح الأول. لقد كانت الظروف الاقتصادية فى أرض كنعان صعبة. فنزح إبراهيم فوراً إلى مصر.

وكم هو مفزع أن نعتقد أن هذا الرجل الكهل، الذى ترك موطنه وبيت أبيه بأمر الرب لكى يصل إلى أرض كنعان المزمع أن تكون بلد الشعب الذى سيولد من نسله، ولا ينجح فى الصمود فيها، بالرغم من أنه كان رجلاً موسراً. وينزح منها إلى بلد آخر. كان من الممكن أن نفهم ضعفه لو كانت قد عمته الأشواق إلى وطنه. ولكن الأمر لم يكن كذلك. انه لم يعد إلى وطنه. ولكنه نزح إلى بلد آخر. إن اصطلاح«نازح» ولد فى قصة إبراهيم. واليهودى الأول هو المهاجر الأول والنازح الأول. وقد ظل اليهودى يحمل فى داخله هاتين الصفتين المرتبطتين بالهجرة والنزوح عبر التاريخ كله. إن إبراهيم يهاجر وينزح ويعود للهجرة»[٣].

وإذا كان الشتات اليهودى له خصوصيته الناتجة عن كونه عقاباً وقع عليهم من ربهم على ما اقترفوه من معاص جعلته يفرض عليهم المنفى والشتات، إلا أنه هناك وجهة نظر

---

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص٣٥.

(٢)ولد أ. ب. يهوشوع فى القدس، عام ١٩٦٢ ، ويعيش حالياً في حيفا. درس يهوشوع الأدب والفلسفة فى الجامعة العبرية بالقدس. كما عاش خارج إسرائيل، في الفترة من ١٩٦٣ – ١٩٦٧م. يعتبر من أبرز ملامح الأدب العبرى فى إسرائيل، منذ الستينيات وحتى الآن. ومن الأدباء المحسوبين على اليسار الإسرائيلى، فقد نادى فى كتاباته بأن تكون إسرائيل دولة كل مواطنيها بما فيهم عرب ١٩٤٨م. كما رأى أن الشتات ركيزة أساسية للوجود اليهودى. نشر يهوشوع العديد من الأعمال الأدبية تعاطف فى بعضها مع الحق الفلسطينى. كما كان من أبرز أعماله «فى مواجهة الغابات»، «العاشق»، « الطلاق المتأخر»، «مولخو»، «السيد مانى»، «رحلة للهند». للمزيد، راجع: الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٣٠.

(٣)المرجع السابق، ص٣٤.

ترى أن هذا الشتات « باعتباره حادثة وقعت (للشعب اليهودى)، وكارثة كانت الشعوب هى السبب فيها، وفرضتها على اليهود»[١].

وهناك وجهة نظر ثانية تنظر إلى هذا المنفى «كظاهرة دائمة وشبه طبيعية بالنسبة لليهود، وأنها تعترف بالتعاون الوثيق بينها وبين هذا الشكل من أشكال الوجود. ووفقاً لوجهة النظر هذه تعتبر اليهود شعباً شتاتياً ، وهنا تكمن قوته الوجودية»[٢].

وبناء على ما تقدم من مصطلحات مختلفة تعبر عن الشتات بشكل عام، وعلاقة تلك المصطلحات بالشتات اليهودى بشكل خاص، يبدو واضحاً تأكيد الصهيونية من خلال تلك المصطلحات على عدة أمور هى:ـ

* تثبيت فلسطين فى الوعى اليهودى على أنها الوطن الأم لليهود قبل الشتات.

* التأكيد على المبدأ الذى تبنته الصهيونية «بالعودة» للوطن إلى ما يسمى «أرض الميعاد».

* خصوصية الشتات اليهودى لكونه عقاباً إلهياً.

* ابتداع مصطلحات ومقولات جديدة لحل معضلة يهود الشتات الرافضين لمبدأ «العودة»، مثل مصطلح «المنفى الروحى» . وذلك للاستفادة من دعم الشتات المستقر (كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية) للوجود اليهودى فى فلسطين.

وقد ابتدعت الصهيونية مصطلحاً يتواءم مع كل ذلك ومع الشتات اليهودى، وهو «تفوتسوت» (תפוצות) بمعنى (المنفى الطوعى)، « والكلمة مشتقة من الفعل الأجوف (פץ)، فى وزن הפ' (הפיץ) بمعنى (رّوج ـ وزّع ـ نثر ـ بعثر ـ انتشر ـ تشتت)، (شتات ـ تفريق)، مجازاً مهجر، وجمعها مهاجر (البلدان التى هاجر إليها مواطنو دولة أخرى، أو أقوام أخرى، أو اضطروا للهجرة إليها) »[٣].

(١)المرجع السابق، ص٣١.

(٢)المرجع السابق، ص٣٢.

(٣)سجيف، دافيد: قاموس عبري ـ عربي للغة العبرية المعاصرة، مجـ٢، دار شوكين للنشر، القدس ـ تل أبيب، ١٩٩٠، ص١٩١٠ – ١٩١١.

وقد ورد المصطلح (תפוצות)[1]، وفى العهد القديم بمعنى «بدد» (وأبددكم فتسقطون كإناء شهى)[2].

أما المصطلحات الأخرى التى عبرت فى مجملها عن التواجد اليهودى خارج فلسطين بمسماها العبرى، فهي«جالوت גלות»، بمعنى«نفى ـ جلاء ـ إجلاء ـ هجرة ـ منفى ـ مهجر» (جالوت اليهود فى منفاهم) جاليات كناية عن التنقل والترحال»[3].

وهو من الفعل الثلاثى גלה بمعنى اغترب ـ هاجر ـ نزح. والمعنى الوارد فى قاموس« ابن شوشان» يؤكد على المفهوم الصهيونى بأنه « الانتزاع من أرض الموطن» (يقصد فلسطين) إجباراً لأرض أخرى غريبة، واستقرار المنفيين عليها كموطن إقامة لهم»[4].

وقد وردت كلمة « גלות » فى العهد القديم بنهاية آرامية (מן בני גלותא من أبناء السبى)، حيث جاء بالفقرة « حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعاً، وقال له هكذا. وقد وجدت رجلاً من بنى سبى يهوذا الذى يعرف الملك بالتعبير»[5]. وقد وردت « גלות» فى العهد القديم فى أكثر من موضع بمعنى السبى، وجاءت مفردة

---

(١)تفوتسوت: يوجد فى قلب تل أبيب مركز حديث يحمل اسم « בית התפוצות » يقدم إمكانيات هائلة من الاتصالات على مستوى العالم للربط والتوفيق بين مختلف الجماعات اليهودية والعمل على جمع شتات العائلات والأسر المختلفة، وإعادة التجمع بين المشتتين من عائلة واحدة، وفى أماكن مختلفة من العالم، وإعادة التعارف والدمج، ويضع على واجهته لوحات إرشادية بجميع اللغات ترحب بالقادمين لهذا المركز، ومن ضمن أهدافه تنفيذ الأهداف الصهيونية التى تعمل على «تجميع المنفيين» وجذبهم إلى إسرائيل، والمركز يعمل على تحسين صورة إسرائيل من خلال قنواته الإعلامية أمام اليهود فى دول الشتات.

(٢)أرميا(٢٥ / ٣٤)؛ שטיינברג , יהושע: מלון התנך עברית וארמית, הוצאת יזרעאל, תל- אביב, 1977, עמ'894.

(٣)سجيف، دافيد: المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٤)أيفن شوشان، إبراهام: القاموس العبرى الشامل، القدس، ١٩٨٨، ص١٠٠.

(٥)אבנירי, יצחק: יד הלשון, אוצר לשוני , עורך לפי הנושאים, בסדר אלף – בית, הוצאת יזרעאל, תל- אביב, 1977,עמ'1520.

«גלות»[١] ، ومعرفة بالهاء « הגלות» [٢]، وبنفس المعنى «السبى» وردت فى المشنا[٣] بعدة صور، فقد وردت مفردة« גלות» [٤]، ومسبوقة بحرف الباء « בגלות» [٥]، ووردت أيضاً فى بعض المواضع « הגול» [٦]، وجميعها بمعنى السبي فى الترجمة العربية.

وقد ورد المصطلح بمعنى السبى أيضاً، فى أكثر من موضع بالعهد القديم، وبأكثر من صورة، فقد جاء بصيغة المفرد « הגולה»[٧] وبصيغة الجمع المذكر « גולים » بمعنى المسبيين[٨]، وجاء المصطلح فى موضع آخر بمعنى النفى أو الطرد[٩]، أما فى التلمود فقد ورد المصطلح كما هو الحال فى العهد القديم والمشنا، ولكن سبق «الواو» حرف

---

(١)الكتاب المقدس، كتب العهد القديم والعهد الجديد، مترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٨٢. ارميا (١ / ٣) « سبى أورشليم»، (٢٤ / ٥) « سبى يهوذا»، (٤٣ / ٣) «وليسبونا إلى بابل».عاموس (١/ ٦) «لأنهم سبوا سبياً كاملاً».حزقيال (٣٣ / ٢١) « من سبينا فى الشعر العاشر».أشعيا (٤٥/ ١٣) « يبنى مدينتى ويطلق سبى».

(٢)أرميا (٢٤ / ١) «أمام هيكل الرب بعد ما سبى نبوخذ نصر»، (٢٧ / ٢٠) «ملك بابل عند سبيه يكنيا بن يهوياقيم»، (٤٣ / ٣) « وليسبونا إلى بابل»، (٥٢ / ١٣) «لسبى يهوياكين»، المراثى (٤/ ٢٢) «لا يعود لسبيك»، حزقيال (١/ ٢) «من سبى يهوياكين»، (٣٩/ ٢٥) « سبى يعقوب»، أشعيا (٢٠ / ٤) « سبى مصر»، عوبديا (٢٠) «وسبى هذا الجيش وسبى أورشليم»، دانيال (٢/ ٢٥) «وجدت رجلاً من بنى سبى يهوذا».

(٣)קאמאריסקי, חיים יהושוע: אוצר לשון המשנה , ספר המתאימות, קונקורדנציה לששה סדרי משנה, כרך: ג, מהדורה מתוקנת , הוצאת מסדה בע«מ, תל- אביב, 1967, עמ'448.

(٤)מכות (2/ 6), » מי שנתחייב גלות מחזירין אותו למקומו« , אבות (1/ 11) » שמא תחובו חובת גלות« (5/ 9) »גלות באה לעולם ע«ג ועל גלוי ערוות«.

(٥)שקלים (6/ 3) «למה נקרא שמי יכניה שבי יצא יכניה בגלותו».

(٦)עירובין (10/ 14) «וממלאים מבור הגולה» , שקלים (2/ 4)«שכשעלי ישראל מן הגולה», נזירים (56/ 4) «וכשעלו בני הגולה», מדות (3/ 4) «לשכת הגולה»,(5/ 4) «בור הגולה».

(٧)أرميا (١٩ / ١)، (٢/ ١٧) « هذا كلام الرسالة التى أرسلها أرميا النبى إلى أورشليم إلى بقية شيوخ السبى».، «إلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر - لم يخرجوا معكم فى السبى » ، حزقيال (٢٥/ ٣) وعلى بيت يهودا لأنهم ذهبوا إلى السبى»، عزرا (٤/ ١) « ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى يبنون هيكلاً للرب»، (١٠/ ٨) « وهو يفرز من جماعة أهل السبى».

(٨)عاموس (٦/ ٧) «لذلك الآن يسبون فى أول المسبيين».

(٩)اشعيا (٤٩/ ٢١) «فتقولين فى قلبك من ولدى هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر ومنفية ومطرودة»(גולה וסורה).

الياء فجاءت « גליות »[(١)].

وعليه فإن مصطلح الشتات اليهودى فى صوره المختلفة (جالوت גלות - جولاه גולה - دياسبورا - تفوتسوت תפוצות)، والتي تعبر فى مفهومها العام عن (المنفى - السبى - الطرد - التشتت - الشتات)، فهى تعبر عن التواجد الخارجى لليهود بعيداً عن فلسطين.

وسوف نستخدم فى دراستنا مصطلح «الشتات اليهودى»، وذلك لعمومية هذا المصطلح لأنه بشكل عام يعبر عن التواجد الخارجى المستقر والثابت الكائن فى شتى أنحاء العالم، وخاصة العالم الجديد من جميع بقاع الأرض. وهذا التواجد ينتمى إلى مركزه الأصلى والقومى ووطنه الذى يمثل جذوره الأصلية، وروافده اللغوية والثقافية. وهذا فى حد ذاته يعتبر الشكل الطبيعى والنموذج القانونى للشتات.

ويبتعد الشتات اليهودى عن هذا النموذج الطبيعى، بسبب افتقاده لمركزه وكذا بسبب النظرة والتعامل مع هذا الشتات، استناداً إلى أساطير وأفكار أيديولوجية نفعية معينة تختلف عن نظرة باقى العالم لشتاتها. فعلى الرغم من وجود هدف مشترك لجميع دول العالم، وهو الاستفادة من دعم هذا الشتات لمركزه الأصلى، فإن الوضع يبدو مختلفاً بالنسبة للشتات اليهودى، حيث تعمل الصهيونية على نقل جماعات الشتات إلى «فلسطين» لدعم الاستيطان اليهودى هناك، وتأكيد وجود المركز أى « فلسطين»، علاوة على السعى للاستفادة من المشتتين المستقرين فى شتاتهم دون أن تكون لديهم أدنى رغبة فى مغادرة موطنهم إلى «فلسطين»، وهذا الذى نشهده فى الوقت الراهن، ليس بجديد، ففى فترة السبى البابلى « سمح البابليون لليهود بالاستقرار فى شتى أنحاء مملكتهم، واستمر اليهود فى ترسيخ أقدامهم فيها، بحيث أصبحوا دولة داخل دولة، دولة تمتلك من الثروة والقوة بحجم لا يستهان به». وعندما سمح قورش الفارسى لأهالى يهودا بالعودة إلى وطنهم، عام ٥٣٨ ق.م، فضَّل معظمهم البقاء فى بابل»[(٢)].

---

(١)אבנירי , יצחק: שם, עמ'520.

(٢) The Hebrews a learning module , the Diaspora Hebrew history: The Diaspora. http://www.wsu.edu1-dee/Hebrews /diaspora /htm10f2. 1996 Richard Hooker.

ويمثل التواجد اليهودى المستقر فى الولايات المتحدة الأمريكية، شتاتاً يماثل شتات بابل، عندما استقر اليهود هناك، ورفضوا النزوح إلى فلسطين عندما أتيحت لهم الفرصة، فهاهم يهود أمريكا يرفضون مغادرتها إلى فلسطين أيضاً، على الرغم من قيام دولة إسرائيل ومع الضغوط الصهيونية، فهذا يمثل نوعاً من الفشل الأيديولوجى الصهيونى، ويبرهن على أنه لا الحركة الصهيونية ولا دولة إسرائيل تعبير عن آمال اليهود. وكما كانت هناك اصطلاحات شتاتية للخروج من المأزق الشتاتى، هناك أيضاً، مصطلحات للتملص من الصهيونية وأهدافها. «ولعل أهم محاولات التملص هو ما يسمى «بصهيونية الدياسبورا»[1].

وهو اصطلاح متناقض مع نفسه إلى أقصى حد. فالصهيونى هو الشخص الذى يؤمن بأن اليهود يكونون شعباً مثل كل الشعوب، وأن فلسطين أو إسرائيل هى وطنه القومى. ولذا يكون من واجب اليهودى الصهيونى أن ينهى « غربته»، وأن يهاجر إلى وطنه القومى فى أول فرصة قد تسنح له. فالفكر الصهيونى يضع الوطن القومى فى مقابل المنفى. فيرى أن الوطن القومى جدير بالبقاء، أما المنفى والشتات فلابد من تصفيتهما أو الاحتفاظ بهما كشيء تابع، باعتبار أن الدولة الصهيونية هى بمثابة المركز لحياة اليهود داخل وخارج فلسطين. ولكن يهود الدياسبورا لا يقبلون هذا التعريف الصهيونى الذى يضعهم فى المرتبة الثانية. ولذلك فقد ظهرت صيغة تحاول أن تقبل القيم الصهيونية«القومية»، ولكنها تجعل فعاليتها تنطبق على المستوطن الصهيونى وحسب، أما بالنسبة ليهود الدياسبورا فيمكنهم أن يحيوا حياتهم دون أن تتحكم فى سلوكهم السياسى أو الفردى القيم الصهيونية. وهذه الصيغة الجديدة صيغة انتهازية « نصف الصهيونية » إن صح التعبير[2].

ويقترب هذا المصطلح من مصطلح «المنفى الروحي»، وكلاهما يمثل علاقة اليهودى المستقر فى شتاته « بأرض الميعاد» التى يذكرها ويذكر بها نفسه فى صلواته،

(١)لطفى عابد وموسى عنتر (ترجمة)، د. أنيس صايغ. الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية - بيروت مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠، ص٤٧٢.

(٢)عبد السميع حجازى، هدى: بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية مطالعات - عالم الفكر ١٤(١)، الكويت، ١٩٨٣، ص١٤٥.

ويتجه إليها بقلبه، وخاصة عند المتدينين الذين يرون أن نفى اليهود من «أرض الميعاد» هو من الأعمال الربانية التى لا يجب مخالفتها أو تحديها حتى يأتى الأمر من الرب، أيضاً.

ثانياً: المنظور التاريخى

ترجع التوراة والدراسات التاريخية المتعلقة بها «الشتات» على وجه العموم (بمسماه المنفى أو السبى أو أى معنى يفيد الابتعاد أو الاغتراب عن مكان المنشأ لمكان آخر ولأسباب مختلفة) إلى فترات بعيدة موغلة في القدم تاريخياً تصل إلى بدء الخليقة، وحواء وآدم، وقصة الخروج من الجنة والاستقرار على الأرض، وبداية التناسل الإنساني.

«إن طرد آدم وحواء من جنة عدن يمثل موضوعاً يلقى بظلاله على أسفار التوراة الخمسة كلها. حيث لم تتوقف التوراة عن الانشغال بموضوع المنفى منذ أن خرج إبراهيم «عليه السلام» ورحل إلى أرض كنعان، وتلى ذلك شتات بنى إسرائيل لفترة طويلة في الصحراء»[١].

وقد أرجعت التوراة شتات أو اغتراب ابنى حواء وآدم لأسباب ربانية، بدءا بطرد حواء وآدم، ثم شتات وغربة قايين على وجه الأرض، حيث جاء في سفر التكوين: «فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها، تائهاً وهارباً تكون في الأرض، فقال قايين للرب ذنبى أعظم من أن يحتمل، إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي، وأكون تائهاً وهارباً، فيكون كل من وجدنى يقتلنى، فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده، فخرج قايين من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقى عدن»[٢].

«وقد هاجر إبراهيم (عليه السلام) بأمر من الرب من موطن ولادته (أوركسديم) في النصف الأول من الألف الثانى ق.م، وبعد فترة تشرد طويلة استقر فى أرض كنعان

(١)איזון, ארנולד: גלות, עם עובד, תל- אביב, 1987, עמ/68.

(٢)تكوين: (٤/ ١١ – ١٦)

(فلسطين)، ولم تحدد التوراة (وهى المصدر الوحيد المتاح لنا حول بدايات تاريخ إسرائيل) الأسباب السياسية والاقتصادية التى جعلته يهجر (أوركشديم)، ولكن من خلال مصادر خارجية أخرى يمكن الاستنتاج أن السبب هو غارات الأعداء لآرام النهرين الجنوبية، التي كانت مصحوبة بأعمال تخريب على ما يبدو من عدد من القبائل السامية التى تشردت في الشمال»[1].

«ويمكن التأكيد أيضاً على حقيقة أن إبراهيم (عليه السلام) كفر بالمعتقدات الوثنية التى كانت سائدة في قبيلته، وكان يؤمن بإله واحد خالق السموات والأرض الذى لم يصنع له أى صنم أو صورة، سواء من الخشب أو الحجر، ويروى أنه وجد نفسه مضطراً لترك تلك البلاد التى يعد فيها كافراً (بالنسبة لهم)، وربما يطارد لهذا السبب، والإقامة في موطن آخر يكون فيه حراً في ممارسة عقيدته، وأن يجد لها تابعين، حيث عرف إبراهيم (عليه السلام) في التاريخ الإنسانى بأنه صاحب عقيدة التوحيد»[2].

وكذلك ترجع التوراة جميع أحداث السبى التى تعرضت لها أسباط ومملكة إسرائيل – مع ضعفها سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً – إلى انحراف ملوكها وعصيانهم للرب، وعدم التزامهم بالتعاليم الدينية الصحيحة، وبالتالي كان من السهل الانقضاض عليها من الدول المجاورة، حيث أصبحت تمثل مطمعاً سهلاً لاستغلال أراضيها وسكانها وخاصة من الآشوريين والبابليين، وما تلى ذلك من أحداث السبيين، الآشوري والبابلي.

«في السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ملك هو شع بن آيلة في السامرة على إسرائيل تسع سنين، وعمل الشر في عينى الرب، ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله. وصعد عليه شلمانسر ملك آشور فصار له هوشع عبداً، ودفع له جزية»[3].

«وكان أن بني إسرائيل أخطؤوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، واتقوا آلهة أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين

---

(١)ורמברנד, מרדכי; ס, רות בצלאל: עם ישראל תולדות 4000 שנה, הוצאת מסדה, (תל – אבעב 1966) , עמ/5.

(٢)ורמברנד, מרדכי; ס, רות בצלאל:שם, עמ/5.

(٣)ملوك ثانى (١٧/ ١–٤).

طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم»[1]. «وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربُعام التى عمل. لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه، كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم»[2].

«وقع السبى الآشورى لإسرائيل عام (٧٢١ ق.م) حيث تم سبى الأسباط العشرة، ورموز أسباط غور الأردن الشرقى والمستوطنين بالشمال لآشور»[3].

«وهناك مصدر أكادي غير كامل حدد عدد الذين تم إجلاؤهم بـ ٣.٠٠٠ أسير، وكانوا على ما يبدو من الرجال فقط، ومن خمس مدن بالجليل، حيث احتلت العاصمة في (٧٢١ق.م). وتم نفى سكان السامرة ٢٧.٢٩٠ نفسًا، ويجب أن نسلم بأن عدد الذين تم إجلاءهم بكل البلاد، كان غريباً»[4].

«وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين، فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى»[5]. «وهذا المنفى إلى حلج ونهر جوزان ومدن مادى، حيث استقروا فى تلك الأماكن وأقاموا بعد ذلك اتصالاً مع منفى يهودا دون أن يعرف اليوم بوضوح كم منهم تكيف مع الذين تم إجلاؤهم من الآخرين، وكم منهم اختلط مع غير اليهود من كل اتجاه»[6].

أما السبى البابلى «فقد ذهب اليهود إلى بابل كأسرى على ثلاث مراحل، كانت الأولى من ٥٩٧ ق.م، عقب سبى «يهوياكين» والذى تم فيه إبعاد حوالى عشرة آلاف رجل، يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفاً من الناس معظمهم من أورشليم، والبقية من مدن الجنوب. وأما السبى الثانى ـ أو السبى الكبير ـ فقد كان فى عام ٥٨٧ق.م، وقد تم

---

(١)ملوك ثانى (١٧/ ٧-٩).

(٢)ملوك ثانى (١٧/ ٢٢-٢٤).

(٣)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'813.

(٤)שם' עמ'813.

(٥)ملوك ثان (١٩ / ١٥).

(٦)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'814.

فيه إبعاد أربعين ألفاً وفقاً لأحد الآراء، وخمسين ألفاً على رأى آخر. ويعد هذا السبى على أى حال بمثابة التشريد لمن سمح لهم بالإقامة فى أورشليم، ومن لم يؤخذ إلى «ربلة» أو بابل، فقد هاجر إلى مصر هرباً مما قد يتعرض له من أذى. وأما السبى الثالث فقد كان عام ٥٨٢ق.م ويظهر أن المجموع النهائى للسبى كان أقل بكثير ممن تركوا فى يهوذا. وكانت يهوذا على أى حال أبعد من أن تكون قد أفرغت كالسامرة من أهلها، أو أتلفت، أو دمرت، أو تركت، دون أن تزرع»[١].

وبالإضافة لذلك تقول دائرة المعارف العبرية: «أن النفى قد استكمل فى صيف ٥٨٧ ق.م، حيث خربت القدس، وتم نفى الكثيرين من الشعب ومعهم ملكهم، وأدى مقتل جداليا بن أحيقام إلى هروب الكثيرين إلى مصر»[٢].

ولم يكن السبى البابلى سبباً عادياً ولكنه كان كارثة للمكان بالنسبة ليهودا، إبان غزوها فى عام ٥٨٦ ق.م «حيث سويت المدن كلها بالأرض، وذبح سكانها ، ولم يكن ذلك من قبيل اضطهاد اليهود، بل كانت تلك هى الطريقة التى يعامل بها الآشوريون والبابليون الولايات الثائرة عليهم، وتركت يهودا خربة، ومقفرة، وغير مسكونة، وأرسلت الطبقات العليا إلى السبى فى بابل، وتفرقت البقية فى عمون، ومؤاب، وسوريا، وفى مصر، فشكلت بذلك بداية الشتات»[٣].

وعلاوة على الشتات اليهودى الناجم عن السبيين، الآشوري والبابلي، كان لهم نصيب من أشكال السبى الأخرى، على غرار ما كان يحدث فى المنطقة فى تلك الآونة، فقد كانت هناك الحروب والتى فى أعقابها يقع اليهود أسرى فى أيدى الأعداء، وكان من عادة المنتصر أن يحتفظ بالأسير بعيداً عن موطنه، ليكون مشتتا وفى خدمته أو يبيعه، حيث كانت تجارة النخاسة رائجة فى ذلك الوقت، وقد سجَّل لنا سفر عاموس إشارة إلى ذلك حيث يروى «أن أهل غزة قد اتخذوا أسرى من الإسرائيليين وباعوهم

(١)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، جـ٢، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٩٠٢ – ٩٠٣.

(٢)האינציקלופדיה העברית שם עמ' 814.

(٣)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور) : المرجع السابق، ص٢١ - ٢٢.

للآدوميين»[1].

وتروى أسفار العهد القديم أيضاً، أن بنى إسرائيل قد مارسوا عملية السبى ضد بعضهم البعض قبل سقوط السامرة، فيروى سفر أخبار الأيام الثانى « أنه فى عهد آحاز وبعد إحدى المعارك التى انتصر فيها ملك إسرائيل أن آحاز هذا دفعه الرب ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة، وقتل ملك إسرائيل مائة وعشرين ألفاً فى يوم واحد من يهوذا وسبى بنو إسرائيل من إخوانهم مائتى ألف من النساء والبنين والبنات، ونهبوا منهم غنيمة وافرة، وأتوا بها إلى السامرة»[2].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن أسلوب السبى كان عادة قديمة عند الأمم المتحاربة فى الأزمنة القديمة، فكان المنتصر يحتجز عنده الأسرى ويقوم بترحيل ما يصبوا إليه من جموع الشعب، وخاصة ذوى المهن والحرف التى تلزمه، ويحتاج إليها لدعم مملكته، علاوة على إزاحة عدد كاف لإضعاف الشعب المهزوم.

«ويذكر التاريخ أن خليفة سرجون الثانى، وهو سنحاريب قد نفى من الجنوب العراقى إلى شماله أكثر من مائتى ألف من الآراميين، عقاباً لهم على اشتراكهم فى ثورة فاشلة بتحريض من العيلاميين، وهذا العدد من الآراميين يفوق سبعة أضعاف المنفيين الإسرائيليين من السامرة إلى بابل»[3].

ويبدو أن أسلوب سرجون الثانى وخليفته فى السبى والإبعاد والتدمير يروق لقادة إسرائيل، فى الوقت الحاضر، حيال التعامل مع الفلسطينيين بانتهاج هذا الأسلوب القديم.

وبطبيعة الحال، كان للسبى آثاره على المعتقدات الدينية، كما هو الحال كما كانت آثاره السياسية والاقتصادية »، فقد تحطمت المعتقدات اليهودية القديمة بعد السبى البابلى، حيث سقطت مقولة (أن أورشليم هى مقر يهوه، ومن ثم فهى لن تقهر، وأن بيت داوود سوف يحكم إلى الأبد)، إذ لم يدافع يهوه عن صهيون ولم يحكم آل داوود إلى

(١)عاموس (١ / ٦).

(٢)أخبار أيام ثان (٢٨/ ٦ : ٩).

(٣)نعناعة، محمود: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، الأنجلو المصرية، (القاهرة ١٩٧٢) ص٢٩٦.

الأبد، ووجد المنفيون فى مصر وبابل حضارات تفوق حضاراتهم بمراحل، وأدركوا كم كانت يهودا صغيرة، وشكوا فى إمكانية أن تكون دولة صغيرة كدولتهم محل اختيار الله العظيم»[1].

«وقد سمح لأهل السبى من اليهود بممارسة ألوان الحياة التى كانوا يحبونها فى بلادهم، واعتادوها، فمنحت لهم الأراضِى ليزرعوها على نفقتهم الخاصة، وكذلك سُمح لهم بمراسلة بنى جلدتهم فى أورشليم ، فكانوا يعيشون في بابل فى شكل عائلات ولهم مطلق الحرية فى تزويج أبنائهم وبناتهم»[2].

ووجد المنفيون أنفسهم فى وسط حضارة غنية أكثر من أى حضارة أخرى من فن، وعمارة، وعلم، وكان لكل هذا الأثر الكبير على تفكير وثقافة المتعلمين من اليهود، مما أدى بهم إلى التأقلم مع المجتمع البابلى والتأثر به، مما انعكس عليهم ثقافياً ودينياً. وحيث كان من بينهم فئات مثقفة وعلى دراية بتعاليم من هذه الأجواء الثقافية والدينية لصالحهم وصالح دينهم»[3].

ولم يتمكن اليهود فى بابل من مباشرة طقوسهم وعباداتهم على النحو المعتاد فى أورشليم، ومن هنا أهمل يوم السبت، وتقاليده، وطقوسه، واستبدلت الأضاحي بالصلوات والصيام، وأهملوا عادة الختان، ولكن فى الوقت نفسه، اتجهوا إلى الرب لإحساسهم بمشقة السبى والغربة، ومن هنا تم إنشاء الكنيس بديلاً عن المعبد فى أورشليم، وتقبلوا ما أصابهم على أنه جزاء من الرب بغرض التطهر من آثامهم وذنوبهم. وقد استفاد اليهود فى شتاتهم من احتكاكهم بالحضارات الأخرى وشعوبها ثقافياً، وأيضاً تجارياً، حيث أثرى لديهم الحس التجارى. كما أدى السبى كذلك إلى ظهور عدد من الأعياد اليهودية، مثل يوم التاسع من آب (أغسطس)، كذكرى لتدمير الهيكل، وكذلك يوم الأول من تشرين (ذكرى تمجيد التوراة)، وظهور صوم جداليا، وكذلك أحي السبى عدداً من الأعياد كعيد المظال، وسنة اليوبيل، وأخذ اليهود عن البابليين كثيراً من

---

(١)نفس المرجع، ص٢٢.

(٢)ارميا (٢٩/ ٦).

(٣)ارميا (٢٤/ ١ - ١٠).

مقومات الحضارة، مثل التوقيت، وسك العملة، والمقاييس، وغيرها ...

«على أية حال، فإن الحقائق التى تظهرها عمليات البحث الأثري، تؤكد بالدليل القاطع، وعلى حد قول الباحث والأثري الشهير W. F. Albright أن التدمير البابلى للمدن اليهودية كان مؤثراً للغاية، لدرجة أن القليل منها قد أعيد تعميره فيما بعد. أما الباحثة المعروفة K. Kenyon فقد أكدت من جانبها، ومن خلال عمليات التنقيب التى أجرتها فى فلسطين، أن «أورشليم» كانت قد دُمرت وهجرت من سكانها ، كما أن مدناً أخرى مثل «لخيش» و«بيت شان» قد انقطع عنها العمران بصفة نهائية بعد التدمير البابلى، وأصبحت غير مأهولة فى تلك الفترة من الزمن. وفى مقابل ذلك التدمير والتشريد البابلى، تروى المصادر التاريخية أنه قد أعيد تعمير أرض فلسطين (فى منطقة يهوذا). بالكثير من القبائل الأجنبية، مثل الآدوميين، والعرب الأنباط، الذين اندفعوا من الجنوب إلى الشمال، ليشكلوا فى النهاية ـ كياناً متداخلاً مع بقايا الإسرائيليين هناك»[1].

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لمصير « يهوذا» (مملكة يهودا فى الجنوب)، فإن مصير السامرة (فى الشمال) كان على شاكلتها فى هذا المصير التدميرى إبان السبى الآشورى، حيث «تروى المصادر الآشورية عن عملية ترحيل تمت بشأن الإسرائيليين، وتذكر مصادر تاريخية أنه قد تم ما لا يقل عن أربع عمليات ترحيل لسكان إسرائيل من القبائل العشرة، فى ظل حكم «سرجون الثانى»، هذا بالإضافة إلى عمليات ترحيل أخرى تمت فى عهد خلفائه « سنحاريب» و «آشور بانيبال» . وقد امتدت عمليات التشريد هذه من جانب الآشوريين لتشمل الإسرائيليين من سكان مملكة «يهوذا» فى الجنوب[2].

«وفى مقابل ذلك الأسر والتشريد، قام الآشوريون بجلب قبائل أجنبية لتعمير السامرة، وغيرها من مدن مملكة إسرائيل المنقضية، وكان من بين هذه القبائل ـ فيما تذكره المصادر ـ أربع قبائل عربية، سكنت مدينة السامرة وحدها، وهى قبائل ثمود، وعيبادى، ومر سيحانو، وحيبايا. وهكذا فقد وصلت المملكة الشمالية الآن ـ على حد

(١)فراج، على مسعد طه: إسرائيل.. إلى أين؟ (دراسة فى فكر وتاريخ اليهود، ومصير دولتهم الحالية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٩.

(٢)نفس المرجع، ص٣٥.

تعبير اللاهوتى اليهودى R. Kittel إلى نهايتها، حتى لو كانت الغالبية العظمى من السكان قد بقيت، حيث أن اللب الحيوى للأمة ـ على حد قوله ـ قد انقضى، وامتزج دين أجنبى وقومية أجنبية مع مثيلتها عند الإسرائيليين، وصار الحكام الآشوريون هم القائمين على شؤون الحكم فى الأرض، ودمرت نقاوة الأسر (الإسرائيلية) الأصيلة، بامتزاجها بالدم الآشورى والبابلى، والعربي، كما عبدت الآلهة الأجنبية فى المعابد المقدسة»[1].

«وهكذا بدأت ألف وثمانمائة عام من المنفى، ولعلي لا أكون مخطئاً (أ. ب. يهوشوع فى كتابه بفضل الطبيعة، شوكن، تل أبيب ١٩٨٠م). إذا ما قلت أنه خلال هذه المئات من السنين ، ومنذ خراب الهيكل الثاني، وحتى بعد الصهيونية، وبالذات حتى أيامنا هذه، لم يبذل اليهود أى مجهود جدى وذى مغزى من أجل العودة إلى فلسطين، ليس فقط من أجل إعادة استقلالهم السياسي، بل حتى من أجل محاولة الاستيطان والتمسك بها[2].

ومن هنا يأتى «التأكيد على ملازمة ظاهرة الشتات اليهودى للتاريخ اليهودي، وعدم أهلية اليهود لتأسيس دول أو ممالك لتعارض ذلك مع مضمون وروح اليهودية، وأن الذى حافظ على اليهود هو الدين، وليس الاستقلال السياسى[3]».

وبناء على ما سبق، نجد أن التاريخ يعيد نفسه، فبعد شتات اليهود ودمار كيانهم المحدود فى فلسطين، وانتشارهم في بابل ومصر وغيرها، وبعدها تتاح أمامهم فرصة التوجه لفلسطين، ولكن يفضلون البقاء فى شتاتهم حرصاً على ما حققوه من مكانة هناك، ومن لم تطب له الإقامة تشتت فى دول أخرى فى شتى أنحاء العالم بعيداً عن فلسطين، كما هو الحال الآن. فبالرغم من الإغراءات والضغوط يبقى اليهود فى شتاتهم بأمريكا وغيرها، وحتى اليهود غير الراضين عن إقامتهم، مثل يهود روسيا يهاجرون إلى دول أخرى، ومن خدعته الصهيونية وحطت قدماه فى إسرائيل يفكر فى اليوم التالى فى مغادرتها

(١)نفس المرجع، ص٣٥- ٣٦.

(٢)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٣٩.

(٣)نفس المرجع، ص١٥.

لشتات جديد.

وعليه نتساءل....

* أين هو الحق التاريخي فى أرض فلسطين والارتباط بها كما يدعون « أرض الميعاد»؟

* أين هى الوحدة السياسية والعضوية التى تربط بينهم؟

* أين هم من الشعوب الطبيعية؟

وتأتينا الإجابة فى الفكرة الرئيسية التى تضمنها كتاب الأديب الإسرائيلى المعاصر أ.ب. يهوشوع (بفضل الطبيعة، شوكن، تل أبيب ١٩٨٠)، والتي عرضها بإيجاز العالم الجليل الأستاذ الدكتور رشاد الشامي، في كتابه (اليهود واليهودية ..)، برؤية جديدة للتاريخ اليهودى حول موضوع الشتات اليهودى عبر التاريخ، قائمة على نظرية مفادها «أن اليهود يشكلون جماعة دينية شتاتية (دياسبورية)، وأن الشتات هو الوسيلة الأكثر ضماناً لاستمرار وجودهم، من خلال التقوقع داخل إطار الدين، وضماناً لأمنهم الاقتصادى (قدر اللحم)، وأنهم لا يصلحون لأن يكونوا شعباً مثل سائر الشعوب فى إطار سياسى فى فلسطين، وأن فلسطين ظلت عبر التاريخ مفتوحة أمامهم دون قيود، ولكنهم لم يهاجروا إليها بجموعهم، واكتفوا بترديد شعارات الأحلام والشوق إليها، وانتظار الخلاص المسيحانى»[١] .

وحول نفس النظرية «يعرض الأستاذ الدكتور نجيب ميخائيل لآراء الباحثين والمؤرخين. ثم يخلص إلى القول: إن الإسرائيليين في أعقاب السبى كانوا قد انتشروا فى أنحاء العالم شرقاً وغرباً، وامتصوا بيسر فى الشعوب التى حلُّوا بها، ومرَّت بهم قرون طويلة، ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم»[٢] .

لقد كانت سياسة قورش الفارسى مغايرة لسياسة البابليين تجاه المسبيين من مختلف المقاطعات، حيث سمح لهم بالعودة، وبالطبع حظى اليهود بهذه السياسة فى

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع سابق، ص٢٩.

(٢)فراج، على مسعد طه: المرجع السابق، ص٣٦.

العودة، حيث صرَّح لهم بالعودة إلى أورشليم، وإعادة كنوز الهيكل على نفقة بيت الملك[1].

«وقد لقي اليهود معاملة حسنة من قورش، والسر فى ذلك يرجعه الباحثون إلى عدة أسباب منها زواجه من إستير اليهودية، وتأثيرها عليه لصالح بني جلدتها. ويرى الدكتور حسن ظاظا أن جيش قورش قد لقى تسهيلات كبيرة من جانب يهود البلاد أثناء حربه ضد بابل، وكان تصريح العودة بمثابة مكافأة لهم على مساعدتهم إياه من دخول المدينة البابلية بسهولة»[2].

«ومع سقوط بابل أصبحت ضمن الإمبراطورية الفارسية، والتى شملت المنطقة من بحر إيجة شرقاً، وحتى أرمينيا شمالاً، وإلى جنوب فلسطين، وكانت هذه تعد أقدم دولة فى فارس، وذلك فى عام ٥٣٩ ق.م. وأصبح قورش السيد المطلق فى الدوائر السياسية، والاجتماعية، والدينية، وعلى يديه سقطت الإمبراطورية البابلية، آخر إمبراطورية للساميين، وبدأ بعد ذلك عهد الآريين من فرس، ورومان، ويونان لكى يظهروا على مسرح التاريخ»[3].

وفيما يخص اليهود المسبيين نجد أن تصريح قورش ينص على أن « يهوه رب السماء قد منحه كل ممالك الأرض، وحمله مسئوليات بناء المعبد فى أورشليم فى يهوذا، ولذلك فقد طالب اليهود، بالعودة إلى بلادهم من أجل المساعدة فى إعادة بناء المعبد، وطالب الباقيين فى بلاد بابل مساعدة هؤلاء العائدين، والتبرع من أجل الباقين فى الأرض، ومن أجل إعادة البناء، وبناء على هذا الوعد فقد قامت مجموعة من المسبيين مع ششبصر ومعهم آنية المعبد التى كان قد حملها نبوخذ نصر من أورشليم إلى بابل، يرافقهم عدد من الخدم ومجموعة من المنشدين»[4].

وفي عام ٥٣٩ق.م، سقطت بابل فى يد الفرس، بعد أن تمكن الملك الفارسى

(١)عزرا (١/ ٧، ٦/ ٣).

(٢)ظاظا، حسن (دكتور): القدس مدينة الله أم مدينة داود، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٤٣.

(٣)إبراهيم، نجيب ميخائيل(دكتور): مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٦.

(٤)عزرا (١/ ٥).

«قورش» من هزيمة البابليين، ودخول عاصمتهم ، ووصفته التوراة بأنه «راعى الرب» (أشعيا ٤٤-٢٨)، ومسيحه (أشعيا ٤٥-١)ن وأصبح في نظر اليهود في منفاهم ممثلاً للعناية الربانية ، ومن هنا كان قراره بالسماح بعودة اليهود لفلسطين ، ولكن الذين لبوا نداء العودة كانوا المغامرين والفقراء وفضل الكثيرون منهم البقاء متمتعين بثرواتهم واستقرارهم في بابل، «إن الكثير من اليهود – خاصة الأغنياء منهم – قد فضلوا البقاء في بابل، حيث هم ليشكلوا أول أفراد يهود الشتات، أو ما عرفوا «Diaspora»[1].

وفي عهد الإمبراطور الرومانى «هدريان»، وقع السبى الكبير ليهود فلسطين من خلال المذابح، والطرد، والنقل »، فرغم المبالغة في أعداد القتلى (خلال المذابح التى ارتكبها الرومان ضد اليهود)، فإن اليهود قد طردوا فعلا من فلسطين إلى كل أجزاء الإمبراطورية الرومانية . وكان عام ١٣٥م، هو التاريخ الذى انتهت فيه نهائياً علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً ... أما من تبقى من يهود فلسطين بعد هذه المذابح والمطاردات (ابتداء من السبيين، الآشوري و البابلي، وحتى أحداث العصر الرومانى). فشراذم ضئيلة ازدادت تناقصاً فيما بعد، بتحول بعض أفرادها إلى المسيحية، ولعل أهم تلك البقايا: السامريين الذين تحولوا إلى قوقعة قزمية معلقة في نابلس (شكيم القديمة) حتى أنها لا تزيد اليوم عن مائة أو مائتين، وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادى لم يكن عدد اليهود في فلسطين يزيد عن عشرة آلاف نسمة»[2].

«تفرق اليهود بعد ذلك في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، فتبعوا الرومان إلى إيطاليا، وأسبانيا، وفرنسا، وألمانيا، حتى الراين الذى وصلوا إليه منذ القرن الثالث الميلادي، حيث تحولت (فرانكفونيا) بالذات إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم . وكادت عاصمتها (فرانكفورت) أن تكون عاصمة «يهود الشتات» الجديدة ومنذ ذلك الحين نشأت علاقة تاريخية وثيقة بين مدينة «فرانكفورت» واليهود ظلت حتى يومنا هذا»[3].

«وقد حدث تبلور كبير للتواجد اليهودى بالإسكندرية، بدءا من القرن الأول قبل

(١)فيليب. حتى (دكتور) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق. ط٢، بيروت، ١٩٥٨ ص ٢٤٣.

(٢)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص ١٠٢٣ ، ١٠٢٤.

(٣)نفس المرجع، ص ١٠٢٥.

الميلاد، حيث ظهرت طوائف يهودية في جميع أنحاء القيصرية الرومانية ، ومع استتباب الأمن والعلاقات التجارية بالقيصرية الرومانية ، ساعد كل ذلك بالتأكيد على رحابة الشتات»، «وقد كبر الاستيطان اليهودى بالإمبراطورية العثمانية بعد طرد أسبانيا، وفي القرون ١٦-١٨ تواجد الاستيطان اليهودى الكبير بالإمبراطورية العثمانية، ومملكة بولندا - لتوانيا . ولكن مرسومى ٤٠٩، ٤٠٥، أديا إلى بداية شتات اليهود من بولندا تجاه الغرب ، وكان هناك التطور التدريجى لتعزيزه واستمراره، طوال أيام العهد الحديث»[(١)] .

«وفي القرن ١٦ بدأ يهود أسبانيا المطرودون في التغلغل لأمريكا، ولكن هجرة مجموعات غريبة من اليهود من ألمانيا تم ذلك فقط، في منتصف القرن ١٩ ، وبدأ عبور جمهور اليهود من أوروبا الشرقية للأرض الجديدة، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية فقط، في الربع الأخير من القرن ١٩ ، وكذا الهجرة الجماهيرية المستمرة للولايات المتحدة، وبعد ذلك لكندا وأمريكا الجنوبية»[(٢)] .

وقد تلى ذلك أحداث بين الحربين العالميتين، الأولى والثانية، وأحداث النازية، ثم مرحلة قيام دولة إسرائيل، عام ١٩٤٨م . وتزايد الدعم واستمراره من الغرب لإسرائيل بدعوى ما تعرض له يهود الشتات من أضرار خلال الحربين، وخلال أحداث النازية . «ومن بين ما يقدر بـ ١٤ مليون يهودى في العالم اليوم يقطن حوالى ٥.٣ ملايين في إسرائيل، وحوالي ٤.٥ ملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يقرب من ٢.٢ في روسيا وأوكرانيا، وفي جمهوريات الاتحاد السوفييتى السابق»[(٣)] .

وأشارت تقديرات مكتب الإحصاء المركزى فى إسرائيل إلى أن عدد سكانها بلغ فى بداية العام الجديد (٢٠٠٢)، ٦.٥ ملايين نسمة، بنسبة زيادة بلغت ٢.١٪ ، تشكل أقل معدل زيادة منذ حقبة ثمانينيات القرن العشرين. وذكرت صحيفة (جيروزاليم بوست) الإسرائيلية، في الأول من يناير ٢٠٠٢ ، أن عدد اليهود من سكان إسرائيل بلغ ٥.٣ ملايين

(١)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'814.

(٢)שם עמ'814.

(٣) www Britannica. Combied article? EU=30783. Encyclopedia Britannica .Diaspora/ 1 of2. 1999- 2001

نسمة، وشمل هذا الرقم مهاجرين لم يسجلوا بصفتهم يهوداً»[١] .

«والدليل القاطع على أن اليهود لم يبذلوا أى جهد من أجل العودة إلى فلسطين هو عدد اليهود الذين كانوا يقيمون فيها، في بداية القرن ١٩ . لقد كان مجموع اليهود ١٥ ألف، من بين شعب يبلغ تعداده ٢.٥ مليون نسمة»[٢].

ولا يزال اليهود حتى الوقت الراهن يتحركون من أماكن الشتات التى تمثل الحياة فيها خطراً ويعانون من قسوة الحياة، على غرار ما يحدث فى الاتحاد السوفييتى (السابق)، إلى مواطن شتات أخرى بعيداً عن إسرائيل، على الرغم من ألاعيب الصهيونية لتحسين صورتها أمامهم لإمكانية جذبهم إليها.

«اليهود ينجذبون إلى المنفى باعتباره الإمكانية التى ينطوى عليها وجودهم، ويكرهونه ويبذلون كل ما فى وسعهم من أجل الصمود فى داخله، ولكنه بالذات يبعد العودة إلى فلسطين، بسبب صفته الآخذة فى التحسن للصمود فى المنفى. إن اليهود يشعرون بأنهم مذنبون لأنهم لا يعودون إلى فلسطين، وبناء على ذلك فإنهم يتفاخرون بها، ويرفعونها أكثر وأكثر، ويحددون لها مضموناً أعمق وقدسية، ويجعلونها بلداً عجيبة، باعتبارها كابوساً، وبلد خطيرة ومجنونة «تأكل ساكنيها»، لكى يبرر مخاوفه من العودة»[٣] .

وإذا كان العامل الاقتصادى والسعى إلى العيش فى مواقع أفضل مادياً واجتماعياً، في الوقت الراهن، هو العقبة أمام هجرة اليهود إلى إسرائيل، فلعل هذا السبب هو ذاته ما كان يدفع اليهود فى العصور القديمة أيضاً، لهجر فلسطين، كما أن اليهود، دائماً، كانوا يسعون للاندماج فى المجتمعات الجديدة التى يدخلونها فى العصور القديمة. فاندمجوا فى بابل، ورفضوا العودة منها. واندمجوا فى مصر، وسوريا، واليونان في العصر اليوناني، ولم يحاولوا العودة إليها، حتى حينما وجَّه شمعون المكابى، الدعوة إليهم للعودة إلى فلسطين، لم يردوا على دعوته. ونفس الحال، في العصر الرومانى، حيث اندمج اليهود فى

(١)الأهرام: نقلاً عن صحيفة جيروزاليم بوست (الإنترنت)، أخبار العالم، ٢ يناير ٢٠٠٢، ص ٤

(٢)الشامى، رشاد (دكتور): المرجع السابق، ص ٤١.

(٣)نفس المرجع، ص ٥٠.

شتى أنحاء الأرض، وهو ما أكده البحث، حيث واصلوا اندماجهم فى كل من مصر، ولم يفكر اليهود فى تركها والعودة لفلسطين، رغم أحداث الفتنة التى وقعت على أراضيها، وكانوا هم شريكاً فيها، ورغم ما أصاب اليهود من جرائها. كما واصلوا اندماجهم فى كل من سوريا وبابل. وأظهروا اندماجاً كبيراً فى مدن روما، في ذلك العصر[(١)].



(١)جوهر، هاني عبد العزيز السيد، ظاهرة الخروج اليهودى من فلسطين فى العصور القديمة، دراسة تاريخية تحليلية للعوامل والنتائج، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م، ص٢٩٩.

الفصل الثاني

مفهوم الشتات اليهودي في ضوء المنظور اليهودي المسيحاني وتطويعه سياسياً

«تمثل فكرة ظهور مسيح يهودي من نسل داوود، وفق علامات معينة فى زمن من الأزمان، أحد الأصول الراسخة فى العقيدة الدينية اليهودية، التى انبثق عنها بناء كامل من المفاهيم العنصرية التى تزرع فى الوجدان اليهودي أفكار الاستعلاء العنصرى على سائر الشعوب»[(١)] .

«وتعد شخصية المسيح هى الشخصية الفريدة الوحيدة التى تحتل مكاناً مهماً فى أوصاف الخلاص المختلفة، ومن الممكن إدراك شخصية المسيح بطريقتين. فمن الممكن أن نرى فيه رجل المعجزات، ومن الممكن أن نرى فيه رمز تحقيق الآمال وحل المشكلات المتعلقة بالخلاص. والمسيح مكلف بأداء مهمة مزدوجة، إذ يجب عليه أن يقود الشعب فى آلام النهاية، وأن يقود الأمة والعالم كله إلى شاطئ الأمان فى عصر الكمال. وقد حدَّد الفكر المدراشي (الخاص بالمواعظ والتفاسير الدينية اليهودية) شخصين لأداء المهمتين، المسيح بن يوسف ليوم العقاب والجزاء، والمسيح بن داود للأيام الطيبة»[(٢)] .

«وليس مبدأ انتظار المسيح المخلِّص. بمفهوم طارئ على اليهودية، كما أنه ليس قاصراً على المتدينين، فالإيمان (بالمسيح المنتظر) الذى يطلق عليه اليهود اسم (المسيح بن داود) هو اعتقاد راسخ عند عامة اليهود. منذ السبى البابلى. ويعزو بعض

(١)الدبوسي، منى ناظم (دكتور): المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، نحن وهم(١)، الاتحاد للصحافة والنشر، أبو ظبي، ١٩٨٦، ص١٨.

(٢)רפל, דב: «הרמב»ן על הגלות ועל הגאולה«, מאמר בספר גאולה ומדינה– גאולת ישראל – חזון ומציאות , עם ומדינה בתפיסת היהדות , משרד החנוך , המחלקה לתרבות, עמ'107- 108.

الباحثين هذه الظاهرة إلى إحساس اليهود، آنذاك، بحاجتهم إلى من يخلصهم من السبى البابلى، لذا اقترن انتظار المسيح عند اليهود بانتظار حدوث الخير كله، حيث سينقلب حالهم عند قدومه إلى أحسن حال، وسيحقق لهم المسيح كل أمانيهم، فيجمع لهم شتات المنفيين، ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء إسرائيل. ويتخذ (أورشليم) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعة المكتوبة والشفوية»[١] .

وعلى مدى التاريخ الطويل لليهود فى شتاتهم فى شتى أنحاء العالم، ابتداء من السبى الآشوري، عام ٧٢٢ ق.م ، والسبى البابلي، عام ٥٨٦ ق.م، ثم الشتات الكبير، عام ٧٠م، في العهد الروماني، وحتى ظهور الصهيونية وانتشار مبادئها وأفكارها كان اليهود ـ وبمعنى أدق من حافظ منهم على يهوديته فى شتاته ـ يتصورون أن حمايتهم وبقاءهم متعلقة بتعلقهم بالدين اليهودي، وأن خلاصهم وخلاص أبنائهم وأحفادهم ومن يأتى من بعدهم من نسلهم متعلق بفكرة الخلاص المسيحانى[٢]، المتمثل في ظهور مسيح يهودي له قدرات خارقة تخلص شعوب العالم من انكسارهم وشتاتهم، ويحل عهد يكون لهم فيه السيادة على جميع شعوب العالم، وكذا عبادة تلك الشعوب لربهم «يهوه» مع الخضوع التام لليهود ومساعدتهم (حسب رؤيتهم) فى التمركز فى «أرض الميعاد»[٣] .

وقد كانت حركة اليهود فى دول الشتات تحكمها آراء وتأويلات فقهائهم فى التوراة والتلمود، بالإضافة إلى فكرة الخلاص المسيحانى الراسخة فى فكرهم منذ القدم. فمنذ عصر ثورة «بركوخبا»، وحتى ظهور الصهيونية، كان يتم التعبير عن المفهوم السياسى الرئيسى لليهودية من خلال « العهود التلمودية الثلاثة التى أمر بها الرب، ويمكن إيجازها فيما يلى:

---

(١)الزرو، صلاح (باحث فلسطينى): المتدينون فى المجتمع الإسرائيلى، رابطة الجامعيين، فلسطين، ١٩٩٠، ص١٥٦.

(٢)وهو الاعتقاد لدى اليهود فى مجيء مسيح يهودى متميز بصفات القدرة القتالية، يمكّن بني إسرائيل من الخروج من حالة الهزيمة العسكرية، والفشل السياسي، والانحلال الديني والخلقي، وتمنيهم مجيء عالم مثالى سيتحقق لهم فيه ـ على ما يعتقدون ـ السيادة على سائر الشعوب. للمزيد راجع، الدبوسى، منى ناظم، المرجع السابق.

(٣)רפל, דב: שם, עמ'107- 108.

* عدم حدوث حركة انتقال جماعية لليهود من بلاد الشتات (الدياسبورا) إلى «أرض إسرائيل».

* عدم الثورة على شعوب العالم.

* عدم الإفراط فى اضطهاد الشعوب غير اليهودية للشعب اليهودي.

ولذلك كانت الصهيونية محرمة، كما حاولت الصهيونية الدينية المعاصرة إعادة تفسير تلك العهود من جديد، والحد من قوتها، فزعمت على سبيل المثال، أن شعوب العالم لم تلتزم بما عليها من الصفقة طبقاً لما جاء فى العهد الثالث، ولذلك فإن اليهود المعاصرين يمكنهم الهجرة الجماعية إلى «وطنهم»، وهذا التفسير يجعل من الصهيونية مسألة شرطية محضة، فلو أن غير اليهود لم يتجاهلوا عهد عدم اضطهاد اليهود، لكان على اليهود أن يمتنعوا عن الهجرة الجماعية إلى أرض إسرائيل(١).

وعندما ظهرت الحركة الصهيونية فى العصر الحديث (القرن التاسع عشر)، وتبنت وسائل خلاص سياسية وعسكرية، استهدفت تصفية الشتات اليهودي، وهجرة اليهود إلى فلسطين، بغرض الاستعمار والاستيطان. وقد استغلت الصهيونية مفهوم الخلاص المسيحانى كدافع دينى ساعدها فى زحزحة يهود الشتات من مواطن استقرارهم وهجرتهم إلى فلسطين.

«وعلى مدى التاريخ، وحتى العصر الحالي، استغل اليهود الأفكار الدينية، وطوعوها لخدمة أغراضهم السياسية والاستعمارية. فنرى أن مفهوم المسيحانية قد تعرض للتطويع من قبل ربانى اليهود فى العصر الحديث لخدمة الأغراض الصهيونية بتهجير اليهود من الشتات لاستعمار فلسطين، واعتبروا أن هذه الخطوة تمثل خطوة تمهيدية لقدوم المسيح المخلِّص، وهى عبارة عن مجهود بشرى يضاف إلى الأعمال الربانية، وذلك لأن الرب يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم»(٢).

---

(١) هاركابى، يهوشافاط: ساعة إسرائيل المصيرية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٧٩٤)، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) Jacob, Lowis: Principles of the Jewish faith, An analytical study, (London 1964), p.358.

ومع تمسح الحركة الصهيونية بالسياج الديني اليهودي، وبمفهوم الخلاص المسيحاني، تعددت التيارات داخلها على مختلف أشكالها ومسمياتها، والتي تدور في فلك واحد، وهو الخلاص سواء كان مسيحانياً صرفاً، أو مسيحانياً مسبوقاً بجهود بشرية تمهيدية (حسب تأويل حاخامات الصهيونية لهذا الخلاص)، مما أفرز حركات صهيونية مختلفة، مثل حركة «جوش إيمونيم גוש אמונים »[1]، و«الحزب الديني القومي מפלגה דתית לאומית المفدال מפד«ל)»، وغيرها[2].

ورغم الاختلاف حول الوسائل الصهيونية التنفيذية حول ما يسمى «مشكلة اليهود»[3] ، ومنها إقامة دولة يهودية، فإن هذه التيارات كلها تبنت الوسائل الإرهابية

(١)جوش إيمونيم«גוש אמונים» ، حركة سياسية غير حزبية، قائمة على طموحات دينية كانت تابعة لحزب المفدال، ثم ما لبثت أن انفصلت عنه، في أواخر عام ١٩٧٤م، وظهرت واضحة، بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، وما سببته من مشاعر إحباط داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث رأى أتباعها أن الصهيونية الدينية هي الحل والبديل عن الصهيونية العلمانية التى أعلنت إفلاسها، وتتبنى فكرة (أرض إسرائيل الكبرى) وترفض اتفاقيات السلام مع العرب، وتتبنى فكرة الاستيطان الشامل والاحتلال. للمزيد راجع: الزرو، صلاح: المرجع السابق.

(٢)الحزب الديني القومي «מפלגה דתית לאומית»، برز بعد قيام إسرائيل، عام ١٩٤٨، اتجاه قوى لتوحيد حزبي «المزراحي» و«العامل المزراحي» . وكانت الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه توحيد الحركتين العالميتين لهذين الحزبين، في الخارج عام ١٩٥٥م. وبعد التوحيد على الصعيد العالمى دعى إلى عقد مؤتمر مشترك فى إسرائيل، عام ١٩٥٦م، وفيه تقرر تشكيل «الحزب الدينى القومى» الذى عرف باسم «مفدال»، اختصاراً «מפלגה דתית לאומית» . هذا وقد تبنى هذا الحزب أفكاراً أيديولوجية مفادها دولة إسرائيل الكبرى من البحر للنهر، عاصمتها القدس، واستمرار الاستيطان، ورفض قيام دولة فلسطينية . للمزيد راجع، الشامى، رشاد عبد الله(دكتور): القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٨٦، ص١١٢ - ١١٣

(٣)أدت بلورة القومية الحديثة فى أوروبا (وهى تلك القومية التى تميل نحو التجانس بإبعاد العناصر الغريبة عن هذا التجانس)، إلى ظهور طبقات وسطى شعبية، تناضل من أجل السيطرة على أعمال السمسرة التى تركز فيها نشاط اليهود. وتحولت « معاداة السامية» فى ذلك الوقت، فى تحليل بوروخوف إلى أيديولوجية خاصة بالطبقة البرجوازية الصغرى والبرجوازية الوسطى، كوسيلة من وسائل الصراع الطبقى بين اليهود والسكان الذين يستضيفونهم. وتحوّل اليهود الذين أبعدوا فى ذلك الحين عن وظائفهم الاجتماعية السابقة إلى «أغلبية بورجوازية»، وإلى «برجوازية مماطلة» توازى «الأغلبية البروليتارية»، وهكذا نشأت المشكلة اليهودية. للمزيد راجع، عفرون، بوعز: الحساب القومى، ترجمة: محمود محمد أبو غدير ، مركز الدراسات الشرقية ـ الدراسات الدينية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص١٤١.

والعنصرية الرامية لتفريغ فلسطين من سكانها العرب الأصليين، وإحلال يهود من الشتات بدلاً منهم.

ومن هنا، كان التمهيد للصهيونية الدينية، فقد انطلقت من أفكار الحاخام (يهودا القلعى ١٧٩٨-١٨٧٨)، المولود في سراييفو، والذى دعا إلى خلاص اليهود بالعودة إلى التلمود وأساطير (القبالاة)، واقترح في كراسته «اسمعى يا إسرائيل»، التي نشرها، عام ١٨٣٤، العودة إلى فلسطين تحت قيادة زعامة بشرية، دون انتظار للمسيح المخلص، كما دعا إلى إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كى تكون مقدمة لظهور المسيح المنتظر. وبناء على حسابات كان قد أجراها اعتماداً على القبالاة، توقع القلعى أن يظهر المسيح، عام ١٨٤٠. ولما لم يحدث ما توقع فقد غير رأيه، وأعلن أن الخلاص لا يمكن أن يأتى فجأة أو مرة واحدة، وإنما ينبغى العمل بجد في سبيله، وأن هذا الخلاص الذاتى سيتم بالدعوة إلى عقد جمعية كبرى، وقيام صندوق قومى لشراء الأرض، وهى نفس الأفكار التى تبناها هرتزل فيما بعد، وقد فسر فى كتابه (الخلاص الثالث)، الخلاص الجديد على أساس الاستيطان في فلسطين؛ بقصد تعمير الأرض الخربة، وإحياء اللغة العبرية»[1].

ولما كان هناك ارتياح دينى بين يهود الشتات لفكرة المسيح المخلِّص بقوته الإلهية، وانتظاره ليخلصهم من شتاتهم، فإن الذين تبنوا فكرة الاستعجال الدنيوى ووجهوا بمواجهات قوية لتحقيق أغراضهم الدنيوية. «فقد استطاع القلعى التأثير على أحد زملائه، وهو الحاخام البولندى (تسفى هيرش كاليشر ١٧٩٥-١٨٧٤). ولم يكن تمرد الحاخامين القلعى وكاليشر على فكرة انتظار المسيح المنتظر، عملاً سهلاً، إذ إن أكثرية الحاخامات ورجال الدين اليهود كانت، حتى ذلك الوقت، تعتبر هذه الدعوة نوعاً من الهرطقة، وزاد من صعوبة موقف كاليشر بالذات أنه قام بنشر اجتهاداته في مجتمع يهودى متدين، كان يشك في أية دعوة لإقامة دولة يهودية، لذا لجأ في كتابه « البحث عن صهيون » إلى الاقتباس المكثف من التلمود، وكتابات كبار الحاخامات الذين سبقوه، والتى تؤيد وجهة نظره . ومهما يكن الأمر، فإن آراء هذين الحاخامين، بالرغم من أنها لم

(١)الزور، صلاح: المرجع السابق، ص ١٦٦ـ ١٦٧

تحظ بالتأييد الكامل من قبل أغلب حاخامات العصر، فقد شكلت في النهاية المقدمة المطلوبة لبروز تيار الصهيونية الدينية، داخل التجمعات اليهودية»[١] .

«ودعا القلعى إلى ضرورة إنشاء مجلس حاخامات يرعى شؤون اليهود إلى أن يغادروا أرض «المنفى»، ذلك لأن تحقيق خلاص اليهود يعتمد على الجهود البشرية، وأن إيجاد تنظيم جسدى يهودى عالمى واحد هو في حد ذاته خطوة نحو الخلاص، وهذا من شأنه أن يؤدى إلى مجيء المسيح المخلص»[٢].

وبالإضافة إلى تلك التيارات الصهيونية المختلفة «فقد نشأت أيضاً، صهيونية أخرى ـ صهيونية الخلاص ـ حيث كان المبشر بها وباعثها الكبير الحاخام «كوك»، تلك الصهيونية لم تأت لحل (ما يسمى) «مشكلة اليهود» من خلال إقامة دولة يهودية، ولكن عن طريق استخدام وسيلة العناية الإلهية العليا لإعداد إسرائيل لساعة الخلاص المسيحانى»[٣].

وفيما يتعلق بحياة اليهودي في الشتات، وعلاقته بالرب، وبالخلاص ، وبأرض الميعاد، يرى «كوك» أن الفرد اليهودي يستطيع أن ينفذ كل الوصايا الملقاه عليه فى حياته فى «المنفى»، ولكن لا يعد يهودياً كاملاً لأنه منفصل عن «أرض إسرائيل»، فهذا المكان فى نهاية الأمر فاقد للقداسة. ويرى كوك ضرورة العودة إلى صهيون، ليس فقط كرغبة مستحسنة لأيام الخلاص، وإنما كأمر عاجل لكل يهودي؛ لأن من يعيش فى المنفى يحيا فى نجاسة، لا يستطيع التحرر منها طالما أنه يقيم خارج «أرض إسرائيل»، ويقول : «ليس فى إمكان فرد من إسرائيل أن يكون مخلصاً وأميناً لأفكاره، ودراساته، وآرائه وتصوراته، خارج البلاد، كالاستعداد لهذا الخلاص فى «أرض إسرائيل»، أما خارجها فإنه يختلط بقيود عديدة..»[٤].

(١)المرجع السابق، ص ١٦٧.

Jacob. Lowis: Principles. Op. Cit, p. 358.(٢)

(٣)רובינשטיין, אמנון: מהרצל עד רבין והלאי, מאה שמות ציונות, הוצאת שוקן, ירושלים, 1997, עמ' 139.

(٤)אבי נורי, שלמה: הרעיון הציוני לגוניו, פרקים בתולדות המחשבה הלאומית היהודית, פרק שבעה עשר, הרב קוק: הדיאלקטיקה שבגאולה, ספר אפקים, עם עובד, תל- אביב, 1981, עמ'218 -219.

وبناء عليه نجد أن فكر الحاخام كوك يركز على المكان والتواجد اليهودي في «أرض إسرائيل»، لتحقيق القداسة (من وجهة نظره) على هذه الأرض.

ويؤكد الحاخام كوك على ذلك، فيقول :«ليست أرض إسرائيل» المجردة، القدس السماوية الروحية، التي لم تقم سوى فى خيال الناس هى المعطاة، بل «أرض إسرائيل» الحقيقية. لذلك يقر الحاخام كوك: « أن التعزيز الحقيقى للفكرة اليهودية فى «المنفى» يأتى فقط، من عمق انغماسها فى «أرض إسرائيل»، ومن طلب «أرض إسرائيل »، وكونها تتلقى، دائماً، كل استعداداتها الذاتية، ترقب الخلاص هو أساس قوة اليهودية المهجرية، ويهودية «أرض إسرائيل»، هي الخلاص ذاته»[١].

وحول الشتات وإقامة دولة يهودية، يرى الحاخام كوك :«أن إقامة دولة يهودية كدولة بين عالم تسوده القوة هو هدف فى حد ذاته، حيث كان يدرك أنه إذا أقيمت دولة يهودية فى العالم الذى لم يتم خلاصه بعد، فإن هذه الدولة لكي تتحقق ستضطر بالضرورة إلى التورط فى أزمات وصراعات القوة، بمعنى أنها لن تستطيع أن تكون دولة سوية ومخلصة لشعب مخلص. ولهذا السبب، فإن الخلاص الحقيقى والنهائى لليهود لن يتحقق أبداً إلا إذا تم خلاص جميع الشعوب، وحينئذ ستتمكن إسرائيل أو(اليهود) من السير وفقاً لأخلاقيات شريعة إسرائيل»[٢].

ويقول الحاخام كوك، أيضاً : « إنهم كانوا في الماضي يتخلون عن النموذج الأخلاقى مجبرين، ولذلك كانت القداسة العظيمة المتعلقة بالأخلاق الدبلوماسية اليهودية مستترة خلف موجبات إدارة الدولة قديماً؛ لكن هذا الوضع توقف بسبب الشتات المتواصل الذي وضع نهاية للحياة السياسية اليهودية، ولضرورة التنازلات الأخلاقية فى الوجود اليهودي»[٣].

«ويعتقد الحاخام كوك أن لخلاص إسرائيل مغزى كونيًا، فكما اختار الخالق

---

(١)שם, עמ'220.

(٢)אבי נורי, שלמה, שם, עמ'225.

(٣)גלמן, יהודה: «ציון וירושלים – המדינה היהודית על – פי הרב אברהם יצחק קוק», מאמר בספר עירונים בתקומת ישראל, כרך«4, המרכז למורשת בן גוריון, 1994, עמ'513.

إسرائيل، فمن المؤكد أن العالم كله خليقته، وكل إنسان ـ وليس فحسب، الإنسان اليهودي ـ قد خلق على صورة الرب. ونفس الجانب من التقاليد اليهودية يقضي أن القدوس تبارك قد وبّخ ملائكته عندما أخذوا فى الغناء وقت غرق فرعون وكل جيوشه فى البحر، بقوله:«صنع يدى يغرقون فى البحر وأنتم تغنون». ويبرز هذا الجانب فى أقوال الحاخام كوك الذى يربط خلاص إسرائيل بالخلاص العالمي»[1].

وما يعنينا هنا فى فكر الحاخام كوك ـ بعيداً عما ورد من مغالطات حول الأخلاق، والتقاليد اليهودية، والقداسة، والحياة السياسية ـ هو الخلاص المسيحانى وعلاقته بالشتات، فهو يرى أن الخلاص سيكون ربانياً وللبشر كافة لتحقيق الخلاص، ولاختيار اليهود.

وعندما طرحت الحركة الصهيونية فكرة إنشاء دولة لليهود، جوبهت بمعارضة شديدة من يهود الشتات المتدينين، وخاصة مع شدة تعلقهم بمفهوم المسيح المخلِّص، وإيمانهم القوى بمقدرته الربانية على إنهاء شتاتهم، وأن أى عمل بشرى في هذا المجال يعد تعدياً مرفوضاً على القدرات الربانية. لذا فقد لجأت الحركة الصهيونية إلى «الالتفاف على هذه الفكرة (الخلاص المسيحانى) عن طريق الادعاء بأن جهودها لإقامة وطن قومى لليهود في فلسطين، ستكون من أجل تمهيد الطريق أمام قدوم المسيح، بيد أن هذا التعليل لم يخدع قطاعاً واسعاً من اليهود، وخاصة المتدينين المتشددين «الحريديم». إن «أجودات يسرائيل»، على سبيل المثال، اعتبرت أن الجهود لإقامة دولة يهودية في فلسطين هى اعتداء على سلطة المسيح، واستعجال للنهاية (دحيقت هكيتس) غير مرغوب فيه. وعندما حاولت (أجودات يسرائيل)، في الثلاثينيات، مد الجسور مع الحركة الصهيونية أدت هذه المحاولات إلى انشقاق صغير داخلها، وأسفر هذا الانشقاق عن ظهور حركة (ناطورى كارتا) التي رفضت الاعتراف بالحركة الصهيونية وبدولة إسرائيل، حتى اليوم، وذلك لأن هذه الدولة، حسب مفاهيم (ناطورى كارتا)، قامت على يد نفر من الكافرين الذين حرَّفوا مشيئة الله بعملهم، وتطاولوا على وعد الرب بصورة إعجازية، فالمسيح المنتظر هو وحده القادر على إقامة الدولة حيث تكون مملكة

(١)אבי נורי, שלמה, שם, עמ'223- 224.

الكهنة والقديسين»[1].

وإذا كان الشتات، كما حددنا من قبل، يعنى التجزئة والتفكك، ويعنى في حال اليهود (الفئات البعيدة عن «فلسطين» التى تقطن بأماكن وبلاد غير فلسطين)، فإن هذا التحديد ينطبق على اليهود الصهاينة، لكن بالنسبة لليهود غير الصهيونيين أو اليهود المعادين للصهيونية، فإن اصطلاح «الشتات» لا يعنى شيئاً بالنسبة لهم؛ لأنهم يعتبرون أن يهود العالم مواطنون في البلاد التى يسكنون فيها، واندماجهم في مجتمعاتهم يتعارض مع مفهوم التفكك والشتات. والمثال على ذلك، أن اليهود الأمريكيين ينحدرون من أصول أوروبية، لكن يهوديتهم، وعلى الرغم من أنها اكتسبت الكثير من الثقافة اليديشية، تميزت بميزات خاصة تبلورت من خلال التطورات في المجتمع الأمريكي، وبعكس الكثيرين من اليهود الأوروبيين الذين لم ينخرطوا في المجتمعات الأوربية، فإن يهود أمريكا استوعبوا الثقافة الأمريكية وانخرطوا في المجتمع الأمريكى، وبذلك تمكنوا من استخدام المؤسسات الأمريكية للوصول إلى مراكز ومواقع إستراتيجية، كما أنهم ساهموا في بناء المجتمع الأمريكى، وقدموا خدمات اجتماعية إلى الرعايا اليهود، وغيرهم»[2].

«لذلك السبب كانت ردة الفعل في أوساط الجالية اليهودية في أمريكا سلبية للغاية، حينما توجهت الحركة الصهيونية إلى مشروع بناء الوطن القومى لليهود في فلسطين. وعلى الرغم من أن الصدام بين الصهيونية السياسية والصهيونية الروحية حدث في أمريكا، كما حدث في أوروبا، فإن اليهود الأمريكيين لم يشعروا بأنهم كانوا يجابهون «مشكلة يهودية»، كما كان يشعر بها اليهود الأوربيون، وهو الأمر الذى جعل يهود أوروبا يدعمون الصهيونية السياسية باعتبارها الحل ليهود الشتات. وكانت الحركة الصهيونية السياسية هى أيضاً الحل المنشود «للمشكلة اليهودية في أوروبا»، أما يهود أمريكا فإنهم لم يشعروا بالتعاطف نفسه مع الصهيونية السياسية بما أنهم أدانوها كحركة تعزل اليهود عن المجتمعات التى يعيشون فيها، وبذلك تصبح مصدر خطر لا صمام

(١) الشامى، رشاد (دكتور): المرجع السابق، ص ١٢٩، ١٢٨ .

(٢) عارودى، نصير (باحث فلسطيني): دراسات إسرائيل ويهود الشتات، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٨، ١٩٩٩م، ص٣١ .

أمان»[١] .

وفي تصور لصمام الأمان ليهود الشتات، أيد حاخامات الحركة «الحسيدية» أن جوهر الخلاص المسيحانى سيكون مكانه في الشتات. فالحاخام الحسيدى «شينورسون»، يقول : إنه في المرحلة الأولى من الخلاص المسيحانى لن تتغير قوانين الطبيعة»، ويقول في أحيان أخرى « ستحدث تغيرات مدهشة بمثابة معجزات فور مجيء المسيح». والجزء الرئيسى في نبوءة (حبد) هو أن الناس والحيوانات، على حد السواء، سوف يرتقون إلى مستوى أعلى في معرفة القدوس، ويعتبر هذا الأمر بمثابة لقاء حقيقى بين « حبد » و « الرمبام»، حيث يرضع كلاهما من أقوال النبى « أشعيا»: «وتمتلئ الأرض بمعرفة الرب كالمياه تغطى البحر». ولكن هل سيأتى الحاخام إلى إسرائيل ؟ إن بعضاً من تعبيراته التى ترتبط بالمعجزات تقول: إن الهيكل سوف يهبط على مقر « حبد » في «كراون هايتس»، أى أنه سوف ينتظر الخلاص في «المنفى»، بجوار قبر «صهره»[٢].

وإلى جانب «الحسيديم» وأفكارهم المناوئة لأفكار الصهيونية، وتحفظهم حول مفهوم الخلاص المسيحانى، من حيث الوسيلة التى يجب أن تكون ربانية بحتة، دون تدخل بشرى أو من حيث المكان، هناك الحركة الإصلاحية[٣]، التي كانت أهدافها تصل إلى الانصهار والاندماج مع شعوب الشتات، ويجابهون الأفكار الصهيونية. ومن هنا، وقع الصدام الحاد بين مفكرى الحركتين، ولكن «على الرغم من أن المفكرين الصهيونيين الأوائل، أمثال (سمولنسكين وكاليشر)، حاربوا الإصلاحية، خشية انصهار اليهود في المجتمعات التى يعيشون فيها، إلا أن الحركة الإصلاحية قدمت خدمة عظيمة للحركة الصهيونية بإلغائها لفكرة المسيح المنتظر، حيث أصبح بالإمكان العودة إلى

(١) Garym. Smith Zionism: The dream and the reality: a Jewish critdue, Barnes and Nobel books, New York, 1974 p.31.

(٢)الشامى رشاد (دكتور) : القوى الدينية في إسرائيل، بين تكفير الدولة ولعبة السياسة،عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٨٦، ١٩٩٤، ص ٢٨٧ .

(٣)الحركة الإصلاحية : بدأت فى التبلور على مستوى الطقوس حين ادخل أتباعها مجموعة من التعديلات على الطقوس الدينية التى كانت سائدة وخاصة بعد أن طالب (فريد لانداو ١٧٥٦-١٨٣٤) بتغير الطقوس اليهودية، حتى يستطيع فهمها اليهود ممن كان أغلبهم - باستثناء الحاخامات - لا يتقنون اللغة العبرية. للمزيد راجع: الزرو، صلاح، ص١٢٥.

فلسطين دون انتظار المسيح. وهكذا استطاعت الحركة الصهيونية اختراق الحركة الإصلاحية وتحييد حركتها لمصلحة الصهيونية»[١].

«إلا أن دعاة الفكرة الصهيونية في الحركة الإصلاحية[٢] ظلوا هامشيين، حتى أنه لما تمت صياغة البرنامج الصهيونى في بازل بسويسرا ١٨٩٧م، اعتبرت الإصلاحية هذا الإجراء (هوساً دينياً)، وأخرج المتعاطفون مع الصهيونية من (اتحاد التجمعات الدينية العبرية الأمريكية)، وذلك أن مؤسس الاتحاد الراب (إسحاق وايز)، كان من كبار المعادين للصهيونية بالرغم من أنه لم يكن لديه اعتراض على الاستيطان في فلسطين، خصوصاً من قبل أولئك الذين لا يجدون مأوى يضمهم، لكن الاستيطان فى رأيه ليس الوسيلة الوحيدة لتحقيق غايات اليهود. وقد صرح، قائلاً: «إن فكرة عودة إسرائيل إلى فلسطين ليست جزءاً من عقيدتنا، فإعادة إسرائيل سياسياً لا يمكن تحقيقها في فلسطين، وأكد مبدأ الإصلاحية القائل: «في الدين وحده نحن يهود، وفي جميع الأمور الأخرى نحن مواطنون أمريكيون»[٣] .

ومن هنا، نرى أن الحركة الإصلاحية بدأت معادية للصهيونية، ثم مؤيدة لها فيما بعد، ولكن على الرغم من ذلك فقد استمر تيار داخل الإصلاحية معارضاً للصهيونية، وقد قام هذا التيار بتنظيم نفسه رسمياً، عام ١٩٤٣، وذلك بتأسيس المجلس الأمريكى لليهودية (American Council For Judaism)، الذي اعتبر نفسه البديل اليهودي للصهيونية، وقد ورد في بيانه التأسيسى فيما يتعلق بفلسطين: «نحن نعارض الجهود الرامية إلى إقامة دولة يهودية قومية في فلسطين، أو غيرها من أنحاء العالم، باعتبارها تنم

(١)الزرو، صلاح: المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٢)نشأ الفكر الإصلاحى اليهودي في ألمانيا، ثم انتقل إلى أمريكا، وحاول مؤسسو الحركة الإصلاحية الوصول إلى صيغة معاصره لليهود تلائم العصر الحديث، وتخلصت من جمود التلمود، ومن أفكار هذه الحركة وقوانينها، أن العالم والإنسانية كلها تقع تحت رعاية الله، وأن اختيار بنى إسرائيل من قبل الله لا يعطى لليهود أى ميزة، بل يلقى على كاهله واجبات أعظم. وبالرغم من أن المفكرين الصهيونيين الأوائل، أمثال (كولتسكين وكاليشر)، حاربوا الإصلاحية خشية انصهار اليهود فى مجتمعات شتاتهم، إلا أن الحركة قدمت خدمة عظيمة للصهيونية بإلغائها فكرة المسيح المنتظر، وأصبح في الإمكان الهجرة إلى فلسطين دون انتظار المسيح المخلص، وهكذا أصبحت الحركة فى خدمة الصهيونية. الزرو: مرجع سابق ص ١٢٥-١٢٦.

(٣)المرجع السابق، ص١٢٧.

عن فلسفة انهزامية، ولا تقدم حلاً عملياً للمشكلة اليهودية، وتخالف جميع العقائد المتصلة بذلك بتشديدها على عنصرية اليهود، وقوميتهم، وتشردهم النظرى. إننا نعارض تلك العقائد لإضرارها بمصلحة اليهود في فلسطين، وفي أمريكا، وحيثما يقيم اليهود – فلسطين هى جزء من تراث إسرائيل الديني، مثلما أنها تؤلف جزءا من تراث ديانتين عالميتين غير اليهودية، نحن نتطلع إلى قيام حكم ديمقراطى مستقل في فلسطين، في نهاية المطاف، يمثل فيه اليهود، والمسلمون، والمسيحيون، تمثيلاً عادلاً، ويتمتع كل امرئ بالحقوق المتساوية مثلما يشارك في الواجبات بالتساوى، حكم ديمقراطى يكون إخواننا اليهود فى ظله مواطنين فلسطينيين أحراراً، وديانتهم اليهودية مثلنا، فنحن من الأمريكيين الذين ديانتهم اليهودية» [١].

ولما كان تواجد اليهود فى أرجاء الشتات فى أوروبا هو المصدر الأول لنشأة الحركة الصهيونية، وما تفرع عنها من تيارات أخرى، سواء كانت مناصرة أو مناوئة لها، فقد كان أيضاً، مصدراً لجميع التيارات الأخرى ذات الصلة بمفهوم الخلاص المسيحانى، وصلته بالشتات ودولة إسرائيل. «فقد كان لبعض «الأرثوذكس» المتحالفين مع «أجوداه» موقف قومي فى مساندة أتباع لغة وعادات بلد الشتات، وهكذا مزجوا بين الأرثوذكسية المعادية للقومية والمناصرين لها. ولكن الأغلبية العظمى من اليهود الأرثوذكس، وبالتحديد القسم الأكبر من المحافظين منهم (أتباع الحسيديم)، أقاموا في شرق أوروبا، حيث ظل الالتزام باليديش مسيطراً حتى نهاية فترة ما بين الحربين، بالرغم من ازدراء أصحاب فكرة الاندماج لهم، كما كان لفلسطين بالطبع أهمية دينية لديهم، فأعضاء أجودات إسرائيل كانوا يؤمنون بأن اليهود في النهاية سيجتمعون في « أرض الميعاد »، ولكن نتيجة لتدخل القوى السماوية العليا في تاريخ الإنسانية، سيتمكن اليهود فى نهاية الأمر من العودة إلى «فلسطين» في عهد المخلِّص المنتظر، عندما يأتى» [٢].

«وكان رجال «أجوداه» معارضين أيديولوجياً للمعتقدات الصهيونية، ومعارضين كذلك للراغبين فى الاندماج، فبالنسبة لهم فإن إقامة وطن قومى لليهود في فلسطين

(١)المرجع السابق، ص ١٣١،١٣٠.

(٢) Mendelsohn. Ezra: on modern Jewish politics. Oxford university press, (New York 1993) .p.25.

بعيداً عن قدرة الرب، وبعيداً عن أيدى المتدينين الحقيقيين، وإنما على أيدى العلمانيين، والهراطقة، والقوميين اليهود المعادين لليهودية، هو في حد ذاته، وصفة لحدوث كارثة، بل وتمرد ضد الرب نفسه، وإثارة لغضب غير اليهود، ولذا فالتعاون مع العلمانيين لتحقيق مغامرة الصهيونيين كان مرفوضاً، للاعتقاد بأن الخير لن يأتى وفقاً لاعتقاد رجال أجوداه من أى مشروع يقوم به رجال ونساء تخلوا عن إرثهم الدينى العظيم، وكان حلمهم فحسب، أن يقيموا دولة علمانية في مكان آخر، وإن كان عدد قليل من الأرثوذكس في جماعة «مزراحى»(١) قد فضلوا مساندة ذلك التعاون، بشكل ما، زاعمين أن ذلك سيساعدهم بعد ذلك على الاستيلاء على تلك الدولة من براثن العلمانية، وإرجاعها إلى أحضان اليهودية الدينية الحقة»(٢) .

«ولقد كان الأرثوذكس(٣) متفائلين على الأقل على المدى الطويل، فالمسيح سيأتى، وفي تلك الأثناء، فإن اليهود رغم معاناتهم سوف يعيشون وينتصرون في النهاية، ففي بولندا كان، دائمًا، يشار إلى إسم بولندا بالعبرية (Polin) «פולין» يوضح أن العلاقة بين تلك الأرض واليهود علاقة إلهية ومقدر لها أن تستمر، (لأنها كلمة عبرية هى « بو لين» ومعناها أقم هنا)، وتفاؤل الأرثوذكس ينبع من إيمان ديني، وليس إيمان التكامليين

(١)وهو المركز الروحانى(מרכז רוחני) للنشاط الإعلامى والثقافى بين اليهود الأرثوذكس، حيث أنشأه «موهيلفر»، ثم تحول عام ١٩٠١م، على يد الحاخام يتسحاق يعقوب راينس، وعدد من تلاميذ موهيلفر، إلى حركة قائمة بذاتها، وحزب صهيوني داخل المنظمة الصهيونية العالمية. ويعد تنظيم المزراحى تنظيماً عالمياً فى إطار المنظمة الصهيونية، تم تأسيسه فى شرق أوروبا، عام ١٩٠٢م. ويعد وعد بلفور فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧م، نقطة انطلاق مهمة فى تطور منظمة مزراحى، حيث انطلق تنظيم اليهود الأرثوذكس من أجل إعادة «بناء فلسطين». وكان أول انجاز لمنظمة «مزراحى» فى فلسطين هو تشكيل مؤسسة الحاخامية الرئيسية (הרבנות הראשית) فى القدس، عام ١٩٢١م، بمبادرة من الحاخام أفراهام يتسحاق كوك. للمزيد راجع، عليوة، حسن السيد: القوى السياسية فى إسرائيل« ١٩٤٨ – ١٩٦٧م»، مركز الأبحاث والدراسات العربية للنشر، ١٩٧٣، ص٦٥.

(٢)Mendelson, Ezra: Op. Cit, p.25.

(٣)الأرثوذكسية: كلمة ذات أصل يوناني، ومعناها العقيدة القويمة أو المستقيمة. ومن معانيها أيضاً، العقيدة المتزمتة أو المتطرفة، ولعل هذا ما قصده الإصلاحيون حين لقبوا معارضيهم بهذا اللقب. ويفرق الأدب الدينى اليهودي، في الوقت الحاضر، بين الأرثوذوكسية (Orthodox)، والأرثوذكسية المتطرفة (ultra orthodox). للمزيد راجع، الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): القوى الدينية، المرجع السابق، ص٧٦.

بالليبرالية والنهضة ، ولذلك فقد وقفوا في معارضة للمتشائمين الصهيونيين بنظرة متفائلة لمستقبل الشتات اليهودي»(١) .

«وعلى الرغم من التباين الواضح بين التيارات الدينية اليهودية في الشتات الغربي والأوربي، والخلافات التي تطفو على السطح بين زعامات، وحاخامات، ورموز تلك الحركات والمنظمات، فإنهم جميعاً وفي نهاية الأمر يدعمون إسرائيل من مواطن شتاتهم، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعلق على ذلك المؤرخ « يوروفسكى» بقوله : «إن السمة البارزة لليهود الأمريكيين هى التنوع، فالجماعة لا تتوحد إلا بمقدار وجود اهتمامات مشتركة بين جميع أفردها، ولدى يهود أمريكا قضية أساسية واحدة هى إسرائيل .... وكل جهد بذل لتنسيق النشاطات اليهودية في المجالات الأخرى كان نصيبه الفشل الذريع. ويعلق الحاخام (الكسندر شندلر) زعيم التيار الإصلاحى والشخصية اليهودية الأولى في الولايات المتحدة على هذا الأمر، قائلاً: «إن اليهود الأمريكيين أصبحوا إلى حد كبير جماعة تسيطر عليها قضية واحدة، هي إسرائيل، وأصبحت دولتها، بالنسبة للكثيرين منهم، هي المكان الذي يتعبدون فيه، ورئيس وزرائها هو حاخامهم»، ومن أجل تحقيق هذا الدعم وضمان استمرار بقائه تعمل التيارات اليهودية على المستوى السياسى معاً، وبالتنسيق فيما بينها، حيث تلتقي على المستوى السياسى في تنظيمات مشتركة، مثل (مجلس معابد أمريكا):

The Synagogue Council Of America»

أو مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية(٢):

Conference Of Presidents Of Major American Jewish Organization

وتعد حركة «ناطورى كارتا»(٣) من الحركات الدينية، شديدة الوضوح، والإعلان

(١) endelson, Ezra: Op. Cit, p.27.

(٢)الزرو، صلاح: المرجع السابق، ص ٨٧ .

(٣)حركة ناطورى كارتا : ظهرت هذه الحركة عام ١٩٣٥، بانشقاقها عن حزب أجودات يسرائيل، وهى تعادى الصهيونية وتصر على عدم التعاون معها، وكان يطلق عليها (أجودات مشمرت هقودش) رابطة الحراسة المقدسة، ثم (أجودات هحييم) رابطة الحياة، ثم (ناطورى كارتا) حراس المدينة، وهو الاسم الذى أطلقه عليها الحاخام (اليهوبروش). للمزيد راجع، الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٣١٥.

عن توجهاتها على الساحة السياسية، «فعلى الصعيد السياسى نشطت بعيد الإعلان عن قيام دولة إسرائيلية، فرفضت الاعتراف بهذه الدولة، واحتجت أمام الأمم المتحدة على إعلانها.

وقد اقترحت هذه الحركة تدويل القدس، واعترفت بحقوق الشعب الفلسطينى على كامل أرض فلسطين، وأبدت الجماعة استعداداً للعيش في سلطة فلسطينية، كما اعترفت هذه الجماعة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد وشرعى للفلسطينيين، وأدانت هذه الحركة غزو إسرائيل للبنان، في مطلع الثمانينيات.

وبعيد قرارات المجلس الوطنى الفلسطيني، عام ١٩٨٨م، والتي أعلنت عن قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، والاعتراف بإسرائيل عملياً، أيدت «ناطورى كارتا» الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المذكور، إلا أنها احتجت على اعتراف المنظمة بإسرائيل، وعقد ممثلوها اجتماعاً طارئاً في نيويورك لتدارس الوضع، وعبر المشتركون فيه عن استيائهم لأنهم يشعرون بأن ياسر عرفات قد خانهم، وأن اعتداله يبعث على القلق. وذهبت هذه الطائفة إلى أبعد من ذلك عندما أرسلت عقب وفاة الإمام (آية الله الخمينى)، وفداً لتقديم التعازي، نيابة عن الطائفة، تقديراً لموقف الخمينى المناوئ للصهيونية»[1].

«ومن زعماء حركة «ناطورى كارتا» المناوئين للصهيونية والدولة الحاخام (دومب)، حيث يقول في إحدى خطبه: «إن الصهيونية سيئة لا بسبب منعها اليهود من إقامة الفرائض والواجبات، حيث بإمكانك أن تكون صهيونياً وتؤدى الفرائض فليست هذه هى المشكلة، إنما كون الصهيونية تصيب الكيان اليهودي بالأذى، لأنها تقول إن اليهود شعب كالفرنسيين والرومان، ولهذا فإن حل مشكلتهم يكون كباقى الشعوب بإقامة دولة وشعب، وإن المشكلة أيضاً، هي في البناء الخاص للشعب اليهودي والجوهر الخاص به، فالشعب اليهودي قد اختير للحفاظ على التوراة بسبب تميزه، والصهيونية لا تريد الحفاظ على شئ فإذا كنا شعباً نمتلك قدرة إلهية، فنحن سنحرر بطريقة إلهية. إننا لم نطرد «من بلادنا» لسبب ضعفنا، ولن نعود إليها بقوة الجيش، لقد

(١)الزرو، صلاح: المرجع السابق، ص ٣٩٣.

طردنا بسبب أخطائنا، وما نحتاجه حقيقة هو إنقاذ من الله، وليس إقامة دولة»[١] .

ويأتى هجوم الحاخام (دومب) [٢] الحاد على الصهيونية، لا بغرض مهاجمة الحركة الصهيونية في حد ذاتها، فهي في نهاية الأمر، حركة يهودية ويمثلها يهود يعملون بأيديولوجيات مخالفة، ولكنها تخدم اليهود (سواء في الشتات أو بالدولة)، ولكن ما ترمى إليه حركة «ناطورى كارتا» هو أبعد من أهداف الصهيونية المتمثلة في تهجير يهود الشتات لصالح دولة إسرائيل، فهم يتطلعون لأفضل من هذا، وأعمق، وأوسع، فهم ينطلقون إلى كيان سيتم بمعجزة إلهية صرفة يقودها المسيح اليهودي المخلِّص، ويرفضون الواقع الحالي؛ لأنه يمثل خطراً على اليهود بتجمعهم داخل دولة إسرائيل المحاطة بمنابع الخطر العربى (من وجه نظرهم)، إذاً فتوجهات «ناطورى كارتا» هى بطبيعة الحال مطمع ومطمح أكبر لمستقبل يهود الشتات وغيرهم من اليهود في «فلسطين»، ويبدو ذلك واضحاً من بقية خطاب الحاخام «دومب»، حيث يقول : «ولو سيطرنا حتى حدود إيران، وقبل العرب أرجلنا، فإن علينا أن نعرف بأن هذا ليس هدفنا، وإنما هدفنا الإنقاذ الإلهى، وأن يبنى البيت المقدس (يقصد الهيكل) من قبل الله ومن الأعلى. وعلى الشعب اليهودي أن يحارب الصهيونية كما يحارب الكاثوليكية. وأن لا يحاول صبغ الدولة – إسرائيل – بصبغة يهودية، وأنا أعتقد أن هذا المكان – إسرائيل – هو المكان الخطر على اليهود، فالعرب في تطور ونماء عددى ومالى، وكل عربى يحلم بشئ واحد، هو استئصال السرطان المسمى - إسرائيل - وأفهموا أن ما يحاربون من أجله ليس للكيان اليهودي، إنما للصهيونية»[٣].

وتتلاقى أفكار زعماء حركة « ناطورى كارتا » في هجومهم على الحركة الصهيونية، ونقد توجهاتها حول الشتات اليهودي والخلاص المسيحاني، فالحاخام «دومب» يلتقى مع الحاخام «موشيه هيرش»، الذي يقول : «إن الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع

(١)المرجع السابق، ص ٣٩٥ .

(٢)الحاخام «دومب» من أصل بولندي، ويعيش في الشتات (لندن)، ويزور إسرائيل مرة كل عامين، في ذكرى وفاة مؤسس الجماعة (أهارون كتسبلويجى)، لمدة ٤٨ ساعة فقط، ويتركها بعد أن يلقى خطابه؛ لأنه لا يستطيع البقاء على أرض صهيونية (إسرائيل) .

(٣)المرجع السابق، نفس الصفحة.

اليهودية، فالصهيونية تريد أن تعرف الشعب اليهودي باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكى يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها. فإن فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول: «إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحمكم فريسة للسباع في الغابة، وأن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية»[1] .

تعتبر الغالبية العظمى من الأحزاب والحركات الإسرائيلية الكفاح المسلح الفلسطيني إرهاباً، فى حين ترى (ناطورى كارتا) أن هذا الكفاح هو أمر مشروع، يقول هيرش: (أحد زعماء حركة ناطورى كارتا): «نحن ضد سفك الدماء، وأيضاً منظمة التحرير الفلسطينية ضد سفك الدماء، ونحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أخذ منهم بواسطة القوة. وعندما رحبت إسرائيل بسيل الهجرة المتدفق إليها من الاتحاد السوفييتي (السابق)، في مطلع عام ١٩٩٠، أرسلت (ناطورى كارتا) رسالة إلى الزعماء السوفييت، ومنهم (ميخائيل جورباتشوف) دعتهم فيها إلى وقف سيل الهجرة . وجاء في الرسالة (إذا سكن اليهود السوفييت الدولة الصهيونية فسيجدون أنفسهم في وسط نزاع قومى مع الفلسطينيين، وقد يستخدمون وقوداً للمدافع»[2] .

ويضيف الحاخام «هيرش» شارحا أفكاره : «إذا كان هناك اهتمام وحرص من جانب الصهيونية تجاه اليهود، فعليها إصلاح الظلم الذى سببته للشعوب الأخرى»، ويقول في مناسبة أخرى (نحن الحريديم نعرف أنفسنا كيهود فلسطين، فالقسم المقدس يجبر الشعب اليهودي على عدم السيطرة على البلاد المقدسة، أو أى بلاد أخرى بدون رغبة المواطنين الحقيقيين فيها، وأن الصهيونية تدنيس للقدسية، ومناقضة للديانة اليهودية، لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين، ولو جرى انتخاب حزب صهيونى من قبل الفلسطينيين ليقوم بتمثيلهم فلن أدعى عندها أن الصهيونية تسيطر بواسطة القوة، لكن العرب اختاروا منظمة التحرير الفلسطينية، ونحن بالتأكيد لم نختر الصهيونية، إننا لا نزور «حائط المبكى»، أو البلدة القديمة، أو أية منطقة أخرى تمت السيطرة عليها

(١)المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢)المرجع السابق، ص٣٩٣.

بالقوة؛ لأن ذلك يعتبر تجاوزاً »[1] .

وبعد هذه السهام الحادة التى تلقتها الحركة الصهيونية من الحركات اليهودية المناوئة لها، والتى أصابتها في الصميم، وكشفت زيف بنيانها وأيديولوجياتها، وفشلها حيال ما يسمى «حل المشكلة اليهودية »، «تعيش الحركة حالة ما بعد الصهيونية»، حيث يقوم زعماؤها بأعمال التطرف والتخبط في محاولة للظهور بمظهر القوة أمام يهود الشتات، رغبة في استمرار مخططاتها المتمثلة في هجرة الشتات، أو سلب الدعم من المستمرين في شتاتهم، دعماً لإسرائيل، ومع وضوح الرؤية وظهور الصهيونية وزعمائها ملطخة أيديهم بالدماء، سواء كانت في أقلها دماء يهودية، أو أغلبها دماء عربية، وهو ما تنبهت إليه، وحذرت منه «ناطورى كارتا»، وهو ما وضع الصهيونية في مأزق حقيقى يبرهن على فشل كبير، ومع ثبوت رؤية (ناطورى كارتا) وأمثالها من الحركات الدينية اليهودية المناوئة للصهيونية، بتورط الصهيونية في إهدار الدماء، وامتهان وإهدار اليهودية ذاتها، وأن نضالهم هو من أجل صهيونيتهم فحسب، وهذا هو الخطر الحقيقى الذى نبهت إليه تلك الطوائف المعتدلة، سواء في الشتات أو في إسرائيل، نجد غلاة الصهيونية يلجئون إلى عمليات الإسقاط، بإلقاء تهمة تقصيرها وعجزها على غير اليهود، وترد ذلك بشموليته وعموميته إلى (كراهية اليهود عامة من الأغيار)، متناسين أن توجهاتهم في أساسها وبنيانها مرفوضة من قبل اليهود الحريديم في إسرائيل والشتات.

وقد ظهرت تلك الإسقاطات في كتابات صهيونية عدة، فها هو «أمنون روبنشتيين» يقول: «بدأت الفترة التى تلت، حرب ١٩٦٧ م، في إفراز شعور التوافق الكبير بين إسرائيل وبين يهود الشتات، وبدأت عهداً جديداً بين أعداء اليهود: الدول العربية ومعادي السامية القدامى والجدد في أماكن نشأتها بالشرق السوفيتي والغرب المسيحي، من ناحية انتقاد الأمور الصحيحة وغير الصحيحة، في آن واحد. ازدهرت ظاهرة جديدة، وهى «معاداة الصهيونية»، والتي استخدمت غطاء لموضوع آخر قديم جداً، بينما قام في الماضى معادو السامية من النوع القديم جدا بالتمييز بين الصهيونية واليهودية، وأحياناً ساند بعض المقربين فكرة منح دولة لليهود غير الراغبين. والآن

(١)المرجع السابق، ص٣٩٦.

انقلبت الحقائق : مسموح أن يكون معاد للصهيونية (غير صهيونى) باسم التقدم، واستخدام ذلك كغطاء لكراهية اليهود بكل بساطة، وأضف لذلك حقيقة سياسية أن أوروبا رأت أن مصالحها العليا في مجاملة العرب»(١).

وكلمة الكراهية لها ثقلها المنفر وغير المقبول، ولذا فتداولها والإعراب عنها يكون بتحفظ شديد، إلا أن الصهيونية وفى معظم تياراتها تبدي الكراهية وتفصح عنها بأساليب واضحة من العنصرية والتطرف، على غرار توجهات «حركة جوش إيمونيم»، التي على الرغم من ذلك تريد أن تبدى أيديولوجية خلاص مسيحانية »، ولكن ما هو المضمون الداخلى «للمسيحانية» و«الخلاص» الذي تدعى «جوش إيمونيم» أنها الممثل لهما ؟ ليست هذه نبوءة إنسانية عامة.

فمن بين السمات الأيديولوجية لجوش إيمونيم المقت والكراهية لكل من ليس يهودياً، وهذا أيضاً، من إرث طوائف الجيتو في شرق أوروبا، وليس لديهم في هذا الجانب فرق جوهري بين النظرة إلى العرب والنظرة إلى سائر الأغيار. ويقول «رعنان» بأنه ألصقت بالشعب الفلسطينى الصورة المأخوذة عن شعوب كنعان السبعة، والتى أمر الرب بأن ترثها إسرائيل. ولذلك ينظر إلى التحفظات التى تبديها شعوب العالم تجاه الاعتراف بحق الشعب اليهودي في «أرض إسرائيل»، على أساس أنها استمرار للكراهية الأبدية لإسرائيل، من جانب الأغيار، والهدف النهائي لجوش إيمونيم هو مملكة إسرائيل، التي تم خلاصها»(٢).

ويقول رعنان : «وحقاً إن الاتجاه المعادى للأغيار الذى تتبناه «جوش إيمونيم» يغيدها إلى إطار الكراهية والانعزالية، وإلى إطار ما قبل التاريخ الخاص بالجيتو، ولكن من الجانب المعاكس كما يقولون، وبينما انغلق الجيتو على نفسه خوفاً من العالم الخارجى، فإن السياسة المسيحانية موجهة للصدام معه وللتغلب عليه. وهاتان النظريتان تنبعان إذن من نفس جذور رفضهم للعالم الخارجى، ولكن قواعد التسامح الدولى ينبع من الحقيقة القائلة بأنه من غير المعقول وجود «أحادية (مونزم) في الحياة

(١)רובינשטיין, אמנון: שם, עמ'123.

(٢)عفرون، بوعز: المرجع السابق، ص ٥٧٦، ٥٧٧

الدولية، حيث إن العمل على مستوى النظام الـدولى يتطلـب الأخـذ في الاعتبـار القـوة، والضغوط، والقيود، التي لا يمكـن لأيـة دولـة كبـرى مهمـا تكـن عظمتهـا تجاهلهـا، والتغلب عليها، ورفض «جوش إيمونيم» وتجاهلها لهذه الأشياء هو أمر غير معقول في إطار أنظمة القوة التاريخية التى تعتبر إسرائيل عنصراً هامشياً داخلها من حيث الأهميـة، وذلك لأن العالم والواقع هما، دائماً، أقوى من أية وحدة تعمل داخلهما. ولذلك تتمسك «جوش إيمونيم» في نهاية الأمر بالوعد الغامض الخاص بالمسيحانية والبرنامج الإلهى، حيث لا توجد أى إمكانية في الإطار الواقعى لتنفيذ سياستها تلك. ومثـل هـذه السياسـة ستؤدى حتماً إلى كارثة في ظل الإطار الواقعى»[1] .

«لقـد اسـتمر حلـم المسـيح الصـهيونى يـداعب خيـال اليهـود، ويـلازم مسـيرتهم التاريخية، منذ ذلك الزمن القديم، وحتى الآن»[2] .

وبعد أن مكَّن الاستعمار، اليهود من اغتصاب أرض فلسـطين ، فلقـد توسـم بعـض اليهود المعاصرين سمات وصفات المسيح في شـخص الصـهيونى (بـن جوريـون)، مؤسس دولة إسرائيل، ويسجل لنا بهذا الصدد أحد المصادر ما نصه: «كان المهـاجرون من اليهود اليمنيين، في عام ١٩٤٨ م، ينشدون وهم في الطائرات إلى إسـرائيل (داوود .. داوود بن جوريون)، ملك إسرائيل»[3] .

«أما بن جوريون نفسه، فقد أعلن، في عام ١٩٥٧م، أن فكرة مجيء المسـيح حيـة – وأنها حسب زعمه، ستعيش حتى ظهور المسيح. وما من شك أن مثل هـذا القـول مـن جانب مؤسس دولة إسرائيل، يبدو للوهلة الأولى، مثيراً للدهشة، خاصة وأن فلسطين قد أصبحت تحت سيطرتهم، وقامت لهم دولة يهودية على أرضها، ولكن هذا الفكر يسلمنا

(١)المرجع السابق، ص ٥٧٩ ، ٥٨٠

(٢)كان أول المسحاء الكذابين «ثيوداس»، الذي ظهر، في ستة ٤٤ م، واتبعه جمهور كبير من اليهود، وأراد هو أن يستغلهم لصالحه سياسياً، فاجتمع بهم على نهر الأردن، وادعى أنه سيطلق ماء النهر كما فعل موسى (عليـه السلام)، ليعبر هو والشعب معه». للمزيد راجع، ظاظا، حسن (دكتـور): الفكـر الـدينى اليهـودي أطـواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص ١١٢ .

(٣)فراج، على مسعد طه: إسـرائيل إلى أيـن ؟ دارسـة في فكـر وتـاريخ اليهـود ومصير دولـتهم الحاليـة، عـين للدراسات والبحوث والإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٨٤.

في خطوة تالية إلى الحقيقة الكبرى وهى أن اليهود، وإن كان الدين هو محركهم الأول، فإنهم جاءوا مغامرين إلى فلسطين، كصنائع للاستعمار، لقد سبقوا دينهم إلى فلسطين، ولم يتوان الدين، حتى عاد فلحق بهم بعد ذلك، لا لهدف سام ولكن ليضفى عليهم شرعيته الزائفة»[1] .

«لقد أحدث تحول «شبتاى تسفى[2] »، إلى الإسلام، وانهيار حركته، هزة عنيفة لليهود، في جميع أنحاء العالم، وأدت بهم إلى اتخاذ موقف الريبة من أى فرد نصَّب نفسه مسيحاً مستقبلاً. كانت الأرثوذكسية، عند نهاية القرن التاسع عشر، مجرد إعادة لفاجعة شبتاى تسفى، وحقيقة أن القيادة الصهيونية قد حركتها العقلانية الصائبة، فإنها قد تجردت من أى عناصر صوفية للمسيحانية.

بيد أن الصهيونية قد جعلت من أمة يسوع أمة غير دينية، بعد أن توصلت إلى حقيقة أن التدخل الإنسانى هو الذى سينقذ شعب اليهود، ولا يتوجب على اليهود بعد اليوم أن يترقبوا معجزة سماوية. لقد اختطفوا المسيح لأغراضهم السياسية، غير الدينية، وأفرغوه من محتواه الدينى. أما الحاخامات فقد وجدوا هذا المفهوم الصهيونى الذى ادعى أنه يعرف ما أراده الرب أمراً لا يغتفر. إن عليهم إدانته ورفضه»[3] .

ولكن كيف ينظر يهود الشتات إلى المسيح المخلص اليهودي المرتقب، في مقابل النصارى ومسيحهم، وهم يعيشون بينهم، إن هناك اختلافاً بيناً بين الطرفين. «إن أحد أكثر الفروق بروزاً بين المسيحية واليهودية هو ذاك الذى يتعلق بقضية المسيح. فالمسيحيون يعتقدون أن يسوع المسيحى كان منقذهم، بينما لا يزال اليهود يترقبون قدوم موعودهم المخلِّص. وبحسب المعتقد اليهودي سوف يصل المخلص فحسب، عندما تجد العناية الإلهية أن الظروف مواتية، ولا يمكن أن يتخذ مثل هذا القرار إلا في

---

(١)المرجع السابق، ص٨٤ .

(٢)شبتاى تسفى: نجل تاجر تركى غنى، ادعى أن له رؤيا سماوية، عام ١٦٦٥م، أدت به إلى أن ينصِّب نفسه مسيحاً، وخدع يهود أوروبا الشرقية بقوته، ونهب أموالهم، وفى النهاية، اكتشفوا زيفه، وتحول إلى الإسلام، فى ظل الحكم التركى، وسمى نفسه (محمد أفندي عزيز).

(٣)ميلمان، يوسى: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديرى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٣م، ص١٣٦.

السماء، وليس في الأرض على أيدى الفانين المجردين، ويقال إن يسوع سيصل في نهاية الأيام، وهكذا أمل اليهود على طول تاريخهم قدومه، بيد أنهم لا يتوقعونه مطلقا. فاليهود أرادوه، وخافوه على السواء، فدوره هو أن يأتى بالأمل إلى حياتهم اليومية التعيسة، وليضيف بعداً مثالياً وروحياً لحياتهم المقبوضة في الدياسبورا»[1] .

ولقد كان البعد السياسي المسيحاني للحركة الصهيونية، موضع شك وريبة من قبل النصارى، ومن قبل العرب والمسلمين، ولا يزال هذا الشعور يسيطر على العرب والمسلمين بالطبع، بتوقع دمار الصهيونية من داخلها، بناء على الدراسات والتوقعات، وخاصة للتشابه الواضح بين الصهيونية والنازية، وما آلت إليه النازية.

«في عام ١٩٢٦م، حدد «فيلى ستارك» ما تصوره موقف المسيحية من مسألة الشعب العضوى، فأشار إلى نقاط التشابه بين الصهيونية والنازية، فكلتاهما تدور حول قيمة مطلقة تحيطها القداسة الدينية، الدم والتربة، وهى قيمة تضرب بجذورها في المشاعر الأسطورية الكونية، وهى ممالك الأرض بدلاً من مملكة السماء . ومن ثم توصل فيلى ستارك، إلى أنه لا يوجد أى مجال للتفاهم بين المسيحية وعبادة الشعب العضوى (فولك)، الصهيونية أو النازية . كما توصل إلى أن كلا من الصهيونية (التى تحاول أن تؤسس الهيكل الثالث أى الدولة الصهيونية) والنازية (التى أسست الرايخ الثالث أى الدولة النازية)، تجسيد لعدم فهم البعد المجازى في العقيدة الألفية الاسترجاعية في المسيحية، وبالتالى فإن تلك الحركتين ضرب من ضروب المسيحانية السياسية (الأخروية العلمانية)، التي تحول الدنيوي المدنس إلى مقدس، وبذلك يمثل كلا منهما تهديداً لليهودية والمسيحية، بل والجنس البشرى بأسره»[2].

« تتجلى وحدة الوجود الروحية في العقائد المسيحانية (المهدوية) الدينية، فالعقيدة المسيحانية على سبيل المثال، تضع اليهود في مركز التاريخ، ويبدو التاريخ البشرى بأسره (تاريخ اليهود وتاريخ الأغيار) حولهم، ويتركز الفرض الإلهى في اليهود (شعب

(١)المرجع السابق، ص ٣٥ .

(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور) : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ.. رؤية حضارية جديدة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

الله المختار) الذين سيعانون كل الآلام، إلى أن يأتى المسيح، ويقضى على أعدائهم، ويضع حداً لآلامهم، فيجمعهم من شتات الأرض، ويعود بهم إلى «صهيون»، ليؤسس مملكته هناك، حيث يتحقق السلام الكامل والفردوس الأرضي، إلا أن التاريخ كما يقول المفكر الصهيونى «موسى هيس»، سيصبح مثل الطبيعة في العصر المسيحانى، ويصبح الإنسانى والتاريخى في بساطة الطبيعي، وبالفعل لن يشهد العصر المسيحانى الألفى إصلاح المجتمع الإنسانى وحسب، وإنما سيشهد تحول قوانين الطبيعة، ليتم التوافق الكامل بين الطبيعة والإنسان»[١].

وهكذا أصبح مفهوم الخلاص المسيحانى عند اليهود مرهوناً بظروفهم ما بين القوة والضعف (حالتى حرب ٦٧،٧٣)، سواء في الشتات، أو في إسرائيل، يلجئون إليه للاحتماء به، ولبلورة سياسات من خلاله تخدم أغراضهم الصهيونية العنصرية، « ففي الأيام الحزينة التى تلت، حرب أكتوبر ١٩٧٣ م، كان من الصعب القول للعالم، «فليذهب للجحيم»، فقد صرح الجنرال موشيه ديان، الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع أثناء الحرب، بأن التزويد بالقذائف التى كانت تزج داخل بطون مدافع «الجيش الإسرائيلى متعلق بمساعدة الإنقاذ الأمريكية. بقى فحسب، شعور مشترك، وهو المصير مع (الآباء الأوائل) ومع عزمهم (القديم جداً). لقد عمَّقت حرب أكتوبر تلك المشاعر الأساسية بموضوع العودة إلى (مصير يهودى)، وهو الذي نتج عن حرب ١٩٦٧م، وهكذا نرى أنه بالتأكيد بعد هذه الحرب التى كانت في حاجة لرفض أسطورة إسرائيل القوية القادرة على ذلك أمام العالم – تعاظمت قوة (جوش إيموينم)، وفي أيام التشوش وفقدان الأمل الذاتي، كبرت قوة العامل المسيحانى، وغير المنطقي، وبدلاً من الحل السياسى، حل إيمان مجرد من الموروثات. والحديث عن الذين انقلبوا لذلك ليصبحوا جزءاً من مشهد موجود في طرق البلاد، والتى تحبذ الرب لمساعدة الوطن الموجود في خطر دائم»[٢].

«يبدو أنه ليست هناك حاجة للحديث عن فراغ هذه النبوءة المسيحانية التى تفتقد

(١)المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٢)רובינשטיין, אמנון: שם, עמ'122.

المضامين الأخلاقية والإنسانية، فيما عدا تنفيذ أوامر الشريعة، وهى جميعاً ليست إلا وهماً لامتلاك قوة غير محدودة، وهذا الوهم هو رد الفعل الطبيعى للشعور بالتدنى والضعف، سواء من جانب دوائر الصهيونيين الدينيين داخل الجهاز الاستيطانى الإسرائيلى، أو للشعور بالضعف والعجز لدى طائفة الجيتو، التي تعيش في الشتات»[١].



(١)عفرون، بوعز: المرجع السابق، ص ٥٨١.

الفصل الثالث

مفهوم الشتات اليهودي في المنظورين الصهيوني والإسرائيلي

المبحث الأول : الرؤى الصهيونية للشتات اليهودي

لو عدنا إلى الوراء، واستعرضنا أفكار وحلول رموز اليهود وقادتهم في الشتات لما سمي بـ «المشكلة اليهودية »، أو « المسألة اليهودية»، ووقفنا عند كتاب « تسفى هيرش كاليشر » (١٧٩٥ – ١٨٧٤)، وهو « البحث عن صهيون »، نرصد فيه دعوته إلى أن «حل المشكلة اليهودية يكون عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين، أو غيرها من البلدان، لأن معاداة السامية » لا يمكن أن تزول طالما أننا اليهود لا نملك وطناً قومياً خاصاً بنا. واعتقد أن كراهية اليهود واحتقارهم شعور أصيل في النفس البشرية. وإذا كان «كاليشر» قد تأثر بدوافع دينية، إلا أنه رأى أن خلاص اليهود لن يتم على يد مسيح منتظر، بل عن طريق جهودهم الذاتية»(١).

ومن خلال ما جاء فى دعوة «كاليشر» نرى أن المقصود هو أرض لتحقيق ما رآه حلاً لتجميع اليهود ، فلم تكن فلسطين وحدها هدفاً قومياً أو مقصداً دينياً كما برر زعماء الصهيونية فيما بعد، وأطلق علي استعمار فلسطين، وتهجير يهود الشتات إليها ... العودة .

واستمر الخلاف حول المكان فأصدر« ليوبنسكر «Leo Pinsker» (١٨٢١ –

---

(١)فهمى، وليم: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٨، نقلا عن عبد الوهاب كيالى، المطامع الصهيونية التوسعية، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٥-١٨.

١٨٩١) نشرته التحرر الذاتى « Auto Emancipation» باللغة الألمانية، في عام ١٨٨٢، محورها أن تحرر اليهود يجب أن يتم بالاعتماد على أنفسهم، وأن يكونـوا أمـة في أرض خاصة بهم، وأن تجمع بينهم لغـة وعـادات مشـتركة. واختلـف اليهـود الـروس حـول المكان الذى يهاجرون إليه، وهل توجه الهجرة إلى العالم الجديد أو إلى فلسطين؟ وفضّل بنسكر فلسطين مقترحا أن يتم الحصـول عـلى إذن مـن الحكومـة العثمانيـة، وجـذبت «بنسكر» حركة «محبى صهيون»، واختير رئيساً لأحد فروعها، وهذا جعله يرى أن تقـام أمة اليهود المقترحة في فلسطين»[١].

«يعتبر «هيرتزل» المسئول الأول عن تحويل أمانى «العودة» إلى صهيون مـن هـدف دينى إلى هدف سياسى، كما أدخل فكرة الهجرة إلى يهود الغرب الذين كانوا يسـيرون في طريق الاندماج مستفيدين بعوامل التسامح. وبينما لم يحدد «بنسكر» الوسائل التى يحقق بها أفكاره النظرية، واكتفى بأن ساند جمعية «محبى صهيون»، فإن «هيرتزل» حدد هدفـه، وأراد أولا أن يجد «الأرض» في أى مكان، ثم تقام بعد ذلـك دولـة اليهـود، بعـد انتهـاء المفاوضـات الدبلوماسـية وسـائر الخطـوات التمهيديـة، وذلـك عـن طريـق الهجـرة الجماعية، والاستيطان الواسع النطاق»[٢].

وفي مرحلة لاحقة اقترح «هيرتزل» أوغندا لتكون هى الوطن المقترح لحل المشكلة اليهودية ، ولاقى هذا الاقتراح تأييداً من أقـوى الأجنحـة الدينيـة بالحركـة الصـهيونية، وهى «حركة مزراحى»، حيث كانـت أوغنـدا اقتراحـاً بريطانيـا يمـنح الصـهاينة امتيـاز التواجد على أرضها، ومن هنا حدث التقارب بـين موقـف هيرتـزل ونظريـة الصـهيونية السياسية الخاصة به وبين زعامة المزراحي .

« وبرز هذا التقارب في المواقف في قضية «أوغندا»، وكذلك في قضية «الثقافـة»، وفي قضايا أخرى، وهو يعكس تعاطف المزراحي مع صهيونية هرتـزل السياسـية، ونقصـد بذلك الاتجاه الذى يعتبر أن ضائقة اليهـود في الشـتات هـي المصـدر الأساسـى الـذي

(١)المرجـع السـابق، ص ١٩ نقـلاً عـن: Kohn, Hans: Zion and the Jewish national idea repented textually, the menorah journal ,1958. collected essays on Palestine international seminar on pal 1965, p57

(٢)فهمى، وليم: المرجع السابق، ص ٢٠ .

استمدت منه نظريتها الصهيونية، وأن حل هذه الضائقة يتمثل في إيجاد ملاذ آمن لليهود في فلسطين عن طريق العمل السياسى الذى يسعى إلى الفوز باعتراف دولى لحقوق اليهود في فلسطين، وفضَّل أنصار الصهيونية السياسية كغيرهم من الصهيونيين الآخرين، فلسطين كملاذ آمن لليهود . ولكن بعد أن أدركوا المخاطر الناجمة عن صعوبة الفوز باعتراف دولى بمطالب اليهود في الهجرة والاستيطان في فلسطين، انضم كثير من الصهيونيين السياسيين إلى هيرتزل في إظهار الاستعداد من جانبهم بدراسة الاقتراح البريطانى الذى يدعو إلى منح الاتحاد الصهيونى امتيازاً في أوغندا»[1].

وبالإضافة إلى «أوغندا» وما أثير حولها قبل فلسطين ، هناك أيضاً «كندا» كبديل لفلسطين «وذكرها له دلالة معينة، في الوقت الراهن، وهى تفضل أماكن أخرى أكثر أمناً وأماناً لليهود بخلاف فلسطين التى لم ولن تكون ملاذاً آمناً لهم »، ولو أن كندا وردت من خلال نكتة، ولكن لها دلالة «ومن أكثر النكت دلالة تلك النكتة العبثية التى أطلقها «يعقوب أجمون» المسئول عن حفلات الذكرى الأربعين لتأسيس إسرائيل، إذ يقول: «إن المشروع الصهيونى كله يستند إلى سوء فهم وإلى خطأ، إذ كان من المفروض أن يتم في كندا بدلاً من فلسطين، يرجع هذا إلى تعثر لسان «موسى التوراتي»، فحينما سأله الإله أى بلد تريد؟ كان من المفروض أن يقول كندا على التو، ولكنه تعلثم وقال . كاكاكا . نانانا . فأعطاه الإله « أرض كنعان» أى فلسطين بدلاً من كندا، فهاج عليه بنو إسرائيل وماجوا وقالوا له : «كان بوسعك أن تحصل على كندا بدلاً من هذا المكان البائس الخرب، هذا الوباء الشرق أوسطى الذى يحيط به الرمال والعرب».

والنكتة هنا تعبر عن إحساس عميق بالورطة التاريخية، وبالطريق المسدود الذى يؤدى إلى العدمية الكاملة، ونجد الإحساس نفسه في هذه القصيدة التى خطها مستوطن صهيونى على حائط دورة المياه في الجامعة العبرية - ليذهب السفاراد إلى – أسبانيا، و الإشكناز إلى أوروبا، والعرب إلى الصحراء، ولتعد هذه الأرض إلى الخالق، فقد سبب لنا من المتاعب الكفاية بوعده هذه الأرض لكل الناس، والقصيدة مثل نكتة أجمون تعبر

(١)شابيرا، انيتا: الصهيونية الدينية، مدخل تاريخى، ترجمة: محمد محمود أبو غدير، تقديم أ.د/ محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية(٣)، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٢٠ـ ١٢١ .

تعبيراً فكاهياً عبثياً عن رفض فكرة الوعد الإلهى التى يستند إليها الخطاب الصهيوني»(١).

وعليه لم تكن فلسطين هى الحل الوحيد الصهيونى بدعوى الارتباط الروحي، والحق التاريخي، وأرض الميعاد .. وغيرها، من الأساطير الصهيونية .. بل كان الهدف هو أرض .. أية أرض .. يقول «موسى هس» فى كتابه «روما والقدس» « إننى أشعر كيهودى أننى أنتمى إلى شعب بائس، سيئ الحظ، مختصر، مشتت بين أمم العالم. إن اليهود فى بعض البلاد يهربون من يهوديتهم. وفى ألمانيا يحاول اليهود أن يخلعوا عنهم كل ما يشير إلى أنهم يهود. والشعوب الأوروبية كلها تشعر أن اليهود غرباء عندهم، وسيظل اليهود دائماً غرباء بين الأمم. وحول المسألة نفسها يقول ليوبنسكر فى كتابه «التحرر الذاتى» «يجب أن نجد وطناً لهذا الشعب حتى نكف عن التجوال فى العالم. وليس من الضرورى أن نحلم باستعادة أرض يهودا القديمة، فلا داعى أن نربط أنفسنا بالمكان الذى تحطمت فيه حياتنا السياسية وتوقفت، ليس من الضرورى أن يكون هدفنا استعادة الأرض المقدسة، وإنما من حقنا أن نطالب بأرض، أية أرض، أى قطعة من الأرض تكفى لإخواننا من البؤساء، قطعة أرض تكون ملكاً لنا، ولا يستطيع أحد أن يطردنا منها»(٢).

ومع قيام الدولة، في عام ١٩٤٨م، لا تزال الحركة الصهيونية تواجه قتالاً عنيفاً وشرساً للدفاع عن مبادئها وأفكارها، التي أثبتت ظروف الواقع فشلها بين صفوف المهاجرين من الشتات على مختلف انتماءاتهم وثقافاتهم التى وفدوا منها من شتاتهم، علاوة على محاربتها منذ البداية من تيارات يهودية مختلفة تطعن فى صلبها، وأساسها، وعدم شرعية مبادئها، وخاصة من الناحية الدينية. ولكن مع استمرارها فى تنفيذ مخططاتها العنصرية والمتطرفة التى تعتمد على جلب موجات الهجرة من الشتات،

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): «مائة عام على المشروع الصهيونى» (٩) أرض عطشى للدماء، الأزمة الصهيونية من منظور صهيونى، مركز الدارسات السياسية والإستراتيجية، دراسات الأهرام، القاهرة، ٧/ ١٠/ ١٩٩٧، ص٤.

(٢)هيكل، محمد حسنين: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٤ـ ٦٥.

بحجة إعمار «الأرض الموعودة الخالية»، وفى المقابل التغاضى عن وجود شعب فلسطينى مقيم على أرضه. ومن هنا استباحت عنصريتها إبادة هذا الشعب، ومحاولة صهر هؤلاء المهاجرين ومحاولة خلق ألفة بينهم وبين تلك الأرض المسلوبة، إلا أن الواقع يكشف عن فشل مخططات الصهيونية فى توحيد الهويات والثقافات، حتى اللغة العبرية لم تكن هى الوحيدة، حتى الآن، على لسان المهاجرين. فالواقع داخل المجتمع الإسرائيلي يصرخ فى كل لحظة، ويفرز التنافر بين الطوائف المختلفة، وتبرز الصراعات والفوارق على السطح، فكل طائفة لا تزال تلهج وتنهج فى حياتها الجديدة بخطى متعثرة مع سيطرة أسلوبها الشتاتى، وعدم توافقه مع الحياة الجديدة، فالشرقي لا يزال متمسكاً بمبادئه وتقاليده الشرقية التى عاشها فى شتاته، في مقابل عادات وتقاليد مهاجرى الشتات الغربي، والفروق واضحة تعلن عن نفسها، ولا يزال هناك حنين للموطن الشتاتى الأصلي، سواء في الغرب أو الشرق.

ويدعى «أفراهام شتال»، أن مظاهر الظلم الحقيقى التى يمكن دراستها وقياسها كمياً هى فحسب، طرف النهر الجليدى : الذى يمكن أن يرمز إلى التوترات الطائفية فى إسرائيل (أفراهام شتال: توترات طائفية فى شعب إسرائيل – تل أبيب – ١٩٧٩)، جزؤه الأكبر مختبئ تحت الماء، وهو موجود فى الآراء المسبقة، ويصف يهوشوع بريوسف السفاراديم. الذين تعفنوا جسدياً وروحياً بقوله: «سفارادية جماعية قذرة، ويدعى «حييم هزاز»: «أننا لسنا شعباً واحداً وأننا نسير إلى الهاوية، لأننا نتجه إلى الثقافة الشرقية السطحية»[١].

ويقول الحاخام «يسرائيل أنجلر»، رئيس تحرير المجلة الأسبوعية «همحنيه هحريدى»، (المعسكر الحريدى) «نظرياً، نحن شعباً واحداً، وعملياً نحن لسنا شعباً عامة، إذ ليس ثمة أساس شامل للشعب اليهودي كشعب، ليس لدينا لغة واحدة، ولا عقلية واحدة، ولا منشأ واحد، والأساس الوحيد الذي أبقى الشعب اليهودي لآلاف الأعوام هو الإيمان بتوراة سيناء، بوصفه دستوراً ملزماً. ومنذ اللحظة التى بدأ الشعب

(١)مناحم، ناحوم: توترات وتفرقة طائفية فى إسرائيل (ملاحظات اجتماعية تاريخية)، رمات جان، مطبعة أحدوت يولى، تل أبيب، ١٩٨٣، ص ٦٥

ينشطر إلى شعوب عديدة ومتعددة ، الصهيونية هي حركة واحدة في صفوف شعب إسرائيل، مثلما كان الشيوعيون حركة واحدة في روسيا، واليوم فإن الصهيونية أيضاً، لاتوحد الشعب كله ، وهكذا يعنينا من دون دين، ومن دون قومية كعنصر توحيد، وطريقة العيش المشترك الوحيدة هي طريق السلام بين خليط الشعوب الذى يقطن هذه الأرض، حيث تعيش الشعوب بسلام أحدها إلى جانب الآخر، لا أحدها مع الآخر، في ظل علاقات من الاحترام المتبادل والإرادة الطيبة»(١) .

ويستمر «الحاخام أنجلر» في نقده للدولة مبرزاً ما فيها من تناقضات كفيلة بأن تقوض كيانها أو تتحول إلى حرب أهلية بين مختلف الطوائف الوافدة من مختلف دول الشتات، مع اختلاف توجهاتها، ما بين الدينية المتشددة والعلمانية، وما يدور من صراعات بينها تعوق الصهر والتوافق في بوتقة واحدة. فيقول: « إن دولة دستورها بريطاني وتركي، ليست دولة يهودية، إنها في أحسن الأحوال دولة يهود. وحتى هذا الأمر ليس واضحاً ، إذ يعيش هنا أكثر من مليون عربي، ومئات الآلاف من المهاجرين الأغيار والعمال الأجانب ... كيف ستتطور الأمور؟ هذه المسألة سياسية ، وأنا أصلي من أجل ألا تنشب هنا حرب أخوة. إن المنتصرين لن يكونوا المتدينين ولا العلمانيين، وإنما العرب في نهاية المطاف ، سيكون هنا كما اعتقد ، فصل بين الدولة والدين ، وكذلك بين الدولة والقومية»(٢).

ويقول «شلومو بن عامى» (مؤرخ وعضو كنيست علمانى): «ثمة تفتت في المجتمع الإسرائيلي يبعث على القلق ، إذ ينمو هنا مجتمع مجزأ، يتكون من أقليات كثيرة، ليس الجمهور الحريدى إلا إحداها. وخلافاً لما يجرى في المجتمع الأمريكى، فإننا لم نجد روح الشعب التى تضم الجميع، وهذه مأساتنا. إن صورة الدولة التى نريد تختلف من شطر في الشعب إلى شطر آخر. فالحريديون ينظرون إلى الدولة على أنها لا لزوم لها. وبما أنها قائمة فإنهم يقاتلون من أجل طابعها اليهودي، ويستخدمونها أداة لتعزيز قوتهم ...

---

(١)أنجلر، يسرائيل: (حاخام ورئيس تحرير المجلة الأسبوعية: همحنيه هحريدى): تحت عنوان المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل، آراء في المسألة، لأكاديميين وحاخاميين وكتاب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ١٩٩٧، ص ١٢٧ .

(٢)المرجع السابق: ص ١٢٧، ١٢٨.

ويمكن للدين أن يجزئ المجتمع، ويؤدى إلى نشوب حرب أخوة»[1].

ويخلص «خالد عايد» فى مقال له تحت عنوان «المتدينون والعلمانيون فى إسرائيل .. جدل الوحدة والصراع»، إلى أن «التجربة الاستيطانية الصهيونية فى فلسطين فشلت، حتى الآن، في أن تكون «بوتقة الصهر» للمهاجرين اليهود القادمين من كل حدب وصوب (الشتات)، لكن هذه التجربة أفلحت حتى الآن أيضاً، في إنتاج تجمع استيطانى فسيفسائى الأصول العرقية والمنابت الأيديولوجية.

وإذا وضعنا جانباً المبالغات الصحافية المعتادة بشأن حرب أهلية وشيكة بين المتدينين والعلمانيين، فإن لا شئ يبرهن فى هذه التجربة عن أن المستقبل سيكون مغايراً بصورة جوهرية لما كان عليه الماضى فى أمر العلاقة بين الطرفين: انقسام فى إطار «الهوية المشتركة»[2] [3].

وتكثر الاختلافات، والانقسامات، والفوارق، بين طائفية، ودينية، وعلمانية، وما يستتبع ذلك من فوارق ثقافية ترجع لبلاد المنشأ الشتاتى، قبل الهجرة، وتستمر وتزداد داخل الكيان الصهيوني، بعد قيام الدولة، وحتى الوقت الراهن، في خلق صراعات حادة بين تلك الفئات، أمثال المتدينين والعلمانيين، وربما داخل فئات المتدينين أنفسهم، ناهيك عن الاختلافات اللغوية، وتقسيمات التعالي والهيمنة من قبل الاشكنازيم» تجاه الآخرين.

---

(١)عامى، شلومو: (مؤرخ وعضو كنيست علمانى) المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل .. آراء في المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص ١٢٩.

(٢)عايد، خالد: إسرائيليات، المتدينون والعلمانيون فى إسرائيل .. جدل الوحدة والصراع . مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص ١٢٥.

(٣)الحريديم: من المعتاد التفريق بين قطاعى السكان الدينيين فى إسرائيل. الأول: هو القطاع الحريدى الذى يعتمد على الماضى كمصدر شرعية وعداء للصهيونية، وإيديولوجية القومية اليهودية (أى أيديولوجية) ترى اليهود شعبا يعرف بناء على جوهره القومى وليس بناء على جوهره الديني، ويتطلع إلى تطبيع الحياة اليهودية (الثانى مرتبط بالوعى العام مع (جوش إيمونيم)، وهم قوميون متطرفون يمارسون العنصرية والاستعلاء، والاستيلاء على الأراضى العربية، والتوسع فى انتظار مقدم المخلص(يديعوت أحرونوت) ٦/ ٧/ ١٩٨٩، يشعياهو ليفمان. مجلة زمانييم، خريف ١٩٩٤ ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية. مختارات إسرائيلية (٥٣)، ترجمات عبرية، دراسة الدين والديمقراطية بإسرائيل، مايو ١٩٩٩، ص ٤.

« وينقسم المتدينون أنفسهم انقساماً عميقاً بناء على أكثر من تصنيف، فهم يتوزعون أيديولوجياً بين حريديين متزمتين، ومحافظين على التقاليد، ومجرد متدينين وإصلاحيين. وأما من الناحية العرقية فيمكن تمييز أربع مجموعات بينهم على الأقل. فقد توصلت دراسة أجريت مؤخراً على الإشكناز، والسفاراديم، والأثيوبيين القدامى، والمهاجرين الجدد من الإثيوبيين، إلى أن علاقة القربى والجوار الجغرافى فى بلد المنشأ (الشتات) أوثق من علاقة التشابه فى التعبير الديني، أما التمثيل السياسى للأحزاب الدينية فى الكنيست فإنه يتوزع حالياً بين المفدال (الصهيونى الدينى)، وشاس (الحريدى الشرقى اللاصهيونى)، ويهدوت هتوراه (الحريدى الإشكنازى اللاصهيونى) (١) .

«يدور الخلاف بين المتدينين والعلمانيين اليهود فى جوهره بشأن طابع الدولة : أتكون دولة قوانين وضعية أم دولة الشريعة اليهودية (الهالاخاه)؟ ويتناول هذا الخلاف فيما يتناول : قانون العودة / من هو اليهودي؟ وقوانين الأحوال الشخصية (الزواج – الدفن – الإجهاض – التهود ...) وقانون الآثار. وصلاحيات محكمة العدل العليا، والكشيروت (الأطعمة المحللة دينياً)، وإعفاء الفتيات، وخريجي اليشيفوت من الخدمة العسكرية، وحرمة أيام السبت، والأعياد الدينية ، ونوعية التعليم (ديني أم علماني)، وما إلى ذلك»(٢) .

«إن دفع من ترى اليهودية الصهيونية الدينية فيهم تعبيرات العلمانية الهرطوقية (اليسار) إلى هوامش الكراهية هو من الإخفاقات الكبرى التى عرفها التاريخ اليهودي فى الحقبة الأخيرة، وسيشير الكثيرون بالتأكيد إلى أن «اليسار أيضاً، ساهم بنصيبه فى إنتاج الغربة الثقافية، وفعلاً ثمة فى أوساط اليسار من يستأنسون بالعرب أكثر مما يستأنسون بيهود متدينين. إلا أنني أريد أن أسير على هدى المبدأ القائل: «إن إصلاح بيتى يسبق دعوتى الآخر إلى إصلاح بيته»(٣) .

(١)عايد، خالد: المرجع السابق؛ وكذلك: Linda Begely Sorrof: The Maintenanceand transmission of Ethnk Identity : a study of four groups of religious Jews in Israel clanhamimd: university press of America 1995, P 183.

(٢)عايد، خالد : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٣)جرينفالد، إيتمار: ثقافة التقاطب بين مدينتين القدس وتل أبيب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص١٣٦، ١٣٧ .

ولما كانت الصراعات والتوترات تنخر فى صلب الكيان الصهيونى من داخله، وهناك التخوف من نشوب حرب أهلية قد تدمر الكيان نهائياً، فإن صانعى القرار فى إسرائيل يضعون ذلك فى مقدمة اهتماماتهم بالنسبة لإصلاح الداخل فى مواجهة الخارج، وعلى الدوام هناك الحل الأمثل عندهم، وهو توحيد جميع الصفوف تجاه الكوارث العامة. فعندما تفشل إيديولوجيات الصهيونية بدق نواقيس الخطر المتعلقة بالإبادة، والهولوكوست، والشتات ، فإنهم يدقون طبول الحرب لحل تلك المعضلة.

«إن التضامن المشترك مع المشروع الصهيونى ينهار باطراد. ففى أوساط المتدينين القوميين يتعزز الالتزام الدينى تجاه «أرض إسرائيل»، وهو التزام غير مقبول لدى الجمهور العلمانى، مقاربة ما بعد الصهيونية التى تشدد على الحياة الطبيعية للفرد، وعلى إنجازاته الشخصية. وهنا أيضاً، تتقلص بصورة متزايدة التخوم التى عليها إجماع قومى. وفى وضع يتميز بوجود تجزئة وفجوات كبيرة بين الهويات القومية والدينية، وبين الهويات القومية والعلمانية تزداد التوترات، لكن «الحرب» كلمة قاسية جداً. نحن الآن بحاجة إلى منعطف، ويجب العمل من أجل توسيع القاعدة المشتركة. ويمثل المتدينون المعتدلون والمحافظون على التقاليد الدينية من غير المتدينين، أحد عناصر الاعتدال، ولا سيما أولئك الذين من أصل شرقى، وقد تبنوا لأنفسهم التزاماً دينياً، أو تقليدياً معتدلاً ومتسامياً أكثر مما لدى جزء كبير من الجمهور المتدين أو العلمانى ذى المنشأ الإشكنازى»[(١)].

وهناك العديد من القضايا التى تشغل الشارع الإسرائيلي وفكر صانع القرار، وخاصة محاولة الظهور بمظهر القادر على الحل، والسيطرة أمام الشتات اليهودي، مصدر الدعم وأولى هذه القضايا، تعريف اليهودي. ففى الوقت الذى يشدد يهود الداخل، والمتدينون منهم بشكل خاص، على البعد الدينى لهذا التعريف فى الانتماء والسلوك، يرى العلمانيون ومعهم يهود الخارج (الشتات) فى الولايات المتحدة حيث الجالية الأكبر فى العالم، أن اليهودية انتماء إلى الدين، والتاريخ، وإلى الحضارة، دون أن تكون بالضرورة

---

(١) هليفى، حافا عتسيونى (أستاذة وعالمة اجتماع متدينة) جامعة بار – ايلان : المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل، آراء فى المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب. إعداد: عيريت همتيرى، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت ١٩٩٧) ص١٣١.

محاربة لتعاليم التوراة، أو التلمود، أو للطقوس اليهودية المختلفة. ولا يرتبط هذا النقاش فحسب، بالتطورات السياسية الأخيرة التى تواجهها إسرائيل على مستوى عملية التسوية، أو بسبب المخاوف من نشوء دولة فلسطينية، بل تعود جذور ذلك إلى بدايات تأسيس الدولة العبرية التى أرادها المؤسسون الأوائل، امتداداً لمنظور علمانى يستهدف الإحياء الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي للشعب اليهودي، فيما أرادت الأوساط الدينية أن تخلق فى (أرض إسرائيل) مجتمعاً يهودياً يمارس تعاليم التوراة . وقد خاض جهاز الحاخامية والأحزاب الدينية معه منذ تأسيس دولة إسرائيل معركة مستمرة لتشديد هيمنة الشريعة الدينية على مجمل سكان إسرائيل اليهود . كما عملوا على مد التأثير الدينى على الحياة اليومية لهؤلاء السكان. ولا يزال الخلاف حول هذين المفهومين، الديني والعلماني، لتنظيم حياة اليهود، والتعريف اليهودي تمثل إلى اليوم أحد خطوط التوتر الأساسية فى المجتمع الإسرائيلي»[1].

«والقضية الثانية تدور حول هوية الدولة، وعلاقة هذه الهوية بالحلم اليهودي، وبالمشروع الصهيونى، ويتلخص النقاش حول هذه القضية فى التساؤل التالى: هل إسرائيل اليوم وبعد مضى خمسين سنة على تأسيسها، ومائة عام على المشروع الصهيونى، دولة يهودية فحسب، أم أنها لا تزال دولة اليهود فى العالم، أي دولة المشروع؟ والفارق بين المفهومين يعنى فى الحالة الأولى نهاية الحلم الصهيونى؛ لأن الدولة الموعودة أصبحت دولة نهائية لليهود الذين يعيشون على أرضها، وهذا يتناقض مع فكرة التوسع الدائم التى يفرضها استيعاب المزيد من المهاجرين اليهود فى هذه الدولة . وما يجعل لمثل هذا النقاش حول هوية الدولة، ومستقبلها حرارة وجدية فى الداخل الإسرائيلي، تقلص زخم الهجرة اليهودية من أنحاء العالم إلى إسرائيل، بعدما بلغت ذروتها من الاتحاد السوفييتى، عام ١٩٩٠م (٢٠٠ ألف) تتراجع وتستقر تدريجياً على حدود (٥٠ ألف من ٩٢ –٩٧)، ولا يبدو أن الدولة العبرية نفسها ترغب اليوم فى أن يترك معظم يهود العالم مواقعهم المالية، والسياسية، والإعلامية التي تشكل قوى ضغط وتأثير فعلية فى البلدان التى يتواجدون فيها، لكى يعودوا إلى إسرائيل (أرض الميعاد)، وهذا يعنى

(١)عتريس، طلال: قضايا إسرائيل والصهيونية، مجلة شؤون الشرق الأوسط، عدد (٧٣)، ١٩٩٨م، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٨م، الافتتاحية، ص ٤.

على مستوى آخر أن المشروع الصهيوني لإسرائيل «تمتد من الفرات إلى النيل» بات مستحيلاً فى ظروف مماثلة، كما أن مثل هذه الدولة المفترضة التى تضم ملايين إضافية من العرب لا تبدو بدورها فكرة محببة فى أذهان الإسرائيليين جميعاً، وهم لا يعرفون ماذا يفعلون مع الاختلال الديموجرافى الذى يميل لمصلحة الفلسطينيين فى حدود إسرائيل الحالية »(١).

« لقد كان حلم الصهاينة إنشاء دولة لهم أوروبية الطابع، تكون امتداداً لأوروبا على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط ، وحارسة لقيم الحضارة الأوروبية فى مواجهة «همجية» الشرق كما قال هيرتزل أبو الصهيونية الروحى. فلما فوجئ اليهود الأوروبيون المسيطرون على الدولة .. ومن قبلها الحركة الصهيونية، بتضاؤل أعداد المهاجرين من أوروبا، بعد أن نضب معين الهجرة منها بعد الحرب العالمية الثانية، وبتدفق أعداد ضخمة من المهاجرين من البلدان العربية وسائر بلدان الشرق الأوسط، وجدوا أنفسهم فى ورطة يصعب الخروج منها فلا هم بقادرين على الحد من تدفق اليهود الشرقيين على إسرائيل لتعارض ذلك مع أساس قيام الدولة اليهودية، ولا هم بقادرين على اجتذاب مهاجرين من أوروبا وأمريكا، فاليهود الباقون فى أوروبا (الشتات) لا يرغبون فى الهجرة إلى إسرائيل، بل أن ١٠٠.٠٠٠ منهم عادوا إلى أوروبا أو توصلوا إلى بلدان أخرى بعد أن كانوا قد هاجروا إلى إسرائيل ، أما يهود أمريكا فيكتفون بتظاهرات التأييد لإسرائيل، وبتقديم التبرعات إليها، وقلما فكر أحد منهم فى الهجرة لإسرائيل»(٢).

« لقد وضعت حكومة إسرائيل برنامجاً لامتصاص اليهود الشرقيين فى المجتمع الإسرائيلي الأوروبى الصبغة، ومعنى ذلك محاولة تغيير المكونات الثقافية، واللغوية، والاجتماعية لليهود الشرقيين بمكونات أخرى، أوروبية الطابع، مما يعنى تحويل الأغلبية من صورتها الأصلية إلى صورة شبيهة بصورة الأقلية، ولكن نجاح هذا البرنامج دونه صعوبات جمة، فاليهود الشرقيون لا يتكلم معظمهم العبرية، ولا البيديش لغة أوروبا الشرقية والوسطى، وهم بتكوينهم الثقافى والاجتماعى أشبه بسكان البلاد التى

(١)المرجع السابق، ص٤.

(٢)بدر، جمال مرسى (دكتور): التناقضات فى المجتمع الإسرائيلي تقارير وتعليقات ، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٣٢، ص ١٣١، ١٣٢.

نزحوا منها منهم باليهود الأوروبيون، فضلاً عن أن معظمهم لم ينشأ على الأفكار الصهيونية، ولم يتشرب مبادئ تلك الحركة، بل لعلهم لم يسمعوا باسم هيرتزل قبل هجرتهم إلى إسرائيل. فهم بالنظر إلى ذلك كله فى واد واليهود الأوروبيين فى واد آخر، مما دعا البعض إلى إطلاق اسم «إسرائيل الثانية» عليهم على اعتبار أن إسرائيل الأولى «الأصلية» تتمثل فى النازحين إلى إسرائيل من اليهود الأوروبيين»[1].

وعلى الرغم من خطط وبرامج الحركة الصهيونية لمحاولة ذوبان الطوائف الشرقية فى المجتمع الإسرائيلي، ومحاولة الظهور بعدم وجود مشاكل طائفية، فإن الواقع يصرخ معلناً عن الفوارق، والظلم، والاضطهاد الواقع على تلك الطوائف، مع الشعور بالتدنى فى المناصب داخل الدولة، مقابل الأشكناز، خير مثال للإعراب والتعبير عن تلك الأمور هم رموز أدب الطوائف الشرقية فى إسرائيل، وعلى سبيل المثال عند الأديب «شمعون بلاص» فى رواية «الوارث»، حيث يصرخ «دانى» أحد أبطال الرواية، معلناً: «أن يكون اليهودي أشكنازياً فماذا فى ذلك من شرف كبير؟ إن الشرف البالغ هو أن تستمر فى طريق الرواد الأوائل، وقد كانوا من الأشكناز ... يجب أن نصلح ما أفسده الأشكناز، لقد تورطوا فى النظريات وخلقوا لأنفسهم ذلك النوع من الجيتو الذى سيطروا عليه، بينما دفعوا بالسفاراد جانباً، هذا الأمر يجب أن ينتهى . نحن سنفعل أحسن مما فعلوا هم. نحن نعرف العرب . لسنا بغرباء. ثم إننا ليست لدينا آراء مسبقة. لن نعامل العرب كأناس أدنى منا، كما تعامل الإشكناز تجاههم وتجاهنا، هذا فرق كبير، إن الإشكناز يكرهون العرب، ويكرهون اليهود الشرقيين أكثر، يريدون أن يسودوا، لن نسمح لهم، لقد مضى عهدهم. نحن مجددو الصهيونية .. فاليهودي الشرقى رجل عملى، والصهيونية عملية، فأولاً، وقبل كل شيء، ستكون صهيونيتنا، صهيونية إسرائيلية، وليست بصهيونية نبتت من منفى أشكنازى»[2].

وجاء على لسان أحد أبطال رواية «المعبرة»، للأديب نفسه، قوله: «إننى لا أتحمل هذه اللغة، عندما أسمع هؤلاء اليديش يتكلمون بها، أشعر بالغثيان، إنها ليست لغة

(١) المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٢) بلاص، شمعون: الوارث، عم عويد، تل أبيب، ١٩٨٧، ص ٧٢.

رجال كالعربية، التي لكل كلمة فيها وزنها، ولا حتى كالإنجليزية الثرية والبلاغية» [١].

وما يزيد قضية يهود الشرق تعقيداً أمام الصهيونية، هو رفضهم لما تفرضه عليهم من ثقافات غربية أشكنازية، وتمسكهم بثقافة، وعادات، وتقاليد الشتات المغاير، تماماً، لما هو مطلوب منهم أن يسلكوه، فيقول «أفايو»، وهو شاعر إسرائيلى شرقى الأصل : «إن القضية التي نواجهها هى قضية الهوية، وهذه القضية هى قضية كل المجتمع الذى يبحث عن هويته، وتكمن أصول هذه المشكلة فى أن كل جماعة منا أتت إلى إسرائيل، وهى محملة فى داخلها بتراث ثقافى خاص بها يختلف فى جوهره أشد ما يكون الاختلاف عن التراث الذى جلبته كل جماعة. ولا أستطيع أن أكون فى حل من تراثى وتراث آبائى الذى جلبته من الشرق» [٢].

ويؤكد على ذلك أيضاً الشاعر والأديب الإسرائيلي «أمنون شموس»، وهو سوري الأصل، حيث يعرب عن تمسكه بتراثه الشرقي، فيقول : «ما زلت مندهشاً من أن ذكريات طفولتى فى حلب ما زالت حية فى ذاكرتي. لن يصدقنى أحد إذا ما قلت أنى ما زلت أتذكر وأحن إلى مذاق الطعام فى حلب .. ورغم ابتعادى عن حلب، فإنني ما زلت أعيش فى جوها، خاصة أن والدتى مازالت تحافظ على كل ما كانت تقوم به فى حلب» [٣].

وحول الموضوع نفسه، والخاص بالهوية والثقافة، يؤكد الأديب والشاعر الإسرائيلي «راتسون هاليفى»، اليمنى الأصل، ارتباطه بثقافة الشتات بقوله:«إن ثقافتى التى تشكل وعيى مستمدة من قراءاتى المختلفة، هنا في إسرائيل . أما كل ما يتعلق بجانب اللاوعى من شخصيتى فهو مستمد من تقاليدى اليمنية التى تشربتها منذ صغرى، وليس لدى أدنى شك فى أن هذا الجانب من شخصيتى يتجلى فى شعري» [٤].

وتستحوذ قضية الصراعات المختلفة والإثنيات داخل المجتمع الإسرائيلي، على جانب كبير مهم من الدراسات السياسية واستطلاعات الرأى. ففى استطلاع للرأى

(١)المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢)دور، موشيه: المشكلة الطائفية، كتاب شعراء لا يسيرون فى جماعات، شلومو افايو، ص ١٠٧.

(٣)المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٤)ليف، حاقان: فصول من أدب يهود الشرق، (القدس ١٩٨٦)، ص ٢١.

أجرته صحيفة «هاآرتس»، بتاريخ ٤/ ١٠/ ٢٠٠٠ م، قام به الصحفى «حامى شـلومو»، أظهر هذا الاستطلاع فى نتائجه بغضاً وكراهية عميقة لعـرب إسـرائيل ، ووجـود فجـوة هائلة بين العلمانيين والمتدينين.

ومن بين الأسئلة المهمة:

الحريديون والعلمانيون وغيرهم: من بين الجماعـات الآتيـة . أيـن توجـد الفجـوة الأكثر اتساعاً من وجهة نظرك؟

- بين العلمانيين والحريديين ٥٤٪ - بين اليهود وعرب إسرائيل ٢٤٪.
- بين الإشكنازيين والشرقيين ٧٪ - لا أعرف ٥٪.

- هل تعتقد أن هناك حرباً ثقافية بين العلمانيين والحريديين، أم ليست هناك حرب؟

- توجد حرب ٨٠٪ - لا توجد حرب ١٦٪ - لا أعرف ٤٪.

هناك من يدعى أن العلمانيين والحريديين شعبان مختلفان .. هـل توافـق عـلى هـذا الادعاء أم أنك تعترض عليه؟

- أوافق ٤١٪	لا أوافق ٥٨٪	- لا أعرف ١٪
- بين الحريديين	أوافق ١٩٪	- لا أوافق ٨٠٪
- بين الدينيين	أوافق ١٨٪	- لا أوافق ٨٠٪
- بين التقليديين	أوافق ٤١٪	- لا أوافق ٥٧٪
- بين العلمانيين	أوافق ٤٩٪	- لا أوافق ٤٥٪

- هل تعتقد أن هناك احتمالاً لأن يصل الخلاف بين الحريديين والعلمانيين إلى حـد المواجهة الجسدية، أم ليس هناك احتمال؟

- هناك احتمال ٦٦٪
- لا يوجد ٣٠٪.[1]

(١) مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٠ ، العدد ٧١، ص ٤١، ٤٢.

وبناء على ما تقدم، فإن عوامل الهدم أصبحت متوفرة ومتنامية للصهيونية يوماً بعد يوم، لتثبت فشلها فى تطبيع يهود الشتات داخل إسرائيل، ومن هنا لم يكن أمامها بد من حالات الحرب التى يبدو فيها التماسك العام، ولو مرحلياً، أو زمانياً، ولفترات معينة، والمكان الطبيعي لهذا التطبيع هو الجيش. ولكن زيادة فى تعقيد المسألة أمام دعاة الصهيونية، فإن الجيش نفسه أصبح يعانى من هذه الأمراض والصراعات التى انتقلت بدورها بالتسلسل من الشتات ثم إلى المجتمع الإسرائيلي، ونمت وترعرعت داخل صفوف الجيش.

«إن دراسة أصول البنية القيادية فى الجيش الإسرائيلي تفيد أن ذوبان المجموعات العرقية ضمن الجيش الإسرائيلي، لا يزال بعيد المنال ، حيث يشكل اليهود الشرقيون – اعتباراً من السبعينيات – نحو ٦٠٪ من المجندين ، ٣٠٪ من ضباط الصف، ١٪ من الضباط القادة. كما تتألف القيادة العليا للجيش من نخبة أشكنازية تخرجت من الكيبوتس، ومن حركات تعود فى أصولها إلى مجموعات المهاجرين الأوائل فى أواخر القرن الماضى . ويذكر «شلوموفرنكل» فى كتابه عن متخذى القرارات فى إسرائيل، أن ٣٪ فقط، من ضباط الجيش من رتبة مقدم وما فوق، هم أبناء الطوائف الشرقية . ويعد على الأصابع الضباط الشرقيون الذين وصلوا في الجيش إلى رتبة عميد . وفي هذا السياق يذكر باحث محايد أن الجيش الإسرائيلي يمنح فرصاً أفضل للأشكناز الأكثر تعلماً وثقافة، بينما يحرم من هذه الفرص اليهود الشرقيين. وبالرغم من أن جيلاً ثالثاً من الشرقيين ولد وتعلم في إسرائيل، فإن عدداً ضئيلاً منهم وصل إلى رتب عالية مسؤولة في الجيش، وربما لا تزيد نسبتهم عن ١٠٪ من مجموع الضباط»(١).

ومن المعروف أن الجيش الإسرائيلي اعتمد، منذ تأسيسه، على المجندين من العلمانيين الذين يشكلون حوالى ٨٠٪ من مجموع عدد السكان ، وذلك في إطار التجنيد الإلزامى الذى يخضع له كل شباب إسرائيل ، ثم يتحول بعد انقضاء فترة تجنيدهم إلى وحدات الاحتياط، إلى أن يصل عمرهم إلى الخامسة والخمسين. أما التيار الدينى الذى

(١) كيوان، مأمون: اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦، ص ٢٥١.

يتكون من حوالى ٢٠٪ من مجموع عدد السكان، والذي اقترب من الحصول على ٢٥٪ إلى ٣٠٪ من مقاعد الكينست في انتخابات ٢٠٠٣ ، فقد منح أبناؤه حق الإعفاء من الخدمة العسكرية، إذا تفرغوا للدراسات الدينية في المدارس، والمعاهد الدينية المتوسطة، وفي المعاهد الدينية العسكرية المعروفة باسم (يشيفوت هاهسدير) أى لا يجند من أبناء المتدينين سوى من يرغب في ذلك، أو من يتوقف عن الدارسة الدينية، وعليه يلغى سبب إعفائه من الخدمة العسكرية. وقد استغل التيار الحريدى هذا الحق الذى منح للمتدينين بصورة شبه كاملة إلى أن ظهرت مؤخراً بعض الأصوات داخل هذا التيار تطالب بمزيد من مشاركة المتدينين في الخدمة العسكرية، أو تطالب بتشكيل وحدات عسكرية خاصة بهم ضمن تشكيلات الجيش»[١] .

« ولا يقتصر السعى الدينى للتوغل داخل الجيش الإسرائيلي على تولى مناصب قيادية عليا، أو على الالتحاق بالدورات المختلفة لتخريج الضباط أو ضباط الصف، بل امتد ليشمل مرحلة ما قبل التجنيد الإلزامى ، فقد أخذ الزعماء الروحيون للتيار الدينى يشجعون الشباب المتدينين الذين لم يحن بعد موعد تجنيدهم على الاهتمام بالمسار العسكرى، وتفضيله على مسار الحياة المدنية، وذلك بإنشاء مجموعة من معاهد إعداد الشباب المتدينين للحياة العسكرية، وأول معهد إعدادى عسكرى يحمل اسم أبناء داوود (بنى ديفيد)، والذى أقيم فى منطقة «عالية »، عام ١٩٨٨ ، والمعهد الأخير الذى أقيم في قاعدة جوية في «صفد» عام ١٩٩٦ ، ويحمل اسم معهد عظمة الإيمان (هدرت إيمونا)، ومن أهداف تلك المعاهد العسكرية الأولية، الإعداد السليم للشباب المتدينين لكى ينخرطوا في صفوف الجيش، وكذلك إعدادهم جسمانياً وروحياً لمواجهة أسلوب الحياة داخل الجيش حتى يتغلبوا على المصاعب التى تواجههم. وقد بلغ عدد هذه المعاهد الآن (١٤) معهداً، تخرج منها ما يزيد على (٣٩٥٢) خريجاً . وأظهرت الأرقام أن حوالى ٢٧٪ من عدد الذين تخرجوا من دورات نظمتها تلك المعاهد، في الفترة ما بين ١٩٨٨-١٩٩٦ ، أصبحوا يعملون ضباطاً بالجيش»[٢] .

(١)الدويك، عبد الغفار: تصاعد التيار الدينى في الجيش الإسرائيلي، مجلة السياسة الدولية (١٤٤)، ٢٠٠١، ص ٢٣٢ .

(٢)المرجع السابق، ص ٢٣٣.

والمعروف أن هدف التيار الديني الحريدى المتطرف والعنصري هو إقامة «إسرائيل الكبرى»، وبالتالى فهم يعلنون عن تمسكهم بالأراضى المحتلة، وعدم التنازل عنهـا، أو توقف الاستيطان فيها، ويرفضون معاهدات السلام. وتزايد أعداد المتدينين في الجيش الإسرائيلي، وتناقص أعداد العلمانيين يعطى الجيش، الطابع الديني، مما يجعله وسيلة للجناح اليمينى المتطرف لتنفيذ سياسة الاستيطان، وتبنى سياسة القمع الإرهابى ضد العرب وقد حذر الصحفى الإسرائيلي «أمنون كابيليوك» من اختراق اليمين اليهودي المتطرف للجيش لأن هذا يرفع من شأن العنف، ويقتل كل فرص السلام، ويصف «كابيليوك» هذه الخطورة على النحو التالى :

* إن نصف ضباط الجيش الإسرائيلي سيرتدون القلنسوة الدينية على رؤوسهم بعد عشر سنوات فقط، وأن جنود الجيش الإسرائيلي سيجدون أنفسهم أمام خيارين إما طاعة قائدهم العسكرى ، أو طاعة الحاخام .

* ومن الممكن أن يرفض ضباط وجنود الجيش الانصياع لأوامر الحكومة، خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة. ومع تفشى ظاهرة التطرف الدينى في إسرائيل، ستزداد حدة اللجوء إلى العنف والعدوان، وستصبح الحرب أمرا محتملاً كسياسة للدولة، وبضغط من عناصر التطرف الدينى المتزايدة في الجيش الإسرائيلي»[1] .

ومن هنا، فالصهيونية التي نشأت في ظل مجموعة فريدة من الظروف، انتهت باختفاء تلك الظروف، لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها وهو حل «المشكلة اليهودية». لقد كانت محاولة شجاعة عميقة الأثر لإحداث ثورة في حياة الشعب اليهودي، وقد أخفقت هذه الثورة. وقد ثبت أن المحاولة الصهيونية كانت مجرد حدث مهم دون ريب في تاريخ الدياسبورا اليهودية، استمر خمسة وعشرين قرناً، ولكن هذه المحاولة خلفت تركة كان الإنجاز الإيجابى الوحيد هو إيجاد مجتمع يهودى قوى فى إسرائيل «أرض إسرائيل»، كان قادراً على إنقاذ بضعة ملايين من اليهود من الدمار الذى حاق بيهود شرق ووسط أوروبا. أول العناصر الأخرى مثل الدولة اليهودية غير القابلة للنمو والأيديولوجية الميتة،

(١)المرجع السابق، ص٢٣٤.

والتنظيم الحي (البغيض)، والفكرة المتسلطة على الدياسبورا اليهودية، وهي البقاء كدولة يسيطر عليها اليهود – فكلها سم زعاف لجميع الأطراف المعنية»[(١)].

«وإسرائيل كدولة يساندها الغرب، ويسيطر عليها اليهود تغذي – بوجودها على هذا النحو – الرفض العربى، وذلك لكونها حصناً غربياً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط . لذلك تبدو في أعين دول الشرق الأوسط كخطر دائم على استقلالها، وهو الدور الذى لا تكف المؤسسة الإسرائيلية الصهيونية عن لعبه. إن السعى من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسى لقهر الشعب الفلسطينى، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الإسرائيليين، أو منع إقامة الحكم الذاتى الفلسطينى في الأراضى المحتلة. والأسوأ من ذلك كله منع إعادة توطين لاجئي عام ١٩٤٨ في وطنهم، وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذى الرفض العربي»[(٢)].

المبحث الثانى : علاقة الشتات اليهودي بإسرائيل فى ضوء الحروب العربية . الإسرائيلية

«إن الحرب فى إسرائيل هى جزء من الماضى، ومن الحاضر، ومن المستقبل، إنهم يأملون فى السلام، ولكن لابد من الاستعداد للحرب القادمة. وأدبيات الفكر الإسرائيلي زاخرة بمثل هذه الرؤى التى تنظر إلى الحرب باعتبارها قدراً حتمياً وهوة جبرية لا مخرج منها ولا مناص من الدوران فى فلكها؛ من أجل ضمان الوجود الإسرائيلي، بما تنطوى عليه هذه الرؤية من إحساس بأن الموت الذى تنطوى عليه هذه الحروب يسير فى أعقابهم، كوقع الحافر على الحافر دون خلاص. وبعض أصحاب هذه الرؤية ينظرون إلى هذا الأمن والأمان والحياة الطبيعية بأكثر مما كان وضع اليهودي الجيتوى بين المجتمعات التى عانى معاداة اليهودية فى وسطها»[(٣)].

(١) Omri, Benjamin:;Israel and Palestine in the post – zionist era إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٧٦٥)، مطابع الأهرام التجارية، ص١٠٨ .

(٢)المرجع السابق، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): عجز النصر.. الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٠.

وهذه الحالة التى سيطرت على المجتمع الإسرائيلي، وأفقدته طبيعته الأمنية، ألقت بظلالها على مصير تواجد الكثيرين فى إسرائيل، وأصبح النزوح هدفاً صريحاً، على الرغم من قسوته كقرار ضد أهداف الصهيونية. فبعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، تغيرت خريطة الشتات اليهودي، وخاصة الأمريكى، بسبب ظاهرة النزوح من إسرائيل، على الرغم من أن هذا النزوح يعد من الأمور المناوئة لمبادئ الاستيطان الصهيونية، حتى أنها تطلق عليها بالعبرية مصطلح (ירידה)، مقابل مصطلح الهجرة (עלייה)، وبالتالى تعمل على الحد من النزوح ومحاربته.

«إن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع المغتربين الوحيد داخل الولايات المتحدة الأمريكية الذى يجادل بأن أمريكا ليست بمكانه الدائم، ثم ظهرت فى السنوات الأخيرة موجه من الإسرائيليين الذين لم يتتابهم الخجل لأنهم هجروا إسرائيل، ليس لأن الضجر قد سكنهم بل لأنهم أدركوا فى إسرائيل بأنها ليست بالمكان المناسب، وهو يسعى لأن يتذوق الجوهر الحقيقى للحياة الأمريكية بعد أن عاش وجودها الزائف فى إسرائيل، هذه المجموعات من المهاجرين ضمت الصفوة داخل المجتمع الإسرائيلي من الأساتذة ورجال الأعمال»[(١)].

وهذا النزوح يعد بمثابة دم جديد للشتات يضخ فيه القلق والخوف على إسرائيل، وخاصة أن هؤلاء النازحين قد عاشوا الحروب، وخبروها، وعانوا من نتائجها، مما دفعهم لهذا النزوح. ومن هنا تأتى إضافة دعم لتوجهات الشتات بمساندة إسرائيل.

لقد كانت الحروب العربية ـ الإسرائيلية، بدءا من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧م، ذات أثر بالغ على الشتات اليهودي، حيث إن الانتصارات التى حققتها الصهيونية، بدءا بقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وانتهاء باحتلال الأرض العربية، في أعقاب ١٩٦٧ م ، أعطى كل ذلك انطباعاً بالأمان والاطمئنان لدى يهود الشتات بالتسليم، سواء دينياً أم سياسياً ، بأن لليهود وطناً قومياً قوياً وملاذاً آمناً يتجهون إليه .

ولكن تغير كل ذلك بعد حرب السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، فمثلما شعر اليهود

(١)ميلمان، يوسى: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة مالك فاضل البديرى، الأهلية للنشر، عمان، ١٩٩٣، ص٢٣١.

في إسرائيل بالخطر، وأن كيانهم معرض للدمار، شعر كذلك يهود الشتات بالخوف، بل والهلع من جديد بأن كيانهم ورمزهم مهدد بالدمار.

ومن هنا تبدلت نظرة يهود الشتات لإسرائيل من الاطمئنان إلى الخوف وإعادة النظر، والنظرة من الإعجاب إلى العطف، وضرورة الدعم.

فحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، «أدت إلى شعور متزايد، وخاصة لدى الشباب (الجنود) بتكلفة الاحتلال، وبدأت مراجعة المقولات الصهيونية الأساسية، وأهمها أن إسرائيل تمثل ملاذاً لليهود في العالم المعرضين للاضطهاد وفقدان الأمن، حيث لاحظ هؤلاء أن أولئك الذين تحرروا من الخوف كانوا يهود الشتات . وأنه إن كان ثمة يهود واجهوا خطر الإبادة وكارثة جماعية فهم أولئك الموجودون في إسرائيل، وحواليها. بالإضافة إلى ذلك حتى لو كانت دولة إسرائيل قادرة على منع وقوع كارثة جماعية كما حدث في الحقيقة في حرب «يوم الغفران»، فإن الثمن غالٍ جداً، ولدى اليهود خيارات أخرى للاستمرار في البقاء. وهكذا بدأ هؤلاء يقارنون بين تكلفة الدولة والعائد منها. ومن ناحية أخرى عززت هذه الحرب من قوة العرب في إسرائيل، وبالمثل من قوة المتدينين الصهيونيين وغير الصهيونيين الذين عملوا على شغل الفراغ الذى خلقة زوال الهيمنة العمالية[1].

«في الأيام الحزينة التى تلت حرب أكتوبر ١٩٧٣م، كان من الصعب القول للعالم «فليذهب إلى الجحيم»، فقد صرح الجنرال «موشية ديان » الذى كان يشغل منصب وزير الدفاع أثناء الحرب، أن التزود بالقذائف التى كانت في حينها تزج داخل بطون مدافع «الجيش الإسرائيلي»، متعلق بمساعده الإنقاذ الأمريكية، بقى فقط شعور مشترك بالمصير مع (الآباء الأوائل)، ومع عزمهم (القديم جدا) . حرب أكتوبر عمقت تلك المشاعر الأساسية بموضوع العودة إلى (مصير يهودى)، وهو الذي نتج عن حرب ١٩٦٧م . وهكذا نرى أنه بالتأكيد بعد هذه الحرب – التى كانت في حاجة ماسة لدحض أسطورة إسرائيل القوية القادرة على ذلك أمام العالم – تعاظمت قوة «جوش إيمونيم»،

(١)عز الدين، جلال الدين: ظاهرة ما بعد الصهيونية الأبعاد والمضامين، أمتى في العالم، حولية قضايا العالم الإسلامى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٦١.

وفي أيام التشوش وفقدان الأمن الذاتى كبرت قوة العامل المسيحاني (المسيح المخلص) وغير المنطقي، وبدلاً من الحل السياسى حل إيمان بسيط مجرد من الموروثات، والحديث عن الذين انقلبوا ليصبحوا جزءاً من مشهد موجود في طرق البلاد، التي تحبذ الرب لمساعدة المواطن الموجود في خطر دائم [١]».

وتبدلت النظرة إلى اليهودي الشتاتى، وسلبياته، سواء في الماضى أو في الوقت الراهن، إلى إمكانية استخلاص إيجابياته في الدعم والمساندة ، بعد أن كانت النظرة ناقدة وساخرة حتى لسلبيات اليهود الذين تعرضوا في شتاتهم لأحداث النازية « فأقل الادعاءات التى عرفت وانتقدت في بعض الأحيان من قبل الكثيرين ، لماذا تم سوقهم للذبح كالأغنام دون معارضة؟؟»[٢] .

«والصبار الكلاسيكى، بعيد في التصور الذاتى عن « اليهودي الشتاتى » إنه يحتقر عجزه ويكره جبنه، ويشعر بأنه أقرب كثيرا من « الشعب السليم » جسداً وروحاً عن ذلك اليهودي المعقد في الشتات، وتصل هذه العلاقة من الازدواج القيمى إلى ذروتها العبثية في موقف « الصبار الكلاسيكى» من أحداث النازية حيث نجد أن مقتل يهود أوروبا هو في آن واحد برهان على الأيديولوجية الصهيونية الإسرائيلية، ووصمة عار ليهود أوروبا الذين ساروا كالشاه إلى المذبحة»[٣] .

وهكذا فقد كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، هي العصا السحرية التى غيرت المفاهيم ما بين الشتات اليهودي وإسرائيل ، فمن الجانب الإسرائيلي تبدلت النظرة من التدنى والسخرية للشتات إلى التقدير والتماس دعمه ومساندته لإسرائيل. وبشكل عام «فقد مرت إسرائيل بثلاث حروب على مدى ٢٠ سنة، قوّت الروابط بينها وبين الشتات، فعلى مدى تلك السنوات حدث تغير في فحوى تلك العلاقة. في البداية، كان هناك الكثيرون من الشباب فى إسرائيل يرون أن صفات اليهودي الجالوتى (الشتاتى) هى في شكل يغلب عليه الازدراء، وأصلهم الإسرائيلي كمكانة لها الأفضلية، وطابع المهاجرين وأغلبهم من

(١)רובינשטיין, אמנון: שם, עמ'122.

(٢)אטינגר, שמואל: תולדות עם ישראל בעת החדשה, כרך«3, (תל- אביב 1969), עמ'368.

(٣)الشامى، رشاد(دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص ٨٥ .

بلاد متخلفة، ومن لاجئ أحداث النازية قوى من رؤيتهم لتلك المشاعر »[١].

«حدثت في أعقاب حرب ١٩٧٣م، تغييرات عميقة جداً، حيث تبين أن دولة إسرائيل تقف وحيدة في المعركة، وأن حليفها الوحيد هو الشعب اليهودي في (الشتات) في شتى أنحاء العالم. لقد أيقظت مظاهرات يهود الشتات، وتطوعهم واستجاباتهم بتجنيد كل الوسائل، وإحساس بالخوف على مصير إسرائيل المرتبط بهم، من جديد، شعور المشاركة الكبير، وازدهرت يقظة جديدة خاصة بالاهتمام باليهودية، وباليهود، وبثقافتهم، وتاريخهم»[٢].

وعن إسرائيل كدولة تعتمد على الغرب والشتات يقول جارودى: «إن هذه الدولة الناشئة (إسرائيل) لم تخلق إلا بقرار غير مشروع من منظمة الأمم المتحدة، وبضغوط ورشاوى مخزية، وعاشت ليس بعملها الخاص أو بقواها الخاصة، بل كالصليبيين في الماضي، بتدفق المال والسلاح إليها من الغرب»[٣].

كتب «يشعياهو ليبوفيتش» عن رأيه في الصهيونية اليهودية، قائلاً: «نظامنا عفن وفاسد من أساسه، وذلك لسببين هما : المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة، فإذا كان الوطن أو الدولة هما الغاية في حد ذاتها، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم، وارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة الأمريكية. «إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان»، ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيش، ولكنها جيشاً يملك دولة. والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا (إسرائيل) بجيش من المرتزقة الأمريكيين في زى الجيش الإسرائيلي، وأن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التي تبطنها»[٤].

وعلى الرغم من هذا الارتباط الوثيق، في الوقت الراهن، بين إسرائيل والشتات

(١)אטינגר, שמואל: שם, עמ'368.

(٢)שם עמ'368.

(٣)جارودى، رجاء: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(ترجمه قسم الترجمة بدار الغد العربي)، دار الغد العربى، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٠٤.

(٤)المرجع السابق، ص ٢٠٥.

اليهودي، والاعتماد عليه في الدعم وحث الدعم الأمريكي، فقد كانت « الصهيونية باستثناء شقها الديني الذى لم يكن أساسياً»، تأسست على إنكار المهجر، وعلى عودة «شعب إسرائيل» إلى «وطنه التاريخي»، وعلى تجديد الثقافة القومية العبرية. وقد رأت الصهيونية في هذين الاثنين: الأرض وثقافة قومية، الأساسين الوحيدين اللذين يمكن أن يضمنا استمرار وجود الشعب اليهودي في العصر الحديث، وعصر الانعتاق، وكسر أسوار الجيتو»[1].

وفي نهاية المطاف، وسواء كانت إسرائيل أو الشتات محطاً لليهود، وكما يقول يوسف حاييم برينر، أحد أبرز كتاب الأدب العبرى الفلسطيني : «وهنا (في فلسطين) يظهر أنه لا فرق .... المنفى في كل مكان، لا فرق ... لا أمان ...فيم تأمن هنا ؟ ملاك الموت في كل مكان، وعيونه في كل مكان تذهب إليه، نفس خاوية من الحلم، حلم الدياسبورا. ولكن إذا كان لا يزال هناك يهود في العالم، وإذا كان لا بد من الحديث حتى يصلهم صوتى لصرحت، قائلاً : «لا تقلقوا على هذا الحلم . إنه حلم أجوف، حلم باطل ، بكل صوره. وإذا كان هناك بقايا من شعب، وإذا كان في مقدورهم أن يشعلوا شموعهم في أماكن تواجدهم، فليفعلوا ذلك، وليكن وجودهم هناك»[2].

وبعد حرب ١٩٦٧ ، توجهت إسرائيل إلى الشتات اليهودي الغربى في محاولة لاستثمار الماضى لدعم الحاضر، وذلك بإثارة قضية «الهولوكوست» والترويج لها على أوسع نطاق في العالم، للمطالبة بالتعويضات، وتذكير اليهود والعالم بأن خطر الإبادة لا يزال يحدق باليهود، وبالتالى يجب أن يغفر لهم العالم وحشيتهم ضد العرب والفلسطينيين .

«إن زعماء اليهود في أمريكا لم يلجئوا إلى تذكير العالم بالهولوكوست النازى في حرب ١٩٤٨ م، رغم قرب هذا التاريخ من إبادة هتلر لليهود، أو ١٩٥٦ لأن التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلي لم يكن قد تجسد بعد، ولكنهم ذكروا الدنيا بالهولوكوست، أيام

(١)بورات – يهوشواع : رغم أنفهم ورغم غضبهم (مجلة بولوتيكا ١٩٨٩) مختارات إسرائيلية (٥٣) دراسة (٣) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٢.

(٢)حماد، أحمد (دكتور): الاغتراب في الأدب العبرى المعاصر، مجلة عالم الفكر (٢٤ – ٣)، ١٩٩٩، ص ٤٦.

حرب ١٩٦٧ ، عندما كانت إسرائيل في ذروة تألقها العسكري، وبعد أن تأكدوا من رسوخ التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلي ، بهدف التغطية على أفعال إسرائيل، والحيلولة دون توجيه أى نقد إليها. وادعى يهود أمريكا كذباً، أن إسرائيل تعرضت، عام ١٩٦٧ ، لهولوكوست عربي وشيك يسعى إلى تصفيتهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم»[1].

«وعندما انتصرت القوات المصرية، في أكتوبر ١٩٧٣ ، على إسرائيل وألحقت بها خسائر كبيرة في الأرواح، خشى اليهود الأمريكان أن يكون هذا نهاية دولتهم »، عندئذ اشتد صراخ اليهود من الهولوكوست العربى الذى بات يهددهم. يقول «نوفيك» في هذا الشأن « إن موقف إسرائيل المهزومة صار في نظر اليهود الأمريكان مروعاً وفظيعاً، ويشبه موقف يهود أوروبا، منذ ثلاثين عاما مضت . أخذ الحديث عن الهولوكوست ينتشر ويشيع، فضلاً عن أنه أصبح حديثاً مؤسساً وراسخا على نحو متزايد، رغم أن خسارة إسرائيل في الأرواح عام ١٩٧٣ ، يقل بكثير عن خسارتها عام ١٩٤٨»[2] .

وهكذا فقد أصبح الهولوكوست بالنسبة لإسرائيل جائزة لها مبرراتها التى تسمح لها بالمطالبة بالتعويضات، وتقديم كل ما يساعدها على الاستمرار في شكلها العنصرى القوى والخاص في قلب الشرق الأوسط، بحجة إمكانية تعرضها للدمار ولهولوكوست عربي، وتلوح بذلك على الدوام. ويساعدها في ذلك الشتات اليهودي الغربي، والأمريكي بالذات، والحليف الأمريكى من ورائهم، وتجد مبررات لامتلاكها السلاح النووى، وممارسة نازيتها ضد العرب والفلسطينيين .

وتصل قمة استثمار الهولوكوست لصالح إسرائيل في دعم الغرب لها عن طريق مساعدتها في بناء المفاعلات النووية »، ففي ديسمبر ١٩٦٠م، وبعد حوالي خمسة أشهر من الإعلان، لأول مرة، عن أن عملاء إسرائيليين قاموا باختطاف الجنرال «ايخمان» من الأرجنتين، وعدت الجريدة الأسبوعية الأمريكية تايم بنشر سبق صحفى عن إسرائيل: «فهناك تقرير عن قيام إسرائيل بصنع قنبلة ذرية، وعلى الفور أعلن ديفيد بن جوريون،

(١)عوض، رمسيس (دكتور): الهولوكوست بين الإنكار والتأكيد، كتاب الهلال، العدد ٦٠٠، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٢.

(٢)المرجع السابق، ص ٢٤.

بأنها أخبار كاذبة، ولكنه أكد بالكنيست أن إسرائيل تقوم ببناء مفاعل نووى ثان فى النقب، وهى مدينة أبحاث ذرية بجوار ديمونة، التي تم إقامتها بمساعدة فرنسا، وحتى هذه اللحظة تعد سراً كبيراً . وقد قيل لسكان المنطقة إنه مصنع للمنسوجات على غرار المفاعل الذرى الأول المقام في منطقة «ناحال شورق »، وهو بلغة المطلعين (المفاعل الصغير)، والمفاعل الكبير بجوار ديمونة للأغراض السلمية فقط . وأضاف بن جوريون في أقواله بأنه مشابه للمفاعل التى ساعدت كندا الهند في بنائه»[١] .

« في أكتوبر ١٩٦٤م، أخبر موظف كبير في حكومة ألمانيا الصحفيين في بون بوجود تعاون مشترك بين بلاده وإسرائيل في مجال البحث الذرى لدواعى السلام، (في الصحيفة اليومية – فرنكفورتر – وندشاو) ، وأضاف بأنه بناء على ذلك، أو في غضون فترة قصيرة، ستمتلك إسرائيل قنبلة ذرية بمساعدة علماء من ألمانيا؛ تلك الأنباء أدت على الفور إلى اقتراحين بحجب الثقة عن الحكومة، وأنكر « أبا أيبان « وزير التعليم، وقال : «لا توجد نشاطات علمية ألمانية بإسرائيل عامة، وفي المجال النووى خاصة، لكن الصحف تعمدت الاختراق بإعلان أسماء عالمين هما: البروفيسور «هانزيانش»، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء، والبروفيسور « فولفجانج جنتز »، مدير مركز الفيزياء النووية، بجوار معهد ماكس فلنك المعروف «بهايدلبرج»، حيث كان الاثنان في إسرائيل، وأعلن عن اسميهما بالكنيست، وأكدت الحكومة أنهما زارا معهد فايتسمان»[٢] .

وبرزت قوة الشتات اليهودي فى الولايات المتحدة الأمريكية، بداية من من حرب ١٩٦٧م، وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، من خلال توجهات السياسة الأمريكية لصالح إسرائيل، والتى يقول عنها «برنارد راغ» :«إن إسرائيل تحتل مكانة خاصة فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط، بشكل لا مثيل له، وهى المكانة التى يجسدها دور إسرائيل فى الصراع العربي ـ الإسرائيلي. إن وجود إسرائيل وأمنها هما خطوط رئيسية فى سياسة الولايات الأمريكية، منذ وجود إسرائيل، حيث تدعمها، منذ ذلك الحين وحتى اليوم. وقد توثقت العلاقات الخاصة بينهما بمرور السنين، ووصلت

(١)שגב, תום: המליון השביעי, הישראלים והשואה, כתר, ירושלים, 1998, עמ'344.

(٢)שם, עמ'347.

إلى مستويات جيدة ذات مغزى فى مجال التعاون والتنسيق فى المجالات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، خلال الفترة ما بين حرب ١٩٦٧م ـ ١٩٧٣م»[١].

وهناك من الأحداث ما يبرهن على قوة الشتات اليهودي فى الولايات المتحدة الأمريكية، «ففى ٨ يونيه ١٩٦٧م، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية «ليبرتى» (بالشرق الأوسط أثناء حرب ١٩٦٧م)، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحاراً، وجرح ١٧، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث، وحفظت القضية. وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأ، ولكنه كان متعمداً حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان. ويفسر الأميرال «توماس مور» سر التغطية على هذه الجريمة، قائلاً :« كان الرئيس جونسون يخشى رد فعل الناخبين اليهود... ويضيف الأميرال:«كان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى»[٢].

ويتعدى الشتات اليهودي دوره فى مساندة إسرائيل فى حروبها السابقة إلى التطلع لأحلام قيام (إسرائيل الكبرى)، من خلال شن حروب من نوع آخر بالمنطقة لصالحها. فقد نشرت «المنظمة الصهيونية العالمية» فى مجلتها «كيفونيم»، التي تصدر في القدس، في عددها الصادر، في فبراير من عام ١٩٨٢م، مقالاً بعنوان (الخطط الإستراتيجية لإسرائيل فى الثمانينيات)، جاء فيه:« إن مصر بوصفها جسداً مركزياً، فإن هذا الجسد قد مات (لا قدر الله) لاسيما لو أخذنا فى الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين، كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى فى التسعينيات على الجبهة الغربية. فإذا ما تفككت مصر وحرمت من السلطة المركزية فإن بلداناً أخرى، مثل ليبيا، والسودان، وغيرهما من البلدان الأبعد ستعرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية فى صعيد مصر. هو مفتاح الحل لتطور تاريخي، تأخر اليوم، بسبب اتفاق السلام، ولكن لابد منه على المدى الطويل. ورغم المظاهر فإن الجبهة الغربية تمثل مشاكل أقل من مشاكل الشرق، ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات ... ما سيحدث فى العالم العربى بأسره. وتفكك سوريا والعراق إلى

---

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٣٠ـ ٢٣١.

(٢)جارودى، رجاء: الأساطير، المرجع السابق، ص١٨٥.

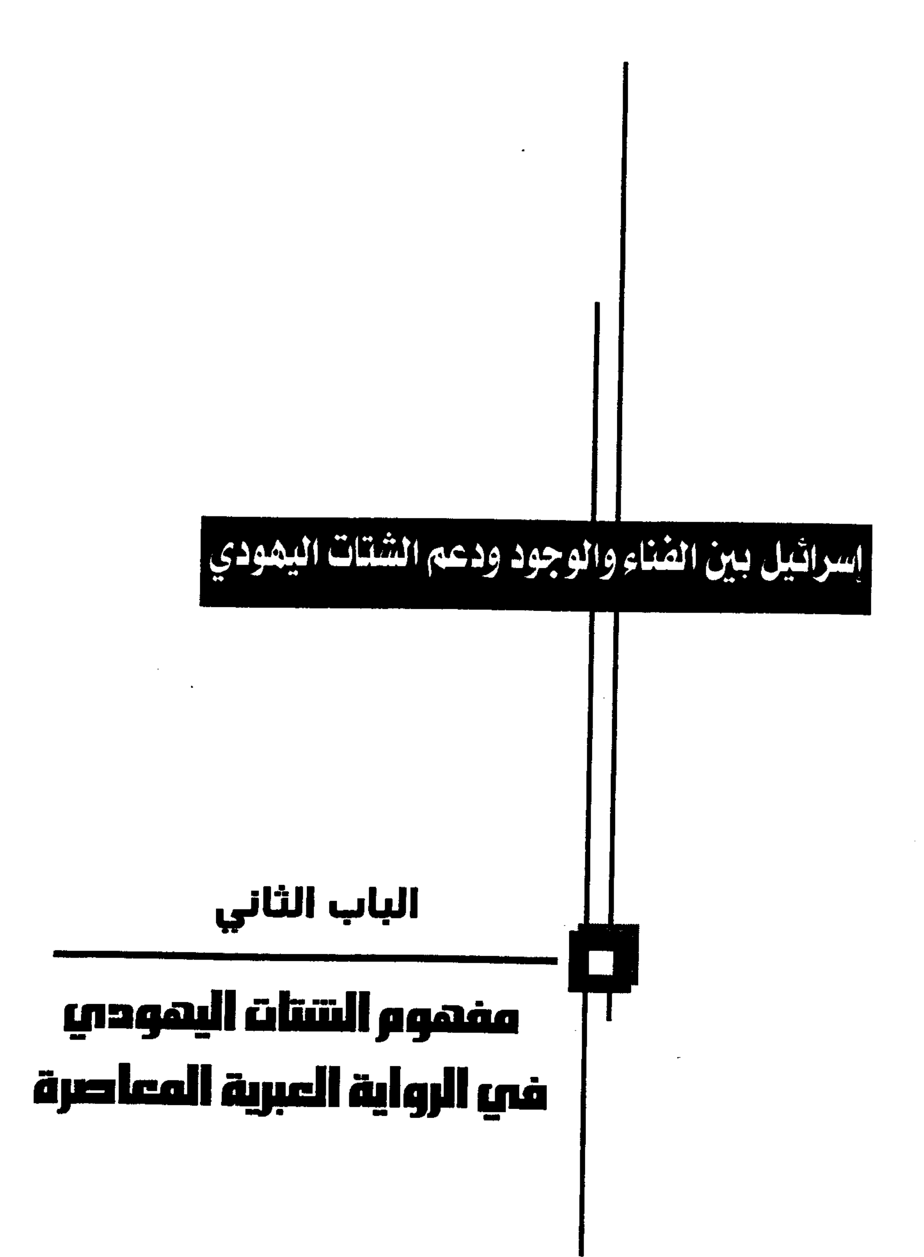
مناطق محددة، على أساس المعايير العرقية أو الدينية، ينبغي أن يكون على المدى الطويل هدفاً ذا أولوية لإسرائيل، على أن تكون الخطوة الأولى هي تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين. فالهياكل العرقية في سوريا تعرضها للتفكك الذى قد يؤدى إلى إنشاء دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية فى حلب، وأخرى فى دمشق، وكيان درزى قد يرغب فى تشكيل دولته الخاصة به ـ ربما فوق هضبة الجولان ـ وعلى أية حال مع حوران وشمال الأردن، ومثل هذه الدولة ستصبح على المدى الطويل ضماناً للأمن والسلام فى المنطقة. وهو هدف فى متناول يدنا بالفعل. والعراق الغنى بالبترول، والمرتع للمنازعات الداخلية هو خط التسديد الإسرائيلي، وتفكيكه سيكون بالنسبة لنا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل. (كيفونيم، فبراير ١٩٨٢م، ص ٤٩- ٥٩)»[١].

وتحاول الدعاية الصهيونية توظيف واقعة الإبادة فى تعبئة أعضاء الجماعات اليهودية (باعتبارهم الضحية الوحيدة)، وراء الأهداف الصهيونية، ولتحقيق هذا يحاول الصهاينة أن يجعلوا من الإبادة حجر الزاوية التى تستند إليه الوحدة بين يهود العالم فى إسرائيل وخارجها، فالإبادة بعد فرض المعنى الصهيونى عليها، تنهض دليلاً على رفض العالم لليهود، وعلى أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية اليهود الذين يقدمون قرباناً على المحرقة، وهذا تأكيد للمقولة الصهيونية الخاصة بأذلية معاداة الأغيار لليهود وحتميتها، ومن ثم يتعين على يهود العالم (الشتات) الهجرة إلى «الوطن القومى» ولكن يهود العالم هنا يتربصون على أساس أن الإبادة أمر مستحيل الوقوع مرة أخرى، ومن الصعب أن يخطط المرء على أساس حادثة استثنائية وفريدة[٢].

وهكذا جندت إسرائيل الغرب مدفوعاً من الشتات اليهودي، بدعوى الهولوكوست لدعمها مادياً وعسكرياً، ومساعدتها في إنشاء السلاح النووى على أيدى علماء من ألمانيا وفرنسا، وبمباركة من الولايات المتحدة الأمريكية التى تقدم لها الدعم السياسى لإبعاد التفتيش النووى عليها، والصمت إزاء نازيتها ووحشيتها في معاملة الفلسطينيين، بدعوى الخوف من تكرار الهولوكوست، وتعرض إسرائيل للدمار.

(١)المرجع السابق، ص١٨٠- ١٨١.

(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص٤٣٥- ٤٣٦.



الباب الثاني

مفهوم الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة

الفصل الأول

أدباء الدراسة وموقفهم من قضايا الشتات اليهودي ودولة إسرائيل

«انطلاقاً من المقولة الشهيرة «الأدب تعبير عن المجتمع»، وحيث إنه لا يمكن للباحث أن ينتزع الكاتب أو يفصله عن مجتمعه، باعتباره عضواً فيه يتأثر به، ويؤثر فيه، فإن السيرة الذاتية للكاتب تعتبر بحق مصدراً رئيسياً لدراسة إنتاجه الأدبى، ولفهم البيئة المحيطة به، كما أن دراسة العمل الأدبى تعين الباحث أيضاً على تحديد العناصر المؤثرة والمكونة لحياة الكاتب بوجه عام»[(١)].

ومن هنا، فإن دراسة جذور الأديب الأولى، وخاصة إذا كانت فى الشتات، لها أهميتها وتأثيرها البالغ على حياة الأديب، وإنتاجه على مدى مشوار حياته، وفى مجتمعه الجديد (إسرائيل) المغاير، تماماً، لمجتمعه الأول الشتاتى.

وفى هذه الإطلالة سوف نلقى الضوء على حياة الأدباء الثلاثة (**أهارون ميجد، وأهارون أبيلفيلد، وسامي ميخائيل**) موضوع الدراسة، على اختلاف مشاربهم الأولى، ما بين الغرب والشرق، وعوامل التأثير فى فكرهم حول قضايا الشتات اليهودى، ومدى تأثيرها على الوضع الراهن فى إسرائيل، وقضاياها، ونزاعاتها في الداخل والخارج، ومع جيرانها، ومدى تطابق وجهات نظرهم وفكرهم حول تلك القضايا، من خلال دراسة وتحليل ثلاث روايات لهؤلاء الأدباء، هى: (فويجلمان، وحفرة الثلج، وفيكتوريا).

وعلى الرغم من اختلاف ثقافة، وفكر، وبيئة الأدباء الثلاثة، فإن هناك اتفاقاً من خلال

(١)إدريس، جلاء(دكتور): مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الإسرائيلى المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٦٥.

أعمالهم الروائية على قضايا مهمة تؤثر على الدولة وتوجهاتها، مثل قضية الاندماج والتمييز بين الطوائف الشرقية والغربية، والتمييز فى معاملة النازحين من الشتات، وانحراف الحاخامات بين الماضى والحاضر، وفى الشتات، وفى إسرائيل. وهناك اتفاق آخر له مغزاه الفكري، وهو الفخر بأدب وثقافة الشتات، في الغرب والشرق.

أولاً: أهارون ميجد، ورواية «فويجلمان» (١٩٨٧):

«ولد أهارون ميجد، عام ١٩٢٠م، بمدينة «فولتسلفيك» ببولندا، هاجر إلى فلسطين، عام ١٩٢٦م[١]. حطت قدماه فلسطين فى سن الخامسة والنصف»[٢]. وعلى الرغم من أنه تربى، وترعرع، وشب على أرض فلسطين، فإنه يقول:«إننى شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء، لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة، أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[٣].

وعن اللحظات الفارقة بين وجوده فى الشتات، ووصوله إلى أرض فلسطين مهاجراً من بولندا مع أسرته، يقول:« في صباح يوم مشمس، في أبريل (١٩٢٦)، وصلنا إلى يافا بالسفينة، وكان البحر هائجاً، ورست السفينة على مسافة من الميناء، وقام أحد البحارة العرب برفعي من على سطح السفينة بين ذراعيه، ثم أنزلنى فى قارب صغير حيث نزلنا على رصيف الميناء، ثم قام الموظفون الإنجليز ذوو الشوارب الصفراء بفحص جوازات سفرنا وأمتعتنا (عبارة عن صناديق تولى حملها الحمالون العرب)، وبعد ذلك كان العزل الصحى، فقد اقتادونا إلى «الكرنتينا»، وهى عبارة عن صالات واسعة بها حمامات ومراش للتطهير والتعقيم. ثم قاموا بتصنيفنا، الرجال في هذا الاتجاه، والنساء فى هذا الطريق، ولكننى أنا وأخى تم إرسالنا مع والدتى، وكان مشهد النساء العاريات ـ حيث كن كثيرات هناك ـ وهن يقفن تحت المراش، وأنا أسير عارياً بين أقدامهن، وهذا من أكثر الأشياء التى حدثت فى ذلك اليوم إثارة، في أول يوم لى فى الأرض المقدسة».

(١)כהן, אדיר: סופרים עבריים בני זמננו , הוצאת מזרח, תל אביב, 1979, עמ'95.

(٢)שקד, גרשון: הספרות העברית 1880- 1980, ד. בחבלי הזמן, הריאליזם הישראלי 1928- 1980, הקיבוץ המאוחד, כתר, ירושלים, 1993, עמ'291.

(٣)בסר, יעקוב: שיחות השבוע עם אהרון מגד, הגל החדש בספרות מנותק מן הרצף הקודם, על המשמר, 11/ 3/ 1994, עמ'19.

ويعد هذه المرحلة الفاصلة فى حياته وحياة أسرته بعد الشتات، انتقل مع أسرته إلى تل أبيب، حيث كانت مدينة صغيرة، «أخذونا من يافا إلى تل أبيب فى عربة سوداء، يجرها حصان أبيض، يقودها حوذي يرتدى طربوشاً أحمر. كانت تل أبيب، آنذاك، مجرد مدينة صغيرة، يقطنها حوالي أربعين ألف نسمة، وتحيط بها الرمال من كل جانب، وكانت شوارعها ـ بمنازلها البيضاء التى لا يزيد ارتفاعها عن طابقين أو ثلاثة ـ مفتوحة على البحر، وقوافل الجمال التى تحمل أكياس الحصى تجوبها، وتدق أجراسها»(١).

ويقر ميجد فى سيرته الذاتية بأنه أصبح صباراً(٢)، بعد أن أقام لمدة ستة أشهر فى تل أبيب، بعد وصوله من الشتات البولندى مهاجراً «لقد عشت فى تل أبيب لمدة ستة أشهر، وأصبحت خلال تلك الفترة «صباراً» كاملاً، أتحدث العبرية مثل سائر الأطفال فى لعبى، ونسيت البولندية، تماماً، كما لو أن ملاكماً لمس أنفي ليجعلنى أنسى هذه اللغة. لقد اعتدت السير حافي القدمين وبملابس داخلية قصيرة»(٣).

وعلى الرغم من هذا، فإنه يحدد انتمائه بشكل قاطع، بقوله: «إن الحقيقة هى أننى لست على أية حال من المحبين للجماعة «الصبارية» النقية، صبارية الرجال المنمقين

(١) Ibid, p.143.

(٢) الصبار: أورد جورج فريدمان عالم الاجتماع الفرنسى المعروف فى كتابه «أهى نهاية الشعب اليهودي»، الملابسات الاجتماعية والتاريخية التى صاحبت إطلاق تسمية «الصبار». يقول فريدمان: «إن ذلك المصطلح أخذ يتردد فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، مباشرة، وأنه استخدم للمرة الأولى فى مدرسة هرتسيليا الثانوية بتل أبيب، وهى مدرسة كانت تضم بين التلاميذ اليهود شباناً من مواليد فلسطين، إلى جانب الذين هاجروا مع آبائهم، والذين كانوا غالباً ما يتفوقون فى دراستهم على أولئك المولودين في فلسطين، بسبب قدومهم من حضارة أكثر تقدماً. وفى محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين يلجؤون إلى الإمساك بثمرات التين الشوكى وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون في مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، والتي عادة ما كانت تنتهى بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين فى هذا التحدى، ويتمكنون من نزع القشرة الشائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة. ومن هنا التصقت كلمة التين الشوكى «الصبار» بهذه الفئة من اليهود «مواليد فلسطين»، ثم انتشرت التسمية لتعطى ما يسمى بجيل «الصباريم» الذى أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا فى فلسطين، رغم تخلفهم الحضارى، إلا أنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق. للمزيد راجع، الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): عجز النصر، المرجع السابق، ص٤٧.

(٣) Eden, Vivian, Op. Cit., p.143.

السابقين لحرب (١٩٤٨)، فلست من جماعتهم»[١]. ويشير إلى انتمائه «لقد كنت أشعر دائماً بأنني جزء من أسرة كبيرة، هي يهود بولندا وروسيا»[٢].

ومن هنا كان الشتات اليهودي متأصلاً فى فكره وإنتاجه الأدبي، فيما بعد، علاوة على رواسب الأيام الأولى عندما حطت قدماه أرض فلسطين، وقد رصدت عيناه العرب وهم يحملونه برفق فى الميناء، ليبدأ رحلته الطويلة معهم فى فلسطين وإسرائيل.

ويروى ميجد معاناة أسرته كأسرة نازحة من الشتات إلى فلسطين؛ من أجل الإقامة والعمل، حتى عثر والده على فرصة عمل فى رعنانا[٣] فيقول:« وفى أحد الأيام اختفى والدى من المنزل (بتل أبيب)، ولم يتم إخبارنا نحن الأطفال بالمكان الذى ذهب إليه، ثم عاد بعد عشرة أيام، وكان البريق يشع من عينيه، حيث أخبرنا أنه جاب البلاد من أقصاها إلى أقصاها على قدميه، ومن العربات، وحتى عن طريق (الأوتوستوب)؛ لأنه لم يكن يملك المال اللازم لدفع أجرة الركوب، لدرجة أنه وصل إلى (كفار جلعادى) على الحدود اللبنانية، بحثاً عن وظيفة شاغرة كمدرس، حتى تمكن أخيراً من الفوز بوظيفة، وقبّلنا جميعاً «لقد وجدت وظيفة»، وقال لنا إن الوظيفة موجودة فى مستوطنة زراعية اسمها «رعنانا»، تبعد حوالي ١٥ كيلو متر شمال شرق تل أبيب، وأن هناك مدرسة على وشك الافتتاح، وأنه سيكون أول مدرس يعمل بها»[٤].

وهكذا انتقل ميجد مع أسرته للإقامة فى قرية رعنانا، ولم تكن البداية سهلة، ولكنها كانت صعبة وقاتمة بالنسبة لأسرة مهاجرة من الشتات البولندى. وعن هذه البداية

(١)בסר, יעקוב: שם, עמ'19.

(٢)מגד, איל: הוציאו על כולנו חוזה, אהרן, איל מגד, יחסים אחרים, מעריב השבוע, 23/ 8 – 29/ 8 / 1991, עמ' 29- 30.

(٣)وهى قرية صغيرة عبارة عن شارع واحد رملى طويل، تناثرت على جانبيه حوالى ثلاثين منزلاً وكابينة، ومن خلفها حظائر المواشى والدجاج، وكان يحيط بها الحقول وبساتين الحمضيات، وعلى التل إلى الجنوب الخيام السوداء لقبيلة أبو كشك (البدوية). أما ناحية الشمال فقد كانت هناك قرية عربية منازلها مصنوعة من الطين، وتحيط بها أشجار الصبار والتين(هذا الوصف لبدايات المستوطنة عندما أقامت بها أسرة ميجد فى سنوات هجرتهم الأولى (حالياً مستوطنة كبيرة)، للمزيد راجع، Eden, Vivian, Op. Cit., p.143.

(٤)Ibid, p.144.

المعيشية يقول ميجد: «استقللنا السيارة الخاصة بنقل المؤن إلى مخزن البقالة بالقرية، وتركنا متعلقاتنا القليلة على الرمال، وحملت أمى أختى الرضيعة على ذراعيها، وتابعتها عندما دخلت الكابينة المخصصة لنا، ورأيت الأرض المتربة والجدران المشققة، والحشرات، فخرجت وجلست على السرير، وأعلنت وهى تجهش بالبكاء أنها لن تعيش فى ذلك المكان. وكانت أمى «ليئة» عصبية المزاج، بطبيعتها وتلقائيتها، فإن كرهت شيئاً أو شخصاً فإنها تعبر عن ذلك تلقائياً بكلمات قاسية، أما والدى فكان رجلاً صبوراً، وكان يعتقد أن أى شيء يحدث يكون دائماً من أجل الأفضل. ومن ثم فقد أخذ يهدئ من روع والدتي، حتى دخلت الكابينة مرة أخرى. وأخذت تدلّك الجدران بالكيروسين للقضاء على البق. وكانت المدرسة عبارة عن غرفة واحدة فى الكابينة المجاورة لنا، ولم تكن تحتوى إلا على مائدة وبعض المقاعد. وقد قام والدى بتدريس كل المواد لاثنى عشر تلميذاً، تراوحت أعمارهم ما بين السادسة والثانية عشر عاماً»(١).

وبناء على ما تقدم فقد قضى ميجد طفولته فى رعنانا، ثم التحق بالمدرسة الثانوية فى تل أبيب (جمنسيا هرتسليا)، وتخرج فيها. وخلال هذه المرحلة من شبابه انضم إلى إحدى المنظمات العسكرية الصهيونية «الهاجاناه»، ومن خلالها تعرَّف على الواقع السياسى السائد، آنذاك، وعرف الكثير عن الاستيطان وزعمائه، وكانت سعادته كبيرة عندما أنهى دراسته الثانوية: «أنهيت دراستى بالمدرسة الثانوية بتفوق، ولكنى لم أكن أحبها، لأنها كانت مغلقة بحواجز سميكة مع نظام صارم من التحكم، والسيطرة، والعزلة عن الحياة المتدفقة بالخارج. وعلى أية حال كنت سعيداً للغاية من بعض المدرسين الذين كانوا يلفتون انتباهى للعالم الكبير فى أعقاب الشعور بالفتور الذى كان يصيبنى فى حجرة الدراسة، وكان من بينهم بصفة خاصة مدرس اللغة الإنجليزية الذى علمنى قراءة شكسبير، وكذلك مدرس الرياضيات الذى وجهنى لموضوعات معينة، علمتني كيف أكتسب المعرفة، وأن أكون قريباً من الفلسفة»(٢).

وبعدها قرر ميجد الانخراط فى حركات الشباب، ومعسكرات المهاجرين، ولم

Ibid, p.144.(١)

Ibid, P.147.(٢)

يتمكن من الالتحاق بالجامعة بسبب مشاق العمل وقسوته فى مستوطنة جديدة، حيث يقول:« كانت السنة الأولى عبارة عن تدريب جماعى مع مجموعة مكونة من خمسة عشر فرداً من أعضاء الحركة، فى أكبر مستوطنة تحت الإنشاء، وهى «جبعت برينر»[1]، حيث كان هناك ألف فرد من مختلف التخصصات فى الزراعة، علاوة على بعض المصانع، وكان معظم هؤلاء الأعضاء قادمين من ألمانيا، وحاصلين على تعليم عال، وكانوا يعزفون مقطوعات لـ«باخ» و «بيتهوفن»، أثناء عملهم»[2].

ومن خلال انخراطه فى تلك المعسكرات ولقائه بأنماط مختلفة من شتات اليهود على اختلاف آرائهم ومذاهبهم، تبلور فكره السياسى الذى انعكس فيما بعد فى أعماله الأدبية.

ويوجز ميجد هذه التجربة الشبابية، بقوله:«عندما كنت شاباً صغيراً فى سن مبكرة جداً، كنت منتمياً لمعسكرات المهاجرين، وعضواً فى كيبوتس. وكان «البيتاريم»[3] الإصلاحيون بمثابة شيء شبه شيطاني، مخلوقات أخرى، أناس ذوى قرون، وكان لدينا

(١) Ibid, p.147.

(٢) جبعت برينر (تل برينر)، وقد سُميت هذه المستوطنة على اسم الأديب العبرى (يوسف حاييم برينر ١٨٨١- ١٩٢١م). الذى لعب دوراً مهماً فى الأدب العبرى الفلسطينى، خلال العقدين الأول والثانى من القرن العشرين. وقد قتل فى اضطرابات ١٩٢١م، في حيفا على أيدى العرب فى فلسطين. وقد ساهم فى تأسيس الهستدروت. وكان أكبر المنادين بتصفية الدياسبورا (الشتات)، لحساب الاستيطان الصهيونى. للمزيد راجع، الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٤.

(٣) بيتاريم: (ברית יוסף תרומפילד) (ميثاق يوسف ترومفيلدور). الذى قتل فى مستوطنة (تل حاى) عام ١٩٢٠م. وقد أطلق اسمه على منظمة رياضية، وعلى هذه المنظمة الصهيونية، وهى منظمة شباب خاصة بالصهيونية الإصلاحية التنقيحية، وهى تهدف إلى تثقيف الشباب عن الأرض والاستيعاب بتعليم صهيونى، علاوة على التأهيل العسكرى للدفاع الشخصي، وتنمية الروح الطلائعية، والخدمة التطوعية. أنشأ المهاجرون، عام ١٩٢٦، جماعة «منوراة» في «بتاح تكفا»، وبعد ذلك انخرطوا فى سرايا العمل فى «موشافوت» أخرى. لقد كانت الحركة تحت زعامة جابوتنسكى، حيث تفرعت الحركة فى دول أخرى فى الشتات، ففى عام ١٩٣١، أصبح لها فرع فى وارسو، وفى عام ١٩٣٤، أقام بيتار لأول مرة مركزاً للتعليم البحرى بإيطاليا، ومركزاً للتأهيل الجوى بباريس ١٩٣٤، وفى جنوب أفريقيا ١٩٣٩، وفى نيويورك ١٩٤١. للمزيد راجع، The Zionist year book, 5727, 1966- 1967.

فى «رعنانا» التى كانت، آنذاك، مستوطنة صغيرة جداً، أحد البيتارين فى المدرسة، وكان هذا الشخص غير عاطفي، على الإطلاق، ومتكبراً، وقاسياً، وذا آراء متطرفة. وبعد ذلك عندما عدت للمدينة قابلت إصلاحيين من الجيل السابق، أكثر تقدماً فى العمر، وإذا بهم أناس طيبين كانت لديهم فى ذلك الوقت آراء مختلفة جداً عن آرائى، ولكنهم كانوا فى الحياة أناساً طيبين، وعندئذ قلت: «لم كل هذا؟ لماذا يتم تقسيم الناس وفقاً لوجهات نظرهم السياسية»[1].

التحق ميجد بعد ذلك بالمستوطنة الاشتراكية «سيدوت يم»، ومن خلالها عمل فى ميناء حيفا فى الشحن والتفريغ، والتقى الكثير من العمال العرب وغيرهم. وأصبحت هذه المواقف لبنات فى ذاكرته، أظهرتها أعماله فيما بعد، وكان لها تأثيرها فى فكره السياسى، ورؤيته المتميزة للصراع العربي - الإسرائيلى.

دور ميجد فى إنشاء نواة «الشباب الطليعى» فى الشتات (الولايات المتحدة الأمريكية):

من خلال نشاط ميجد مع حركة الشباب، والعمل في المستوطنات، أوفدته الحركة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لإنشاء نواة الشباب الطليعى هناك: «فى عام ١٩٤٦م، أوفدتني حركة المستوطنات للولايات المتحدة مع مجموعة من خمسة مندوبين آخرين، لتأسيس حركة الشباب هناك، حيث تقوم الحركة بإرشاد أعضائها وتلقينهم عن حياة المستوطنات فى فلسطين، وكانت الحركة تسمى «الشباب الطلائعى החלוצים»[2].

وعاد ميجد إلى تل أبيب، فى عام ١٩٤٨م، وأقام في «سيدوت يم»، حتى عام ١٩٥٠م، حيث استقر فى تل أبيب، وشارك فى تأسيس مجلة «ماسا» التى كانت تصدر كل أسبوعين، وتختص بشئون الأدب والنقد، وعمل محرراً بها، حتى عام ١٩٦٨م، حيث سافر إلى لندن للعمل مستشاراً ثقافياً لإسرائيل، حتى عام ١٩٧١م.

وفى الأعوام من ١٩٧١م- وحتى ١٩٨٥م، أصبح مشاركاً بعمود أسبوعى فى جريدة «دافار»، إثر عودته من لندن، بعد انتهاء عمله كملحق ثقافى هناك. هذا وقد أمضى ميجد

(١) Eden, Vivian, Op. Cit., p.146.

(٢) Ibid, p.146.

معظم فترة السبعينيات والثمانينيات في جولات خارج إسرائيل، لإلقاء محاضرات فى بعض الجامعات الأمريكية عن الأدب الإسرائيلى. ففى عام ١٩٧٧م، تم اختياره كاتباً فى مهمة علمية فى قسم اللغة العبرية بجامعة أكسفورد، وفى عام ١٩٧٩م، تم اختياره ليحاضر بالأكاديمية العبرية، ومن عام ١٩٨٠ - ١٩٨٧م، شغل منصب رئيس الجمعية الدولية للشعراء، والكتاب، والقصاصين فى إسرائيل.

وقد فاز ميجد بعدة جوائز، ففى عام ١٩٧٧م، فاز بجائزة بياليك، وفى عام ١٩٨٣م، فاز بجائزة (بريزنت تنس) من نيويورك، عن رواية «عسائيل» بمناسبة صدور ترجمتها باللغة الإنجليزية . وفى عام ١٩٩١م، حصل على جائزة نيومان للأدب من جامعة بار-إيلان، علاوة على فوزه بجائزتى برينر وعجنون.

الإنتاج الأدبى لأهارون ميجد، ومصادر التأثير:

يرتبط إنتاج ميجد الأدبى ارتباطاً وثيقاً بنشأته، وبيئته، ودراسته، والظروف التي أحاطت به وبأسرته، فقد أحب الكتب منذ نعومة أظفاره، ومنذ أن تعلم القراءة، حيث كان والده يمتلك مكتبة غنية بكتب الأدب التى نهل منها، وكان لتشجيع المدرسين أثر بالغ فى حثه على القراءة، ومن ثم تنمية مواهبه الأدبية، التي غذَّاها وزادها العمل الذى مارسه فى المستوطنة، وفى ميناء حيفا فى الشحن والتفريغ، حيث يقول عن هذه الفترة:«كان العمل شاقاً جداً، إلا أنه كانت هناك أحياناً أوقات لم يكن لدينا ما نقوم به من عمل، حيث كنا نجلس فى انتظار سفينة متأخرة، ومن هنا كنا نجلس للراحة، وأنا أقرأ رواية يوليوس قيصر لشكسبير، أو فاوست لجوته فى ترجمتها العبرية. كانت هذه الفترة مليئة بالخبرات القوية، التي ترسخت داخلي بعمق، لقد أتاح لى ذلك العمل الدخول إلى عالم إنسانى حافل بالألوان والأنماط البشرية العديدة والمختلفة، وكذلك بجماعات إنسانية مختلفة، تماماً، عن تلك التي عرفتها في طفولتي، حيث التقيت العمال العرب، واليهود، والموظفين، ورجال الشرطة البريطانيين المسيطرين على أرصفة الميناء، والمشرفين على العمل من الشركات الكبيرة ومع البحارة من والدنمارك، وفنلندا، واليابان، ومصر، وروسيا. وفى ذلك الوقت، وبعد اندلاع الحرب فى أوروبا، بدأت القوارب المحملة بالمهاجرين هرباً من بطش النازى، تصل إلى الميناء، وكان وصولها

غير قانونى؛ لأن قوانين الانتداب البريطانى كانت مقيدة للهجرة إلى فلسطين»[1].

بدأ ميجد أعماله الأدبية بنشر مجموعة قصصية بعنوان «روح البحار»، عام ١٩٥٠م، وهى المجموعة التى كشفت عن موهبته وبراعته فى هذا الفن الأدبى، ثم تلاها بعد ذلك العديد من الأعمال الروائية الطويلة التى تعدت عشرين عملاً، حيث ترجم العديد منها إلى لغات أخرى، كما عرض بعضها على المسرح، علاوة على مجموعة من المسرحيات تعدت عشر مسرحيات، وقد كتب قصصاً للأطفال، وترجم العديد من الأعمال الأدبية العالمية للعبرية، وله عدة مقالات متنوعة فى مجالات شتى.

ومن أهم رواياته التى تناولت الشتات اليهودى رواية «فويجلمان»، وقد عرضت كمسرحية تاريخية على مسرح البيديش بتل أبيب، عام١٩٩١م. وسوف نتناولها بالبحث والتحليل لرصد قضايا الشتات اليهودي، من خلال أحداثها.

بعد عرض رواية «فويجلمان» على مسرح البيديش بتل أبيب، أجرى الصحفى والأديب والشاعر، أيال »، الابن الأكبر لأهارون ميجد»، حواراً صحفياً مع والده ميجد على صفحات الملحق الأسبوعى لجريدة «معاريف»، قال فيه ميجد:«هذه رواية حزينة جداً تتحدث عن عالم جميل اختفى، إن جهود الناجين من الشتات للأخذ بأسلوب الحياة هنا (إسرائيل)، هو بمثابة مجهود ميئوس منه، إنك تشاهدهم حولنا، «الناجون من أحداث النازية، فى كل مكان ترتاده نجد أن بهم جرحاً، جرحاً صارخاً، فعندما انتهيت من كتابة رواية «فويجلمان» قلت لنفسى :« هذا هو المطلوب، قلت هذا هو الذى يعنينى، وتلك هى وصيتى، وهذا الذى أرغب فى بقائه .... إن هذه الرواية تتضمن ..... رواسب عاطفية وعميقة جداً عن ارتباطى بالشعب اليهودى (الشتات)؛ لأنه هو الارتباط المهم جداً بالنسبة لي»[2].

وهكذا، فإن ميجد يؤكد بالفعل فى هذه الرواية على الارتباط بالشتات اليهودى وبثقافته، وتعكس الشخصيات الرئيسية فى الرواية بانتماءاتها الثقافية المختلفة مضمون الرواية الذى يتشعب لمناقشة وتناول العديد من القضايا، ذات الصلة بالشتات اليهودى،

(١) Ibid, p.149.

(٢) מגד, איל: שם, עמ'30.

وحاضر ومستقبل إسرائيل.

شخصية فويجلمان:

هى الشخصية المحورية فى الرواية، حيث تدور أحداث الرواية كلها حول تداعيات، وسلوك، وتخبطات، وعلاقات تلك الشخصية. فهو شاعر يكتب باليديشية، نشأ وترعرع فى الشتات اليهودى فى بولندا، ويعد من الناجين من «أحداث النازية»، وكانت بداية علاقته بإسرائيل مع «تسفى أرييل» (أستاذ التاريخ بجامعة تل أبيب)، والذي يطلب مساعدته فى نشر كتابه المكتوب باليديشية فى إسرائيل، وذلك بعد ترجمته للعبرية حتى يتيح للعامة قراءته.

ومن خلال تلك العلاقة تنشأ عدة مشكلات، منها معارضة «نورا» (زوجة أرييل) لمجرد العلاقة بينهما، لأنها ترفض، تماماً، الشتات اليهودي والماضي اليهودي، واليديشية، وكل ما يتعلق بذلك، لأنه يجلب لها الأحزان ويتعارض مع خطها الاجتماعى والسياسى الرافض لأحزان الشتات اليهودي، بكل سلبياته، وتدعو للتعامل مع الواقع والعيش فى الحاضر والمستقبل.

شخصية «نورا»:

تعمل باحثة فى معمل بيولوجى، وتعيش الواقع الجديد، وترفض الماضي برمته، ولها وجهة نظر إنسانية تجاه الماضى اليهودى، فترى أن هناك إيجابيات ومحاسن فى مقابل مساوئ وسلبيات. إنها ترى أنه إذا كانت قد حدثت إبادة لليهود على يد النازى، فإن هذا لا ينفى أن بعض الألمان قد ساعدوا عدداً من اليهود، وأنقذوهم بإيوائهم فى مساكنهم، وإطعامهم، والمساعدة في نجاتهم. إذن، فالموضوع كله من وجهة نظرها موضوع إنسانى بحت. وترى ضرورة العيش فى سلام مع الحاضر.

وترى نورا أن جذورها تكمن فى إسرائيل، وليس فى الماضى والشتات اليهوديين، كما أنها تقف ضد «فويجلمان» وتوجهاته على طول الخط. وهكذا فإن الأسرة المكونة من الأب «تسفى أرييل»، والزوجة، تعيش في حب ووئام إلى أن زارهما «فويجلمان»، وأقام فى شقتهما، وبدأ يتدخل فى حياتهما لدرجة أن «نورا» غادرت المنزل وسافرت للقدس. ومن هنا كانت بداية التناقضات والخلافات الأسرية، التي أدت في النهاية إلى

وقوع نورا فى هاوية الخيانة الزوجية، وبعدها تخلصت من حياتها بالانتحار.

«تسفى أرييل»:

يقوم بتدريس التاريخ بالجامعة، وله أبحاث، ومقالات، وكتب في التاريخ اليهودي، أيضاً، وهو صديق للشتاتى اليديشى «فويجلمان»، حيث تحمل عبء ترجمة كتابه من اليديش إلى العبرية، وتحمل هذا العبء بدءاً من البحث عن المترجم المناسب، وحتى ظهور الكتاب بالعبرية، متحملاً النفقات المادية لإخراجه إلى حيز النور. وكانت النفقات المادية التى تحملها «أرييل» هى إحدى الخيوط الدرامية فى زيادة حدة الخلاف بينه وبين زوجته «نورا»؛ لأن حسابهما فى البنك كان مشتركاً. وقد اضطر أرييل لسحب مبالغ كبيرة لتغطية نفقات ترجمة ونشر كتاب «فويجلمان»، وهو ما كانت ترفضه نورا، تماماً، شكلاً وموضوعاً، لأنها كانت ترفض فويجلمان لا لشخصه، ولكن كرمز للماضى اليهودى وما يحمله فى طياته من أحزان ومآس لا ترغب حتى فى مجرد اجترارها.

ومن الشخصيات المهمة فى الرواية «أروينج» (وهو نجل بطل الرواية) فويجلمان، وهو شاب يعشق الغرب والعلم والحضارة الغربية، ولا يعترف بدولة إسرائيل وسياستها مع جيرانها، ويرفض حتى مجرد الجماعة اليهودية التى ينتمى إليها والده، التي جاء يبحث عنها فى دولة إسرائيل، ويرفض الحروب التى خاضتها وتخوضها مع جيرانها، مما جعلها مفتقدة للأمن، والسلام، والحياة الطبيعية الهادئة، وهذا ما جعله يرفض التواجد فى إسرائيل، سواء هو أو والده فويجلمان. ويوجه سؤاله باستنكار، قائلاً: « ماذا يوجد عندكم هنا؟» (إسرائيل) حروب ، حروب، إن العسكريين عندكم بالطبع عندما عبروا الليطانى(حرب لبنان) اعتبروا أنفسهم وكأنهم قيصر عندما عبر نهر روبيكون. قلت : إن اجتياح لبنان بالتأكيد كان خطأ، حسب علمى. ويوجز الناقد الإسرائيلى «جرشون شاكيد» كل الخيوط المتشابكة والمتنافرة والآراء المتباينة حول الشتات وعلاقاته بإسرائيل، من خلال الدراما العائلية، وأسرة أستاذ التاريخ «أرييل»، وزوجته نورا ، بقوله: لقد حاول المؤلف فى رواية «فويجلمان» أكثر مما فى رواياته الأخرى فهم الجوانب المختلفة للتراجيديا، فهو يعلل ويشرح أسباب انتحار «نورا»، وما كرهته ورفضته، وكان من بين ما علله وذكر أسبابه ، تلك العلاقة الغريبة بين «أرييل»

رجل التاريخ الإسرائيلي وبين «فويجلمان» شاعر اليديشية. كل الأشكال والأوجه لها أسبابها من جانب شخصى، فـ«نورا» ووالداها ألمانيان، وزوجها «أرييل» ووالداه طلائعيان، وماضى «فويجلمان» بين المعسكرات وتأثير ماضى الأب على الابن المندمج مع الغرب والمتباعد عن اليهودية، إن تلك الرواية قريبة للروايات النفسية الدرامية»[١].

ومن هنا، تبدو الغاية واضحة وناصعة من وراء هذه الرواية، حيث يؤكد المؤلف على انتمائه وحبه للشتات، وأن هذه الرواية تعبير عن هذا كله، وقد عَّبر عنه بنجاح لكونه شتاتياً، وقد ساعدته تجربته الاجتماعية[٢] على هذا النجاح.

الشتات اليهودى فى فكر ميجد واتجاهاته السياسية تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي:

حول الصراع العربي ـ الإسرائيلي، يقول:«في الواقع، إنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين، ونتحدث مع من يختارونهم، إذا اختاروا أشخاصاً من منظمة التحرير الفلسطينية، يكون الحديث معهم. لا يجوز لنا أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم. ستكون النتيجة فى نهاية الأمر، أياً كانت، هى تقسيم الأراضى، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى «اليشوف»، وإذا كان من حق اليهود العيش فى شتى أنحاء العالم «الشتات»، فلماذا لا يعيش اليهود فى الخليل، أيضاً، تحت سلطة فلسطينية، إن الحل الكونفدرالى يبدو لى واقعياً»[٣].

---

(١)שקד, גרשון: שם, עמ'291.

(٢)التجربة الاجتماعية هى التى يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطه الاجتماعى أو الإنسانى المعاصر، وهو فى تصويره لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة والخيال، كما يعتمد على قراءة ما صوره الأدباء الآخرون من تلك التجارب، وليس من الضرورى أن ينغمس فيها بشخصه، لكى يحسن تصويرها فلربما كان نظره إليها عن بعد أدعى إلى تصويب ملاحظته وشمولها. كما أنه قد يستطيع بخياله أن يتصور الواقع، وأن يجسده على نحو يبرز الحقيقة. للمزيد راجع، مندور، محمد(دكتور): الأدب ومذاهبه، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٨.

(٣)הדרי, רמג: עם אהרון מגד, לכבוד יום העצמאות , ידיעות אחרונות, מוסף לשבת , יום 23/ 9/ 1991, עמ'17.

وإذا كان هذا هو اتجاهه السياسى منذ إعلانه صراحة، عام ١٩٩١م، نجده بعد عشر سنوات، تقريباً، يعلن عن رفضه لما يحدث فى الشارع الإسرائيلى من مناخ سياسى لا يقبله. ففى ٣٠/ ٦ / ٢٠٠٠ ، نشرت له صحيفة «هاآرتس» مقالاً تحت عنوان «الكاتب أهارون ميجد يتحدث عن الضغط الذى يمارس من أجل دعم اليسار»، حيث جاء فيه «يسود الأوساط الفكرية من كتاب، وفنانين، وصحفيين، مناخ شعاره (إما أن تكون معنا أو ضدنا)، فلا توجد منطقة وسط فى إدراكهم». وفى وقت من الأوقات كان أى شخص يعمل بمجال الفن والترفيه أى ممثل أو موديل ناشئ يريد أن يحسب على اليسار، كان يعلن قائلاً «إننى معجب بأعمال يشعياهو ليبوفيتش»، وكأنهم اهتموا يوماً بقراءة أحد كتبه، ذلك أن الإعجاب بأعماله كان يضمن للشخص انضمامه للزمرة المنغلقة على نفسها، ويبرزه كجزء من القبيلة، بعد ذلك أصبح المعيار درجة كراهية الفرد لنتنياهو، إذا ما تفوهت بشيء جيد عن المستوطنين، ولم تجار النظرة المتقبلة بأنهم مجرد فاشيين، فسوف يصرخون فى وجهك، على الفور، بأنك غيرت انتماءك إلى اليمين، وأنك أبله، وأنك الشر مجسماً. وهذا ما لا يمكن أن أقبله. «إن الموقف فى إسرائيل معقد للغاية، بحيث لا يدرى أحد ما هو الحل الصحيح.» إننى أتفاعل مع السياسة كما أتفاعل مع الناس « فأنظر إلى كل موضوع من حيث أبعاده وسماته الإيجابية. إننى أرغب فى أن أجد بالسياسة ما أبحث عنه بداخل الناس، أود أن أجد الأمانة والنزاهة، ولكننى لا أجد إلا الكراهية والغوغائية[١].

وتحت عنوان (الدولة اليهودية فى الخمسين عاماً القادمة)، كتب ميجد مقالاً فى مجلة (ايذور)، حيث تطرق إلى الشتات اليهودي، والصهيونية، والدولة، والصراع العربي ـ الإسرائيلي:«إن المؤرخين الجدد[٢] يقدمون الدعم الأيديولوجى لهؤلاء الذين

Author Aharon Megged on pressure to support left, Ha'aretz. June. 30/ 2000.(١)
http://www.cdn.friends./cej.ca/isreport.

(٢)ارتبط ظهور هذه المجموعة بتغييرات وتطورات شهدتها الساحة الإسرائيلية، منذ السبعينيات والثمانينيات، بما اصطلح على تسميتها « ما بعد الصهيونية». وقد نشروا كتبهم الانتقادية فى الخارج، وباللغة الإنجليزية، فقد أصدر آفى شلايم (أحد المؤرخين الجدد، من مواليد العراق وهاجر إلى إسرائيل، ثم استقر فى بريطانيا، ويعمل حالياً أستاذاً فى جامعة أكسفورد)، كتابه تحت عنوان «فيما وراء نهر الأردن، الحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين»، فى لندن، وبالإنجليزية عن دار نشر أكسفورد، فى عام ١٩٨٨م، لصعوبة نشره فى=

يغادرون إسرائيل، وتنتشر آراؤهم ليس فحسب، بين الأوساط العلمية، ولكنها تتخطى مجالها لتنتشر بين اليائسين من الصهيونية الذين يشعرون بالمرارة تجاه سياسة الحكومة، أو يبحثون عن مبرر فكرى للهاجس الخفى لديهم بأن يزيلوا من الوجود الدولة بأكملها. وأيا ما كانت هذه نية المؤرخين أو لا، فإن خلاصة تعاليمهم بأنه ليست الدولة فحسب، بل والصهيونية ذاتها قد وُلدت من الخطيئة. فإنها لم تكن حركة لتحرير الشعب اليهودى كما كانت تعتقد، لكنها كانت حركة لقمع شعب آخر، هو الشعب العربي، وجرائمها لم تبدأ بالاحتلال، عقب حرب يونيو (١٩٦٧م)، والإخفاق في إعادة الأراضي المتنازع عليها لأصحابها الأصليين، وسحق سكان هذه الأرض بكل قسوة، لكنها، ومنذ أيامها الأولى، قامت بارتكاب السرقة، والطرد، والانتهاك، والقمع، كما مارست الخداع للسيطرة على الأراضي، التي لا تملك الحق فيها. ووفقاً لهذه الفلسفة، مزق شبح الاستيطان اليهود. وبهذا فإن محيط هذا النشاط الذى لا يحمل أى صبغة أخلاقية، يضيق، أكثر فأكثر،مع نشر مزيد من الدراسات. لقد بلغت الأمور حد أن ظهر عمل أخير يدعى أن حتى مركز تل أبيب يستند على أرض أخذت بالخداع من أصحابها العرب. وهذا فى جوهرة هدم لشرعية الصهيونية، ليطابق بذلك الميثاق الوطنى الفلسطينى الذى ينكر حق إسرائيل فى الوجود، والذي يستند، بشكل أو آخر، على هذه الحجج»(١).

وبعد تشريح مشكلة النازحين من إسرائيل إلى الشتات، وعرض أسباب ذلك، يستشرف ميجد المشاكل المستقبلية للقادمين من الشتات، وعدم انصهارهم فى الدولة.

=إسرائيل؛ لأنه يوجه اتهامات قاسية إلى الزعامة الإسرائيلية، وحمّلها فيه مسئولية النكبة التى لحقت بالعرب وبالإسرائيليين أنفسهم، على حد سواء، بسبب السياسات الإسرائيلية الرسمية. ويتفق المؤرخون الجدد فى الرأى على أن إنشاء الدولة، عام ١٩٤٨م، قام على خطأ واضح، وأن كل ما أقيم على الخطأ يتحتم تصويبه وتصحيحه. ويرى المؤرخون الجدد أن الدولة لم تؤد إلى تحقيق الهدف المنشود لإقامتها، ويرون كذلك أن الحركة الصهيونية انتهى دورها بعد قيام الدولة، وأنه من الضرورة عادة كتابة تاريخ إسرائيل والحركة الصهيونية والصراع العربي -الإسرائيلي بصورة محايدة. للمزيد راجع، شبتاى شبت، المؤرخون الجدد، هاآرتس، ٧/ ٤/ ١٩٨٩م.

(١)Aharon Megged, The Jewish state , the next fifty years, Azurt, winter 1999, p.1.

فيقول:«إن مشكلة إسرائيل المصيرية فى الأعوام القادمة لن تكون الفجوة المتزايدة بين العلمانيين والمتدينين، ولا بين الأغنياء والفقراء أو حتى نتيجة الانقسامات العرقية أو السياسية، لكنها ستكون مشكلة إحراز السلام. فإذا تحقق السلام مع العرب ـ جيراننا داخل وخارج حدودنا ـ فإن كل هذه المشكلات والتى تعد عادية وطبيعية بالنسبة لدولة صغيرة من المهاجرين، سوف تجد حلولاً لها، إن آجلاً أو عاجلاً، كما يحدث فى أى دولة ديمقراطية، عادية وطبيعية. وعلى الجانب الآخر، إذا لم يتحقق السلام، واندلعت الحرب مجدداً وتسببت فى إلحاق الخراب، والدمار، وإراقة الدماء، بدرجة لم تشهدها الحروب السابقة ـ فإن بقاءنا (إسرائيل)، واستمرارنا فى الوجود سيكونان محل شك»[١].

ويقول:« ومع مرور، خمسون عاماً، على إعلان«دولة إسرائيل» اتضح أن هذا الأمل كان أملاً زائفاً. فصحيح أن هذا المركز الإقليمى قد أصبح أقوى، وأصبح حقيقة سياسية، واجتماعية، وثقافية، لا يمكن إنكارها، ولكن فى الوقت ذاته. لم يتمكن، وليس من المتوقع أن يتمكن، من محو المراكز اليهودية فى الشتات. فاليوم أيضاً يمكن لأغلبية يهود الشتات أن يطرحوا وبكل صدق وإخلاص أن أعينهم «تحدق تجاه صهيون»، ولكن الشعب الذى يوجد مركزه السياسى فى صهيون، مازال فى الوقت ذاته شعباً عالمياً (شتاتياً)»[٢].

وعليه، فقد عرض ميجد قوة الشتات اليهودي، في مقابل عدم شرعية المركز (إسرائيل)، وواقعة، ومشاكله، والإحساس بسلبية الصهيونية. ومن هنا، أصبحت ظاهرة النزوح من إسرائيل لها مبرراتها الأخلاقية، والسياسية، والعلمية، وأصبح النزوح يتم دون خجل كما كان فى الماضى. وحول ذلك نجد ميجد يعرضه ببساطة، بقوله:«ما كان يعرف خلال فترة الخمسينيات بـ « تسلل» الأفراد للدول الأخرى، ويشار إليه فى الستينيات والسبعينيات باعتباره «تصرف حثالة البشر» (النزوح). كان يدفع أى شخص يغادر، إلى الاختباء، وأن يشعر بالخجل، أو أن يبحث عن مبررات غريبة لسلوكه، هذا متعهداً دائماً وأبداً بالرجوع. هذا وقد أصبح فى الأعوام الأخيرة ليس فحسب، شيئاً لا يدعو للخجل، ولكن الآن يمكن أيضاً، أن يقوم به الشخص بافتخار ورأسه مرفوعة.

(١) Ibid, p.2.

(٢) Ibid, pp.2- 3.

ولذا نجد صحيفة إسرائيلية تنشر تحقيقاً أجرى مؤخراً مع شباب متعلم وميسور الحال، ومن أسر راقية، حيث أعلن هؤلاء أنهم قد قرروا وبدون تردد مغادرة إسرائيل، فكما يقولون، فإن إسرائيل قد تسببت فى إصابتهم بالإحباط، أو أنهم قد اكتشفوا فرصاً أكبر للنجاح فى أماكن أخرى. لذا فإن من أكبر المخاطر التى ستواجهنا خلال الأعوام القادمة، خطر النزوح من إسرائيل. فسوف يضعف ذلك المجتمع اليهودى بإسرائيل، من الناحية الديموجرافية والاقتصادية، وفى المحصلة النهائية من الناحية الاجتماعية كذلك. وأحد الأسباب المتداولة الشائعة مؤخراً، والتي يقدمها هؤلاء النازحون الأذكياء هو التبرير الأيديولوجى أو على الأقل السياسى: « إن هذه البلاد لم تعد بلادنا بعد الآن»، وذلك يعنى شيئاً بالغ التحديد:ـ أن البلاد (إسرائيل) فى ظل الحكومة الحالية لم تعد بلادنا بعد الآن. وهذه حجة إسرائيلية متفردة إذ لن تجدها بسهولة بهذا المعدل، وسط حجم سكان كالذى بإسرائيل فى أى لغة، أو أمة أخرى»[1].

وفى هذا الجزء من المقال «الدولة اليهودية فى الخمسين عاماً القادمة»، يربط ميجد بين الشتات اليهودى على مدى التاريخ، وعلاقته بالوضع الحالى، ومصير ومستقبل إسرائيل، فيقول:« نبوءة بلعام الآرامى الذى طُلب منه أن يصب لعنته على إسرائيل، وهو فى طريقه من العبودية بمصر إلى «أرض الميعاد»، ولكن انتهى به الأمر إلى أن منحهم مباركته، (سوف ينال البركة من تباركه، وتنزل اللعنة على من تلعنه « عدد ٢٢/ ٦).

كانت نبوءة غامضة على الرغم من كل شئ ـ ربما مباركة، وربما لعنة. وهناك الفقرة التى تقول:« هؤلاء القوم سوف يعيشون بمفردهم »، ولن يعترف بهم بين الأمم (عدد ٢٣ / ٩)، تتضمن رؤية مذهلة تفوق التصور عن المصير الفعلى لهذا الشعب، على مر أجيال، لا تعد ولا تحصى.

فعلى مدى آلاف السنين، أقام هؤلاء الناس بمفردهم بالفعل، مختلفين عن باقى الشعوب، ويفصلهم عن الآخرين حاجز يصعب اجتيازه، فدينهم يختلف عن المسيحية، والإسلام، والبوذية، وغيرها من الأديان، فإنه منغلق على نفسه مقصور على أصحابه، فلا يشاركهم فيه غيرهم.

(١) Ibid, p.3.

وجملة «ولا يعترف بهم بين الأمم»، يمكن أن تقرأ بطريقتين:ـ الأولى لم يتم الاعتراف بالشعب اليهودى بين الأمم، والثانية لم يعترف هو بهم، سواء عندما كانوا متفرقين (مشتتين) بينهم (إذ رفض أغلبية اليهود أن يذوبوا فى هذه المجتمعات، وأن يتم استيعابهم، كما أن القلة التى حاولت ذلك فشلت)، أو عندما أصبحوا شعباً (فى فلسطين)، (وتعليق بن جوريون الملىء بالفخر والعجرفة بأنه (لا يهم ما يقوله غير اليهود، لكن المهم ما يفعله اليهود، يعد تعبيراً صارخاً عن هذه النظرة)، وصفة الآخر التى تميز الشعب اليهودى ـ إذا شئت فلتقل صفة التفرد ـ قد لازمته على طول تاريخه، حتى وكأنه يبدو أن تفرده وتميزه تم دفعه عند مولده. فعلى سبيل المثال ملاحم الأمم القديمة الأخرى، مثل البابليين، والمصريين، والإغريق، والرومان، وغيرهم، ملاحم حرب وبطولة، بخلاف ملحمتنا فهى ملحمة تجوال وشتات، بدأ مع الأمر الإلهى (اذهب وتحرك من حران إلى كنعان)، وامتدت لألف عام، ونهايته لا تبدو فى الأفق[1].

ويستعرض ميجد فى مقاله (الدولة اليهودية فى الخمسين عاماً القادمة) أبدية الشتات اليهودى منذ القدم، وحتى اليوم، فيقول:« لقد هبط يعقوب إلى مصر مع أبنائه، فحتى بعد الاستقرار فى «أرض الميعاد»، استمرت هجرة الإسرائيليين إلى الأراضى الأخرى، وليس بالضرورة نتيجة للطرد أو الإبعاد. وخلال فترة الهيكل الأول، كان أفراد شعب إسرائيل قد قاموا بالفعل ببناء مواقع للاستيطان بمصر، وبغيرها من أراضى الشرق الأوسط. وبعد إعلان قورش، قامت نسبة ضئيلة من الشعب، وليس من نخبته، بانتهاز الفرصة للعودة إلى «الوطن». وفى فترة الهيكل الثانى، قبل تدميره، ونفى الشعب، بوقت طويل، ارتحل اليهود من فلسطين إلى آسيا الصغرى، واليونان، وروسيا، وأسبانيا، حتى أنهم وصلوا لحدود بعيدة فى فارس، والهند، ومرة أخرى مصر، حيث قاموا بإقامة مراكز دينية مهمة بهذه الأماكن، تجاوز بعضها بمراحل ـ مثل بابل ـ ما بلغه المركز اليهودى بفلسطين، من الناحيتين الروحية والاقتصادية. وخلال القرون التى شهدت الشتات اليهودي، في جميع أنحاء العالم، قليل جداً من هاجر إلى فلسطين، حتى عندما كانت تواتيهم الفرصة. ولكن طوال ما يزيد عن الألفى عام، فإن كلمات من قبيل (عسى أن

(١) Ibid, p.4.

تشهد أعيننا عودتك لصهيون)، أو (يارب أعد بناء الهيكل)، أو (فلنكن بالقدس العام القادم)، وغيرها الكثير من التعبيرات المشابهة، لم تتوقف عن الترديد فى الصلوات، طوال أيام الأسبوع، وفى الأجازات، صباحاً، وظهراً، ومساء. فهناك ازدواجية ليس لها نظير لدى أى شعب آخر، مزروعة بمصير وشخصية هذا الشعب. فهذه الأمة ينحصر تركيزها فى ناحية من أرض واحدة، وكل صلواتها، ودعواتها، وقوانينها الدينية، وآمالها في الخلاص، وشوقها في أشعارها ترنو لهذه الأرض، وفى الوقت ذاته، تعتبر نفسها شعباً عالمياً، ذلك العالم الذى أجبرت فيه على التمزق، والشتات، وتعرضت للكراهية والاضطهاد. لكنه بالرغم من ذلك عالم يبدو وكأنها تشعر نحو وجوده وأخلاقه بالمسئولية، فتهرول للانضمام إلى طليعة كل حركة اجتماعية، وأيديولوجية، وثقافية. وكانت الصهيونية السياسية تأمل فى أن تنهى هذه الازدواجية بشكل لا رجعة فيه»(١).

ثانياً: أهارون أبيلفيلد ورواية «حفرة الثلج» (١٩٩٧):

وُلد أهارون أبيلفيلد، فى عام ١٩٣٢م، فى (تشرنوفيتش – رومانيا)، وأثناء الحرب العالمية الثانية ـ وكان يبلغ الثامنة من عمره ـ أُخذ إلى أحد المعسكرات (تراندنستاريا)، ولكنه تمكن من الهرب، وقضى ثلاثة أعوام مختبأ فى أوكرانيا، قبيل انضمامه للجيش الروسى(٢). وباعتباره لاجئاً، في فترة ما بعد الحرب، تمكن من الوصول إلى إيطاليا، ومنها هاجر إلى فلسطين، في عام ١٩٤٦م.

التحق أهارون بصفوف الجيش الإسرائيلى، كما درس الأدب العبرى والييديش بالجامعة العبرية، وتخرج فيها، ويعمل حالياً أستاذاً للأدب العبرى بجامعة بن جوريون بالنقب. بدأ أهارون فى نشر كتاباته، عام ١٩٥٩م، وهو كاتب قاص يكتب القصة القصيرة والروايات، علاوة على المقالات، وقد ترجمت أعماله للعديد من اللغات المختلفة(٣).

(١) Ibid, pp.5- 6.

(٢) Aharon Appelfeld (1932), Jewish virtual library a division of American – Israeli cooperative enterprise, http://www.us.isr aelorg. isouret biography/Appelfeld.html.2003,p.1

(٣) Ibid, p.1.

وقد نال أهارون عدداً لا حصر له من الجوائز القيمة عن أعماله فى إسرائيل، كان منها جائزة رئيس الحكومة للإنتاج الأدبي، عام ١٩٦٩م. هذا وتلاقى أعماله الأدبية تقديراً نقدياً، في الداخل والخارج. فأعماله الأدبية معروفة على المستوى العالمى، باعتبارها من أعمق الأعمال الأدبية تعبيراً عن «الهولوكوست» ، وتلاقى أعماله استحساناً وتقديراً عالمياً على مستوى الجماهير والنقاد، فهو من أبرز الكتاب الإسرائيليين وأكثرهم انتشاراً فى الشتات، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية(١).

وقد صدرت عن أبيلفيلد دراسة مهمة قدمها «إيجال شفارتز» (مدير مركز بحوث الأدب اليهودى والإسرائيلى والثقافة بجامعة بن جوريون بالنقب)، تعتمد على لقاءات أجريت معه شخصياً(٢).

«وتدور هذه الدراسة حول ثلاثة من أكبر وأهم المحاور والموضوعات عند الأديب أبيلفيلد، حول استعادة الطفولة والذاكرة، وخلق الكاتب والموقف الدينى لكاتب «الهولوكوست»، ومن خلال هذه الدراسة فإنه يطور رؤية جديدة ليس بتحفظ عن أعمال أبيلفيلد، ولكن عن أدب «الهولوكوست» ذاته، أيضاً. فإنه ينظر إلى أبيلفيلد ككاتب «هولوكوست»، تشغله هواجس تتخطى تجربته الشخصية كأحد الناجين من «الهولوكوست»، لتشمل موضوعات وقضايا أكبر من الهوية اليهودية، في العصر الحديث»(٣).

مصادر التأثير فى إنتاج أبيلفيلد:

من المعروف أن جذور الأديب، وبيئته، وتجربته الشخصية هى المحاور الأساسية لتشكيل إنتاج الأديب، وفكره، ورؤاه، ومدى تواصله مع المتلقين منه.

وهنا تتركز محاور التأثير على إنتاج أبيلفيلد، فى مسقط رأسه فى الشتات، وفى تجربته الشخصية، ما بين المعسكرات، والحرب، والهرب، ثم الهجرة.

---

(١) Ibid, p6.

(٢) Aharon Appelfeld, From individual lament to tribal eternity «tauber institute from the study of European Jewry , Yegal Schwartz, 2001, p.1

(٣) Ibid, p.3.

ثم تأتى بعد ذلك دراسته لتكتمل عوامل التأثير، وتلون إنتاجه بخصوصية فريدة للتعبير عن « أحداث النازية»، والناجين منها، وانتشار أعماله بشكل موسع فى الخارج، وترجمتها للعديد من اللغات الأجنبية، وأصبح إنتاجه مدموغاً بالتعبير عن «الهولوكوست»، ومواطنه، ومعسكراته.

ومن أهم أعماله التى تناولت الشتات، والمعسكرات، ومطاردة اليهود، ثم نجاة بعضهم، وهجرته، رواية «حفرة الثلج ١٩٩٧»، والتي سوف نتناولها بالبحث والتحليل. وأبطال هذه الرواية مجموعة من اليهود من مختلف المهن والوظائف فى الشتات، حيث يجمعهم أحد معسكرات الاعتقال، إبان الحرب، ثم عودة من بقى منهم على قيد الحياة، إلى مسقط رأسه، حيث كان يقيم وأسرته. ثم تبرز المواقف النفسية لهؤلاء الناجين، من خلال براعة الكاتب فى تصوير ما يدور بخلدهم من مشاعر الخوف والقلق على المستقبل.

وتناقش الرواية بموضوعية وواقعية أسباب زيادة عدد القتلى اليهود فى معسكرات الاعتقال، وأن هذه المعسكرات لم تكن مقصورة على اليهود وحدهم.

رواية حفرة الثلج ١٩٩٧م، الأبطال والأحداث:

«إن أبطال (أهارون أبيلفيلد) مروراً بتجربة أحداث النازى يسيطر عليهم ماضيهم، إن آجلاً أو عاجلاً، ودولة إسرائيل لا تغير مضمون هؤلاء الرجال، وليست ملجأ آمناً فى مواجهة المصير اليهودى المحدد سلفاً، وهم يأخذون الشخصية المثقلة بالماضى معهم. حيثما يذهبون والمستقبل والماضى ليس إلا حلقة مفرغة واحدة، لا مجال للتخلص منها»[1].

«تدور الرواية حول موضوع تتحدد نهايته فى بدايتها ، ليس فى الصفحة الأولى، ولكن فيما قبلها، بإهداء رواية «حفرة الثلج» لوالد المؤلف ميخائيل أبيلفيلد الذى بنى الجسر فوق نهر البوج. لكن ميخائيل أبيلفيلد، ليس هو فحسب، اسم والد المؤلف، ولكنه اسم

(١) الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): تفكيك الصهيونية فى الأدب الإسرائيلى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٥٦.

ابنه أيضاً، الذى يسمى - مثلى ومثل الكثيرين من أبناء جيلى - على اسم جده - فيما يخص أبيلفيلد وكثيرين مثله، النهاية الحقيقية لرؤية هى باستمرار الواقع هنا - مع العهد الجديد الذى يحمل أسماء من هناك بأمل - ربما أمل مفرح - حيث يكون متعلقاً بصورة أقل بالخلافات التى تهدد بالاندلاع بين يهودى ويهودى آخر، وبين إنسان وإنسان، أيضاً، ضمن أحداث هذه الرواية»[1]. وتعرض رواية «حفرة الثلج» بانوراما لأنماط وجود يهودى متعدد الأشكال :-

- شخصية أروين، التي تعبر عن حفيد لحاخام (أدمور)، ومنفصل، تماماً، عن اليهودية.

- شخصية يوتس، وهو من النوع الذى يعبر عن نموذج نصف أسطورى.

- شخصية حليكتين، وهو يهودى مرتد، حيث أنه بكل قواه يرغب فى العودة لليهودية.

- شخصية ماركس، وهو شيوعى معادى لليهودية.

- ويوجد، أيضاً، ضباط نازيون من أصل يهودي، وغيرهم.

والتوجه إلى الإيمان، منه ما يؤدى هنا بطرق مختلفة وغريبة، حيث نجد الألمان لعدة مرات يجبرون اليهود فى الجيتو على الصلاة (الانتساب لليهودية لمفهوم معروف ومعقد، وأيضاً، حتى على اليهود المندمجين)، ولمرات عديدة، نجد الجوع والبؤس يصنعان يهودياً شيوعياً يحمل الأمل فى أن يكون يهودياً من النوع القديم، اختيارات هؤلاء اليهود عند إطلاق سراحهم من المعسكر مختلفة جداً، هذا عن ذاك، ونتائجها (للذين بقوا على قيد الحياة) تعطى انطباعاً من الحيرة (التشوش) عن وجود دينى قوى، ثم المادية الخاصة فيما بعد أحداث النازية. ويوجد المرتبطون بالرب، وهناك من انتحروا، ويوجد من عملوا كجنود، ويوجد من وقفوا فى منتصف الطريق، والخوف من العودة لبيوتهم (حيث احتمال عدم وجود هذا البيت)، وحيث لا توجد الأسرة

(١) באומל יהודית: לגעת בקור, לגעת בחושך, מכרה הקרח, אהרון אפלפלד, הארץ, 22/ 4/ 1998, גליון 269, עמ' 5.

والأصدقاء، أيضاً. ولم يتضح تفصيلاً موقف أبيلفيلد، ولكن في الصفحة قبل الأخيرة رأى «أروين» (بطل الرواية) حلماً، وبه ادعى أشياء إذ لا توجد فنون يهودية، حيث الصمت الغريب لروح اليهودى، وبدون صمت لا يوجد فنون، الشعر فى كل فقرة عند أبيلفيلد، وفى كل مؤلفاته، تبرهن العكس التام: الأدب عند أبيلفيلد على الأقل فى رواية «حفرة الثلج» ينبع بالتأكيد من خلال الصمت، وفنه الكبير فى تكوين تأثيرات ذلك الصمت، العالم المنظم والرجال المحطمون فى الطريق إليه»(١).

«تدور أحداث رواية «حفرة الثلج» حول قصة تخبط وشبيبة شاب يهودى، أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية القاسية، وبداية أحداث الرواية فى الجيتو اليهودى، واستمرارها فى معسكر العمل على نهر البوج، ونهايتها في رحلات الناجين من المعسكرات، بعد التسريح. أضف لذلك عقدة بطل الرواية المتداخلة حتى النهاية فى مصير الطائفة اليهودية، وإن كان هذا غير كاف. وفى محاضرة حبكة الرواية ينتقل الراوى من الشخصية الأولى بصيغة الجمع إلى شخصية أولى واحدة ـ فعلى سبيل المثال، في بداية الرواية فى معسكر العمل الواقع على نهر البوج بأسلوب الجمع (نحن هنا منذ شهرين ونصف وهذا دهر)، أو (في البداية، كان على ما يبدو أننا سنمكث هنا لأيام قليلة فقط) (ص٧)، وأيضاً، في موضوع الدكتور هولندر (صفحات ١٠ – ١٥) المكتوب بحب كبير ومودة ظاهرة، من خلال الشخصية الأولى بصيغة الجمع، وفى مقابل ذلك، فى الفقرة الثانية أوضح بها الراوى تخبطات بطل الرواية وحبه وشبابه، مغيراً اللغة إلى لغة متحدث مؤيد له، ومن ناحية ثانية وجود التشابه حيث أمامنا قصة يرتبط فيها هذا بذاك، وجذور لليهودي الوحيد، وجذور الطائفة اليهودية، وإذا أردتم الشعب اليهودى»(٢).

وحول بطل رواية «حفرة الثلج» يقول عاموس برت:« منذ بضعة سنين، سمعت على لسان «حييم جورى» قصة عن صبى يهودى فى التاسعة من عمره، حيث نجح فى الهرب من بيته، في فترة «أحداث النازية»، وهكذا تشرد بين القرى والمدن، هرباً من تهديد جيوش الاحتلال. أخذ الفتى الصغير حبلاً سميكاً وربط سرواله بكل قوة، حتى يخفى

(١)ברושליין, דרור: הארון של אפלפלד, מקרה הקרח, הארץ, 26/ 9/ 1997, עמ'7.

(٢)רצבי, שלום: מתכוננים למלחמה חדשה, אהרון אפלפלד, נכרה הקרח, עתון 77, גל 212, איג 1997, עמ'9.

يهوديته، فقد قام بربطه أكثر من ربطه ربطاً جيداً حتى لا يفلحوا فى رفع بنطلونـه لأعـلى، تشرد الصبي، على مدار سنتين كاملتين، في شتى أنحاء أوروبا القاتمة، حتـى تمكـن مـن النجاة، ولمدة شهرين بعد الحرب، ولكن يبقى، حالياً، شرخ عميق فى داخله، فهـو تائـه يرجو جماعة تحتضن شبابه، وبين الحين والآخر، عندما تظهر قضية (من هو اليهودى؟) دون المفهـوم السياسـى، وإنمـا بمفهـوم العمـق الـداخلى، فـإن ذلـك يـذكرنى بتلـك الرواية»[1].

«وأساليب الصراع كثيرة ومتلونة: تطرف، وانتحـار، والأخـذ بالمعتقـدات الدينيـة، ومسلسلها اللانهائى، أو العادات، أو أية فكر آخر. كما أن هنـاك درجـات مختلفـة مـن الاغتراب واللامبالاة، أو ما شابه ذلك. ولكن كل الحلـول مـن ناحيـة تكـافؤ الميـزان مشوشة بين أمل واه ودمار، وبين بساطة ضائعة ومحاولة لا يمكـن أن تفهـم. إن أبطـال رواية «حفرة الثلج» مضطرون للاستمرار والبحث عن تكافؤ الميزان، وذلك حتى بعـد إطلاق سراحهم»[2].

شخصية «هوينج» وهو متزعم مجموعة الملجـأ، يحـاول، دائمـاً، أن يكـون مثاليـاً أمامهم متحلياً بالقوة، ولكن في النهاية كان مصيره الانتحار.

شخصية «أبيده» وهى فتاة متقلبة أيديولوجياً بين الأفكار المتناقضة فى ملجأ هـوينج وزملائه، حيث تتقلب ما بين اليمين واليسار.

شخصية ضابط المعسكر (من أصل يهودى)، ويعامل اليهـود بقسـوة تفـوق قسـوة النازية؛ لإرضاء النازيين، ولمصلحته الشخصية.

تجربة الكاتب الشخصية، ومصادر التأثير فى إنتاجه الأدبى:

«تعلم أبيلفيلد العبرية، وتمكن منها من خـلال عملـه بـالكيبوتس، وببراعـة شـديدة استخدم لغته الجديدة فى كتابة سلسة من الروايات، التي نالـت أعجابـاً وتقـديراً بالغـاً، تدور حول «فظائع الهولوكوست»، ويقول أبيلفيلد :«إنه أصبح كاتباً؛ لأنه فقـد والديـه،

(١)ברט, עמוס: מכרה של הקרח או מחצי אנוש, עמודים, ירחון, הקבוץ הדתי, נובמבר 1997, עמ'24.

(٢)הירש, אלי: ספרות, הסתבכותם חסרות התקנה של חולי הזמן, מעריב 15/ 8/ 1997, עמ'5.

أثناء الحرب، وجاء إلى إسرائيل بينما يحاول استعادة الأمل من خلال الكتابة، فالكاتب يرنو إلى فهم شيء، على بلورة شيء فى عقله»(١).

قتلت والدته وهو فى سن الثامنة، وبقى مع والده حيث تنقلا من معسكر لآخر، حتى اقتيد بمفرده بعيداً عن والده مع مجموعة من الأفراد لأحد المعسكرات، وطوال تلك الفترة كان لديه أمل أن يقابل والده.

« في بعض الأحيان، وبصورة متعاقبة، كان يتوجه إلى الوكالة للبحث عن اسمه فى قائمة الناجين، أو يستمع للإذاعة لـ«شعبه البحث عن أفراد العائلات»، وفى أحد الأيام، عام ١٩٥٣م، عندما كان عمره ٢١ عاماً، رأى في أحد القوائم اسم ميخائيل أبيلفيلد، قالوا له إنه هاجر إلى إسرائيل، منذ فترة وجيزة. شيء ما أخذنى إلى حديقة بجوار «يفنة»، حيث يعمل هناك المهاجرون الجدد، بشكل مؤقت، أشاروا لي على رجل مسن حيث يجمع البرتقال، لم أعرفه، ولكنه عرفني على الفور، وجرى تجاهى»(٢).

وفى معرض إجابته عن السؤال الخاص بعثوره على والده، ولم يحدث العكس؟ (هل غضبت منه لأنه لم يبحث عنك طوال هذه السنين؟) قال أبيلفيلد:«لا: لقد ظن أننى مت، فهو لا يمكنه أن يتصور أن طفلاً فى العاشرة، يعيش وحيداً فى الدنيا، يبقى على قيد الحياة». ودرست في الجامعة الأدب العبرى والييديش، وكنت ألتقي مرات عديدة مع والدى، حيث كان يسكن فى القدس، ويعمل موظفاً بضريبة الدخل، حيث حكى لي ذكريات عديدة، عن الأطعمة وفطائر معينة، حيث كان المهم بالنسبة لى أن أذكرها وأكتب عنها؛ فيما توفى والدي، عام ١٩٧٧م»(٣).

ويقول أبيلفيلد :«كانت محنة والدى فى معسكر العمل الذى اقتيد إليه وانفصل عنى، الشرارة التى أشعلت عندى كتابة رواية «حفرة الثلج»، حيث بدأت الكتابة منذ عشر سنوات، ولكى أكتب شعرت أن هذا لا يزال النغم الصحيح»(٤).

(١) Author Aharon Appelfeld talks about his favorite novelists writers on my mind, Jerusalem Post, 22/ 1/ 1998, p.11.

(٢) נגב אלות: האהבה הצילה אותי ידיעות אחרונות 12/ 9/ 1997 עמ' 5.

(٣) שם עמ' 6.

(٤) שם אותו עמוד.

وقد أجاب عن سؤال حول ما تعرض له والده بالفعل، وسرده له، « هل تحدثت مع والدك عما جرى هناك؟» يقول:« حكى لى والدى عن عدة أشياء عن الجسر، ولكنى لا أستطيع أن آخذ الأمور التى حكيت لي، إلا ما ينفذ بداخلى فحسب، أنا لا أعمل أى تحقيق عندما أكتب، أنا لا أكتب من الذى أسمعه إلا ما أسمعه فحسب، من داخلي، ويؤثر عليَّ. كل الصور التى أصفها هى أنا»[١].

وقد وضعه الأدباء والنقاد فى المربع الخاص بأدباء أحداث النازية على خريطة الأدب العبرى المعاصر، «ولكنه على العكس من ذلك، فالمعروف أن أحداث النازية ليست إلا بداية لنهر جليدي، فقطع المصير، والرغبة في الحياة والموت للطائفة اليهودية، ارتبط بها مثل سيف مسلط على رأسه، لسنوات عدة بعدها، أيضاً، فكتاباته هى تعبير متعمق جداً لتلك الظلال، التي لم تختف، حتى بعد مرور خمسين عاما[٢].

وفى رواية «حفرة الثلج»، وكما في باقى روايات أبيلفيلد، نجد الأحداث تغطى مساحة زمنية تسبق أحداث النازية، وكذلك تعقبها لتفصيل ما حلَّ بالناجين، ومصيرهم، وتوجهاتهم، وما يدور بخلدهم عن المستقبل.

ويربط أبيلفيلد فى كتاباته ما بين الماضى والحاضر، متضمناً الشتات، والمهاجرين، وأحوال الطائفة اليهودية، وما حل بها، وما اعتراها من أحداث كانت تؤثر، ولا يزال تأثيرها، حتى اليوم، مثل أحداث النازية، والمعسكرات، ومصير الباقيين على قيد الحياة، وهذا هو شغله الشاغل؛ لأنه يشعر فى داخله أنه ووالده ضمن ما يكتب عنهم فى هذه الأحداث.

وفى لقاء مع الأديب «أهارون أبيلفيلد» تم مؤخراً على صفحات مجلة Boston Review. A political and Literary forum، تطرق إلى الشتات، والنازية، وحياته الخاصة المتعلقة بجذوره الأولى، من خلال إجاباته على أسئلة« آن برسون»، ومنها:ـ

* لقد ذكرت فى إحدى المرات أن اللغة الألمانية تنفرك، فماذا قصدت بذلك؟ هل

---

(١)שם אותו עמוד.

(٢)שקד, גרשון: אהרון אפלפלד, ספרות צד החפר, בכל דור ודור חייב אדם לראות את עצמו, ספרות הארץ, 27/ 7/ 1994, עמ'8.

تعنى طريقة اللفظ بها؟ أم ماذا؟

وكانت إجابة أبيلفيلد :«سيكون تناقضاً، بل وسيكون مأساوياً أن أكتب بلغة القتلة، والسفاحين، إن مجرد التفكير فى ذلك كفيل بالنهى عن القيام به، لقد عانيت كيهودي، وكنت أحاول أن أبحث عن جذوري، وعائلتي كانت من اليهود، وبالتالي كان من الطبيعى أن يصل بى تاريخ وثقافة اليهود إلى اللغة العبرية، اللغة اليهودية الرئيسية النابعة من الكتاب المقدس».

*** ما هى المشكلة الرئيسية التى تواجهك ككاتب؟**

قبل كل شئ، أن تكون كاتباً يهودياً فهذا التزام وواجب ثقيل، لقد قتل أعضاء أسرتى المقربين، واغتيلت بيئتي الطبيعية، وطفولتي، وذكرياتي الجميلة. ولهذا فإنه نوع من الالتزام أشعر به، وهو أنى أتعامل مع حضارة تم اغتيالها، فكيف أستطيع أن أمثلها بأكثر الطرق تقديراً واحتراماً، ليس أن أتحدث عنها كما هي، تماماً، وليس أيضاً أن أتحدث بمبالغة عنها، ولكن أن أجد الصيغة لأمثلها باستخدام التعبيرات الإنسانية[١].

*** إذن هذه هى الصعوبة الرئيسية أمامك؟**

نعم، لابد من الوفاء بهذا الالتزام، وعلى الرغم من أنني لا أحب تعبير أو كلمة «مهمة»، ولا أحب الكاتب الذى يتحدث عن المهام، ولكن إحساسى بأننى يجب أن أعيد بناء ليس فحسب، حياتي الشخصية، ولكن أيضاً، الحياة اليهودية ـ مائتى عام ـ ثلاثمائة عام ... ، وماذا تعنيه؟ من هم اليهود الذين عاشوا فى المجتمع الأوروبى؟ ولماذا تم القضاء عليهم؟ هذا سؤال لابد أن أوجهه لنفسى كل يوم، ويجب علّى بشكل ما أن أجد الإجابات، وليس بتعميمات، ولكن بالتفصيل»[٢].

*** كيف تنظر إلى الشتات اليهودى فى أمريكا؟**

اليهود فى أمريكا يعيشون هوية مزدوجة، ولكنها تقل، شيئاً فشيئاً، إذ يصبحون أكثر

(١) Parson, Ann: Interview, Aharon Appelfeld, Boston Review , A political and Literary forum.

(٢) http://www.oston Review.netBro706/Appelfeld.Html , 14/ 4/ 2004, p.6.

ميلاً نحو الجانب الأمريكى فى هويتهم، وأقل يهودية، وربما أكون أنا أول شخص تقابله يعرف نفسه كيهودى ـ يقول فى أول جملة له أنا يهودى، أنا كاتب يهودي، إننى أكتب من أجل اليهود، ولا أدعى أو أطالب بفهم الأمريكيين.

* ذكرت في إحدى المرات أن الأيديولوجية الصهيونية نوع من الفكر الذى يغلب عليه التمنى، هل يمكنك تفسير ما تعنيه بذلك؟

لقد قامت الفكرة الصهيونية على جمع كافة أفراد «الشعب اليهودى» المشتت فى جميع أنحاء العالم، وإعادتهم «لأرضهم»، هذه كانت الفكرة، ولكن ما حدث أن جزءاً صغيراً جداً من «الشعب اليهودى» جاء إلى إسرائيل، وهذه مأساة من وجهة النظر الصهيونية، وربما أيضاً اليهودية. إن الأغلبية العظمى من اليهود فضلت البقاء فى دولها (الشتات)، وألا تنضم للمجتمع اليهودى، وبالتالى فقد كان فكراً قائماً على الأمنيات، ولم يتم تحقيقه بالفعل».

ثالثاً: سامى ميخائيل (١٩٢٦م)، ورواية «فيكتوريا» (١٩٩٣)

ولد سامى ميخائيل فى بغداد، عام ١٩٢٦م، حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي فيها، وقد انضم إلى الحركة الشيوعية، في سن مبكرة، وشارك فى تحرير نشراتها حتى هروبه من العراق، عام ١٩٤٨م. وقد تعرض لمطاردة السلطات العراقية بسبب نشاطه الشيوعى المحظور رسمياً، آنذاك، حتى تمكن من الهرب إلى إيران، ومنها هاجر إلى إسرائيل، عام ١٩٤٩م.

التحق بقسم الأدب العربى بجامعة حيفا، وتخرج من قسم علم النفس، بدأ مشواره الأدبى بكتابة بعض القصص القصيرة باللغة العربية، ثم تحول إلى العبرية، واتخذها لغته الأدبية، وقدَّم من خلالها العديد من الأعمال التى عكست صورة اليهودى الشرقي، وخاصة العراقي. يعد ميخائيل من أدباء الطوائف البارزين فى الحقل الأدبى بإسرائيل، وله مواقف شخصية عن طائفته ودفاعه عنها، حيث عبر عن هذه المواقف فى مقابلاته وتصريحاته، ومن خلال أعماله الأدبية.

وتعد رواية فيكتوريا من أهم أعماله الروائية التى تعبر عن طائفته، والتى سوف نتناولها بالبحث والدراسة فى ثنايا البحث.

أولى روايات ميخائيل هى (متساوون ومتساوون أكثر)، وآخر رواياته (مياه تقبل مياه - إصدار عم عوبيد، ٢٠٠١م).

ومن أشهر رواياته (لاجئ)، و(حفنة من ضباب)، و(بوق فى الوادى)، ولكن رواية فيكتوريا تعتبر من رواياته المهمة، حيث ترجمت للعديد من اللغات، وهى الأكثر مبيعاً، وتدور أحداثها فى مسقط رأس الكاتب، وموطن ولادته بغداد، حيث العلاقات الاجتماعية والعائلية لأسرة يهودية فى الشتات العراقي.

وقد حصل سامى على الدكتوراه الفخرية ثلاث مرات، كما حصل على العديد من الجوائز، كان من بينها جائزة زئيف، وكوجيل، وحصل مرتين على جائزة رئيس الحكومة للآداب. وهو يكتب عن الطائفة اليهودية فى الشتات الشرقى والعربي، وخاصة العراق، ولم تخل كتاباته من السخرية، وهو يتناول أحوال طائفته ما بين العراق وفلسطين، والصراع بين الثقافتين العربية واليهودية، ودور طائفته فى الحضارة العربية فى العراق، ويذكر، دائماً، أنه ما زال يصنف ككاتب يهودى قادم من العراق، وأنه هناك كان فحسب يهودياً، لكنه فى إسرائيل يهودى عراقى. ومازال سامى يكتب، وينتج، ويقيم في حيفا.

ومع استقراره فى حيفا، انضم إلى أسرة تحرير «الاتحاد» الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الإسرائيلى، ونشر العديد من القصص العربية القصيرة فى مجلة «الجديد» الشهرية، تحت اسم «سمير مارد»، كانت تدور حول حياة القادمين الجدد من العراق، ولكنه ترك هيئة تحرير الاتحاد، عام ١٩٥٥م، وبعدها هجر اللغة العربية كلغة أدبية، ثم تحول إلى اللغة العبرية[1]، مما جعله يتمتع بهذه المكانة التى تحولت إلى نموذج فريد، استحق التقدير، والجوائز، والشهادات التي حصل عليها.

وحول تحوله من التعبير بلغته، ولغة أجداده، وجذوره، وثقافته العربية إلى العبرية، يقول: «بعد قدومى إلى إسرائيل جابهت وضعاً لا يطاق. قرأت الإنجليزية، وتحدثت العبرية، وفكرت وكتبت بالعربية. استمرت هذه الفترة ست سنوات. فى تلك الأيام عملت فى هيئة تحرير إحدى المجلات الأسبوعية العربية، لقد تطورت لغتى العربية الأدبية فى إسرائيل، على وجه الخصوص، إلا أنه كلما ازددت غوصاً فى اللغة العربية،

(١) إدريس، محمد جلاء (دكتور): المرجع السابق، ص١١٥.

أدركت أنني أتحول إلى نبته غريبة فى إسرائيل، والحاجز الذى فصل بينى وبين اليهود فى إسرائيل، ارتفع وعلا، وصارت اللغة حدوداً صلبة وراسخة. فعندما وصلت إلى إسرائيل، ١٩٤٩م، كانت هجرتي عملاً فنياً لم يتطلب منى أى التزام أخلاقى أو قومي، ومثل كافة المطاردين بسبب آرائهم تنقلت من مكان لآخر، كانت إسرائيل فى نظري، ولسنوات طويلة، ملجأ، مؤقتاً، يمكن استبداله بملجأ آخر، في كل لحظة. وقد كان للانتقال النهائى من العربية للعبرية أبعاد عميقة بالنسبة لى، وعندما اتخذت القرار أدركت أن هذه هى الهجرة الحقيقية لإسرائيل[١].

وما يعنينا هنا من أقوال سامى ميخائيل، أن إسرائيل لم تكن الهدف النهائى له، ولا المكان الآمن والملاذ الأخير كما ادعت الصهيونية عندما توجهت بأساليبها المختلفة لاقتلاع اليهود من دول شتاتهم، وأماكن استقرارهم وهو يهودى عراقى، كان من الصعب عليه الانسلاخ من ماضيه وجذوره الشرقية.

ويقر سامي ميخائيل، أيضاً، بقوة التأثير العربى عليه، وصعوبة الانسلاخ منه، فهو عراقى يحمل فى داخله ثقافة شتاته وجذوره. فيقول: «أوقعت الطلاق بينى وبين اللغة العربية، إلا أن طابعها وتأثيرها لا يزالان باديين فى أسلوب كتابتى، وإذا كنت قد تمكنت من أسلوب خاص بى، فإن أساس هذا الأسلوب هو الدمج بين العربية التصويرية، وبين العبرية الحديثة الجوهرية، وأنا أميل شخصياً إلى هاتين الميزتين المتناقضتين»[٢].

ومما يؤكد أن يهود العراق كغيرهم من باقى يهود الشتات قد تم اقتلاعهم من جذورهم بوسائل الصهيونية، التي صورت لهم أنهم سيهاجرون إلى الجنة، بعيداً عن نار إقامتهم، فعلى سبيل المثال، يصور سامي ميخائيل الحياة فى العراق فى أبهى صورها بالنسبة لليهود، مقارنة بما لاقوه من صدمات وأحوال معيشية قاسية بعد الهجرة، فالحياة فى العراق - على الرغم مما كان بها من مشاكل - أرحم بكثير مما قوبلت به الطائفة العراقية فى فلسطين. وعن هذا يقول: « وما إن انتهت الحرب العالمية الثانية، حتى وجد يهود بغداد أنفسهم فى إحدى فترات عصرهم الذهبى، فقد وصلت

(١) سامى ميخائيل: الانتقال من لغة إلى أخرى، مفجاش، العدد ٣، ١٩٨٦، ص٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣.

إرسالياتهم إلى الصين والولايات المتحدة، وصارت أمور العراق الاقتصادية فى أيدى أبنائها... وفى عام ١٩٤٦م، كان من بين اليهود الشعراء، والقضاة، والمفكرون، والصحفيون، والأطباء، والأدباء، وكان على هؤلاء أن يشكلوا صورة الدولة المتفتحة، كما لو كانوا باقين فيها للأبد. هكذا كانت الأوضاع فى عيون أبناء تلك الطائفة العريقة»[١].

وهذه الصورة توضح مدى ما حدث للطائفة اليهودية بالعراق، حتى تمت هجرتها، فقد كان للطائفة شأنها ومشاركتها فى شتى نواحى الحياة هناك. ويبرز سامي ميخائيل التفرقة التى لاقتها الطائفة اليهودية فى المعاملة من اليهود إثر هجرتهم في مقابل المساواة فى أرض الشتات، ويؤكد على خديعتهم من قبل الصهيونية، حيث يقول:«لقد اعتقدنا أننا عدنا إلى بيتنا، يهود بين يهود، شعب واحد، لكن ليس الأمر هكذا، فهناك من يقسم الجميع هنا على شعبين، أتذكر، كانت لنا فى العراق مشاكل، ولكننا لم نكن بأقل منهم، ولا يطاردون اليهود، الحمد لله. ولكننا قبل أن نأتى، حددوا لنا وصفاً آخر، مكانة من الدرجة الثانية»[٢].

وعلى لسان احدى بطلات روايته «أكواخ وأحلام»، كان تلخيص الصدمة التى واجهت أبناء الطائفة إبان هجرتهم، « لقد كذبوا علينا.. خدعونا .. ألقوا بنا فى خيام وأكواخ مملوءة بالفئران والصراصير، وقالوا: هذه هى الأرض الموعودة»[٣].

وتصوير اللحظات الأولى للوصول من الشتات إلى فلسطين، هو دائماً موضوع يطرق فى أعمال أدباء الشتات، فقد قام ميجد بتصوير هذه اللحظات، عندما وصل إلى يافا مع أسرته، وما عبر عنه من مرارة وقسوة، فيما بعد. وقد صورها أيضاً سامى ميخائيل، في روايته «متساوون ومتساوون أكثر». فيقول :« خلال خمس دقائق قصيرة، نجح الوطن الجديد فى أن يقلب حال أبى، من بطل يتربع على قمة مجده إلى سقوط متاع هرم ذليل. فبينما يهبط من على سلم الطائرة، متلهفاً مثلنا إلى سحر إسرائيل التى حلمنا بها، ظهر من

(١)سامي ميخائيل: حفنة من الضباب، تل أبيب ١٩٧٩، ص٧.

(٢)سامي ميخائيل: متساوون ومتساوون أكثر، تل أبيب ١٩٧٤، ص٢٥.

(٣)سامي ميخائيل: أكواخ وأحلام، تل أبيب ١٩٧٨، ص٩.

بين أفراد تلك المجموعة التى همت لاستقبالنا شخص يحمل بيديه آلة رش ضخمة، وقبل أن نفهم ماذا حدث، غطت سحابة بيضاء من مسحوق دى. دى. تى. أبا شاؤول الذى كان مواطناً محترماً ووجيهاً بين أفراد طائفة بغداد... وبعد هذه اللحظة المهينة، ودون أى كلمة، وبعد أن تصرفوا إزاءه كما لو كان على رأس قطيع من الغنم، لمحت أبى يقتحم أخر معركة له، من أجل الحفاظ على كرامته الشخصية: كتم العطس، وسالت الدموع من عينيه»[1].

من هنا، كانت مصادر التأثير على الإنتاج الأدبى لسامى ميخائيل نابعة من جذوره الأولى فى الشتات، والظروف التي تعرضت لها طائفته بعد الهجرة، حيث أضفت تلك الأمور لوناً خاصاً فى تعبيراته وأفكاره، من خلال تجنيد هذا الأدب للدفاع عن شرقيته.

وكانت رواية «فيكتوريا» من أكثر الروايات عناية بحياة الطائفة اليهودية فى العراق وفى فلسطين، من خلال العلاقات الاجتماعية المتشابكة لعائلة يهودية، تشمل الأجداد، والآباء، والأحفاد، وعلاقاتهم، وامتداد هذه العلاقات مع باقى شخصيات الرواية مع الجيران، والحاخام، وغيرهم.

وإذا كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، قد أحدثت انقلاباً جذرياً فى إسرائيل، في شتى النواحي، فقد كان لها أثرها على الساحة الأدبية، فقد صورها الأدباء فى أعمالهم، وجاءت الحيدة والصراحة فى أعمال أدباء الشتات الغربى والشرقى، فقد صورها ميجد فى أكثر من رواية، وها هو سامى ميخائيل يلتقى معه بنفس الصراحة والحيدة فى إحدى رواياته، حيث التصريح بقوة الجيش المصرى: «لقد دق الجيش المصرى عظام الجيش الإسرائيلى الذى هزم وتشتت، هناك العديد من الأسرى»، العلم المصري يرفرف على الضفة الشرقية للقناة، والجنود المصريون يعبرون القناة بدباباتهم، كما لو كانوا فى عرض عسكري، طائرتهم تجوب السماء، ولا مزعج لها، والمدرعات الإسرائيلية تحطمت، والمدافع تحطمت»[2].

***

(١) سامى ميخائيل: متساوون ومتساوون أكثر، ص١٨ - ١٩.

(٢) سامي ميخائيل: لجوء، تل أبيب ١٩٨٥، ص٢٨٣.

الشتات اليهودي والدولة، والصراع العربي - الإسرائيلي في فكر ورؤية سامي ميخائيل:

«يعرض سامي ميخائيل في رواية «لجوء» من خلال أحداثها للعديد من القضايا العربية - الإسرائيلية، فتقسيم فلسطين مازال راسخاً فى الأذهان، واستئثار اليهود بالأراضى الغنية، وإعطاء العرب الأراضى الفقيرة، لم يغب عن عيون العرب فى إسرائيل، رغم مرور أعوام وأعوام، وأحوال العرب القاسية، إثر قيام إسرائيل، وطردهم من مساكنهم وأراضيهم، وتحولهم إلى لاجئين بلا مأوى من قيظ الحر، وزمهرير الشتاء، وتعرضه، أيضاً، (لجوء) خلال أحداثها، والحرية التى تزعم إسرائيل أنها تمنحها للعرب، ليست في الواقع إلا حرية الصراخ من الألم الذى تسببه إسرائيل للعرب، فالعربي الفلسطيني عاش سنوات طويلة بحاجة إلى تصريح من السلطات لينتقل من قرية إلى أخرى، على آبائه، وأرض أجداده. وفى حوار عربى - إسرائيلي يتناول الكاتب قضايا جديرة بالاهتمام (فطوبيا) يرى أن انتصار العرب فى حرب أكتوبر، هو مقدمة للتفاوض من أجل السلام، وهو ما حدث بالفعل من بعض أطراف النزاع»[1].

وحول الصراع العربى - الإسرائيلي، يقول سامي ميخائيل: «إنني أكتب عن الصراع فى مجمله، فعندما أكتب عن شخصية يهودي أو إسرائيلي، فإنني أكتب بصفتي كاتباً يهودياً، وعندما أصف شخصية عربية، فإنني أكتب وكأني كاتب عربي يكتب عن العرب، لهذا فالعربي ليس هو الآخر، بل إنه أنا نفسي، أيضاً. وذلك ينطبق بالمثل على الكتابة عن كونى إسرائيلياً، فإنه ليس الآخر بذاتي كذلك. وعند سؤاله هل ينتابك الشعور بأنك ممزق بين الحياة التى خلفتها وراءك بالعراق (الشتات)، وتلك التي تعيشها الآن فى إسرائيل؟ أجاب ميخائيل: «أنا مثل البقلاوة، حلوى تتكون من العديد من الطبقات، ولكن كل طبقة منها تتصل بالأخرى، وتذوب بها - لذا فإننى لست ممزقاً، أو مشتتاً، فأنا أحب ماضى وحاضرى، وأحب الوقت الذى مر بينهما[2]».

* إذن هل تشعر أنك بوطنك هنا؟ أم أنك تجد موطنك باستخدامك للغة؟

---

(١) إدريس، محمد جلاء (دكتور): المرجع السابق، ص٢٠١.

(٢) Black, F. M: Forward, Arts letters, 29/ 11/ 2002, Sami Michael, Jews are the Baromeer.

ـ إننى لا أعتقد أن وطن الإنسان، حتى بالنسبة لمخلوق روحانى مثل الكاتب يمكن أن يتمثل، ويوجد في اللغة، فاللغة أغنية ولا تزيد عن ذلك، إن وطن الكاتب وبيته يوجد حيث يوجد مسكنه، وموطنه الفعلي، وبيته الحقيقي الذي يعيش ويقيم به، في الوقت الحالي، وبيتي لم يكن ذلك الذى عشت به فى بغداد، أو بأي منزل آخر أقمت بـه، ولكن ذلك المنزل الذى أقيم وأعيش فيه الآن، وهناك الكثير من الكتاب يحاولون الفرار من الحاضر، ومن السياسة، ولكن الهرب مستحيل(١).

وحول الواقع فى إسرائيل فى الوقت الراهن، ودلالات فشل الصهيونية، وانعدام الأمن داخل إسرائيل، كان السؤال التالى:

*** هل يوجد الآن تيار فى الأدب الإسرائيلى الحديث يتجه نحو الفرار من الواقع؟**

ـ اعتقد ذلك؛ لأن كافة كتابات ما بعد الحداثة فى الأدب هى نوع من الهرب من الواقع، ولكن ذلك يستحيل تحقيقه في إسرائيل، لهذا فكتابات ما بعد الحداثة فى إسرائيل تختلف عن نظيراتها المكتوبة فى فرنسا، وإيطاليا، أو انجلترا؛ لأن كتابات ما بعد الحداثة الإسرائيلية مشحونة بالقلق، والتوتر، والخوف، واليأس. ولكنه قلق فعلى، وليس متخيل، إذ إنه يمكنك ارتياد حافلة ما دون أن تدرى ما إذا كنت ستنزل منها أو لا!! بالضبط، ولهذا فعندما يسألنى أحد عن موعد وصولى، فإننى أجيبه: « أنا أعرف متى سأغادر المنزل، أما موعد عودتى فلا أدرى عنه شيئاً»(٢).

***هل تعتقد أن اليهودى يعيش خارج حدود التاريخ؟ وهل هو غريب على الدوام؟**

ـ وفى معرض إجابته يؤكد على تقديره للشتات اليهودى فى شتى أنحاء العالم، قائلاً: «إذا أردنا أن نحدد من هو الغريب فى تاريخ ألمانيا، فسنقول إنه هتلر، وليس اليهود، فهو من خان الثقافة الألمانية، أنا لا أعتقد أن اليهود غرباء فى أمريكا، أو أوروبا، أو العراق. لقد كان لدينا شعور بالانتماء أكثر من العرب أنفسهم، إننا كنا هناك عبر العصور البابلية، والفارسية، واليونانية.

(١) Ibid, p.1.

(٢) Ibid, p.2.

***هل هناك ما يسمى بـ «اليهودى الجديد»؟ هل الإسرائيلى سلالة جديدة من اليهودى؟ أم أنها كلها مسميات فى إطار استمرارية التاريخ اليهودى؟**

ـ أظن أنه أسوأ شيء أن نقول أننا «خلقنا يهودياً جديداً إذ إننى أزعم أن هذا الموقف ينبع مباشرة من الشيوعية والماركسية، وأيديولوجية القومية العربية، والتى حاولت جميعها أن تخلق فرداً جديداً، فبادئ ذي بدء إنها كذبة، فبمجرد أن يبدأ أحد الحديث عن اليهودى الجديد، يتضح لك أنه يشير إلى المقاتل اليهودى المعتز بنفسه، البطل شمشون، وهو عجوز للغاية، وبالغ القدم حتى أن أسنانه تهرأت، وجثته تعفنت، لدرجة لا تحتمل، فلا يوجد ما يسمى «يهودى جديد»، وكأن الناس يحاولون إغفال ونسيان فترة المنفى، وذلك صحيح. وعلى الرغم من أن واقع الأمر أن المنفى خلق أشياء جميلة مثل التلمود الذى كتب فى الشتات، وموسى (عليه السلام) عاش حياته بأكملها فى الشتات، ولم يدخل أبداً «الأرض الموعودة»، فلقد توفى خارجها، إن أهم الأشياء فى اليهودية تمت خارج فلسطين»(١).

ومن هنا يأتى تقدير الشتات اليهودى فى رؤية الكاتب سامى ميخائيل، وهذا ما سنعرض له من خلال رواية فيكتوريا.

رواية فكتوريا : الأبطال والأحداث

* فكتوريا: وهى بطلة الرواية، والتي تحمل اسمها، وهى فتاة يهودية عراقية تعيش فى الحى اليهودى فى بغداد، ولدت في بداية القرن العشرين، فى منزل مكتظ يضم أسرة يهودية واحدة. وتواجه فكتوريا منذ مولدها مصير فتاة يهودية أمية نشأت فى بيئة فقيرة، تسيطر عليها عادات وتقاليد راسخة، منذ مئات السنين، ويسيطر عليها الرجال بسطوتهم وغرائزهم، ووسط هذا كله تظهر شخصية فكتوريا عبر مراحل حياتها المختلفة، والطفلة، والصبية، والعاشقة، والمرأة، والأم في أفراحها وأتراحها، وهى تشق طريق حياتها، منذ بدايتها فى بغداد على شاطئ نهر دجلة، وحتى نهايتها كامرأة عجوز لأسرة كبيرة فى مستعمرة رمات جان فى إسرائيل، في نهاية الثمانينيات(٢).

---

(١) Ibid, p.3.

(٢) سامي، ميخائيل: فكتوريا، ترجمة: سمير نقاش، تقديم ومراجعة: د. رشاد عبد الله الشامى، مركز الدراسات والترجمة لحوض البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٩٥، المقدمة، ص١٩.

والرواية ترصد بدقة سيرة حياة أسرة ميخائيل، الجدة من خلال أبنائها الثلاث (يهودا الابن الأكبر، وعزورى والد فيكتوريا، وإلياهو والد روفائيل، زوج فيكتوريا، وأصغر أبناء ميكال)، وأبنائهم أحفاد ميخائيل (عزرا ومريم أبناء عزيزة ويهودا، وفكتوريا، وسليمة، ونظيمة، ونيسان، ومراد، وفؤاد، وباروخ، والبيرجيه، أبناء نجية، وعزورى، ورفائيل، وحزقيل، وأشير، أبناء حنينة والياهو)، وأبناء الأحفاد (نعيم ابن مريم، وجرجى الحداد، وكلمينتين، وسوزان، وألبير، وتوريا، أبناء فيكتوريا وروفائيل)، بالإضافة إلى جيرانهم فى البيت المجاور من أبناء حى اليهود (عبد الله نونو، وأبنائه، معتوق ونونه، وشقيقته حنة، وإلياس ابنها، وداود شقيق نجية، والدة فكتوريا، وتويا زوجة داود).

كل هذه الشخصيات بالإضافة إلى العديد من الشخصيات الثانوية (الحاخام جورى حتيايات، وجورجى الحداد، ورحمة، عفصة العاهرة، وجميلة القابلة، والنادبة، والخاطبة، ونعيمة زوجة الياس، وطوبة أم زوجة إلياس، ورفقة أخت نعيمة، وخضورى بائع اللفت الحمال، وكلاريس، وسلمان، وإسحق، وعليمة الخباز، والرجل العبراني، والشيخ الشيعي، وشاؤول ووالد فاضل الجمالى)، تتداخل في منظومة واحدة، يقدم من خلالها الأديب لوحة لواقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والعادات والتقاليد الشائعة بين اليهود فى بغداد، من خلال محورىّ الرواية، وهما فكتوريا ورفائيل، على خلفية من الأحداث التى اجتاحت الحى اليهودي، أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعدها، إثر احتلال الإنجليز للعراق.

إن فكتوريا، تسعى منذ أن أصبحت فتاة تحركت فى داخلها مشاعر الحب، إلى الظفر بروفائيل، تلك الشخصية التى استحوذت على إعجاب جميع النساء فى الحى اليهودي، والمعتاد على الترحال الدائم، ومرافقة الغانيات، كزوج لها، وحينما تفوز به زوجاً، يداهمه مرض السل، ويضطر لشد الرحال إلى بيروت للعلاج فى مهمة هناك، بينما كان الجميع، ومن بينهم فكتوريا، قد سلموا بأنه لن يعود؛ لأن مرضه العضال لا ينجو منه أحد، ولكن رفائيل ينجو من براثن المرض اللعين، ويعود ويستأنف حياته مع فكتوريا، دون أن يشعر أنه أصبح ملكاً خالصاً، كله لها؛ لأنه يظل يتعرض لمحاولات إغواء مستمرة من نساء أخريات يعشقنه.

«ونفهم من سياق الأحداث، ودون أن يدخل المؤلف فى تفاصيل حول هذا الموضوع، أن الأسرة كلها قد هاجرت إلى إسرائيل، ومرت بتجربة «المعبراة» المريرة، ولكن المقام استقر بها بعد ذلك فى مستعمرة «رمات جن» حيث بدأت الحياة تطيب لها فى ظل أسرة كبيرة العدد من الأبناء والأحفاد الذين شقوا طريق حياتهم فى إسرائيل بنجاح. وفى النهاية يعرض المؤلف لمشهد وفاة روفائيل فى إحدى المحطات الإسرائيلية، لتبقى فكتوريا وحيدة، بعد أن عاش روفائيل اثنين وتسعين عاماً، ظلت فيكتوريا خلالها الزوجة العاشقة له، فحتى اللحظة الأخيرة كانت تغار على فحولته من النساء الأخريات، وهو حتى على فراش الاحتضار، يلفظ أنفاسه الأخيرة»[١].

«وتبدو الرواية على هذا النحو، وكأنها سيرة حياتية لأسرة يهودية فى حى يهودي ف بغداد، أو لأسرة سامى ميخائيل نفسه، لأنها تحفل بشخصيات حية من لحم ودم، ليس على المستوى الأدبى فحسب، بل على المستوى التاريخى الواقعى لحياة اليهود فى بغداد، قبل هجرتهم إلى فلسطين، يعزز هذا الاعتقاد ذلك الصدق الهائل فى رسم الشخصيات، وتركها تمارس حياتها، وتتحدث بطبيعة حية، دون تزويق أو محاولات لإسباغ أبعاد اصطناعية»[٢].



(١)المرجع السابق، ص٢٠.

(٢)المرجع السابق، ص٢٠.

الفصل الثاني

الشتات اليهودي ودلالات فشل الصهيونية في الرواية العبرية المعاصرة

الشتات اليهودي ودلالات فشل الصهيونية:

يعد الأدب من أهم وأوثق الأدلة والبراهين، التى يمكن الاستناد إليها فى الكشف عن القضايا والإشكاليات المهمة لمجتمع ما من المجتمعات، والوصول إلى جذوره من جميع النواحى الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها، والتي يصعب في كثير من الأحيان رصدها بصدق عبر مصادر أخرى، مثل الكتابات المباشرة بشتى توجهاتها وأنماطها.

إن العمل الأدبى يتناول الأحداث السياسية والاجتماعية، وغيرها، ويتساءل البعض هل هناك علاقة بين النص وسيرة الكاتب، وهل يعتبر وثيقة تاريخية تدل على فترة معينة؟ والإجابة على هذا السؤال تستلزم دراسة السياق التاريخي، والسياسي، والاجتماعي، والنفسي المفجر للعمل الأدبى، فلا يمكن نفى العلاقة الوثيقة بين النص ومثيراته. إن النص الأدبى يؤثر ويتأثر بالسياق الاجتماعي للمجتمع، وعادة ما يتحول الإبداع إلى صدى للأحداث الاجتماعية، أو وعاء يتضمن الوقائع التى يعيشها البشر.

«ومثلما يشير العمل الأدبى إلى الأحداث الجارية ويرتبط بها، إلا أنه أيضاً يبين سيرة الكاتب، وحياته، وما يدور بعقله. والقيمة الحقيقية فى بحث علاقة العمل الأدبى بالسيرة الذاتية للكاتب تكمن فى البحث عن شهادة إنسان مبدع أراد أن يدرس ويحلل متناقضات واقعه، ويزيد من قيمة النص، وطرح أسئلة تدور بالعقل بلا إجابة، والأنا تربط، دائماً، المبدع بالعالم الخارجى المحيط به، وقصة الثلاثية للأديب نجيب

محفوظ، توضح أنه عاش تلك الحقبة، وشاهد بعينيه الأحداث»[١] .

وإذا كان الكاتب هو مبدع النص الأدبى، فمن الواجب أن يتحرى الصدق التام فيما يتناوله من الأحداث التاريخية، حتى تكون بمنأى عن الشك ومعبرة كوثيقة عن الحدث والأحداث موضوع النص الأدبي، إذ «ينبغي على الفنان ألا يلوى عنق الحقيقة التاريخية فى سبيل الإبداع الفنى، فإن ذلك يعد تزييفاً فى التاريخ، وينأى بالعمل الفنى عن خاصية أولية من أهم خواصه، وهى الصدق. والصدق الذى نقصده هنا هو (الصدق التاريخى) الذى لا نراه متعارضاً مع (الصدق الفنى)، إذا لا ينبغى أن يكون الصدق الفنى ذريعة للتنصل من الصدق التاريخى الذى يخلق غيابه آثاراً سلبية خطيرة فى الوجدان الإنساني، بشكل عام»[٢] .

«وليس هناك أى نوع من الشك يخامر جمهرة الباحثين فى تواريخ المجتمعات القديمة من النواحى المختلفة سياسية كانت، أم اجتماعية، أم فكرية، فى أن الأدب يمثل واحداً من أهم وأوثق السجلات المعرفية التى يمكن الاستناد إليها فى استقاء المعلومات عن التكوينات الباطنة فى مجتمع من المجتمعات، والتي يصعب في أحيان كثيرة رصدها عبر سائر المصادر المعرفية المباشرة من كتابات سياسية، واجتماعية، وفلسفية، وما شاكلها»[٣] .

«ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها فقد اتجهت مجموعات من الباحثين فى أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية فى الكشف عن مختلف الأوضاع فى هذه المجتمعات... ومع مرور الوقت، تطور هذا الاعتماد وتبلور عنه اتجاه نحو دراسة المجتمعات المعادية، والتعرف عليها عبر الوثيقة الأدبية»[٤] .

---

(١)عبد التواب، ميرفت إسماعيل، النص الأدبي كيف يستلهم التاريخ؟ صفحة الأدب، جريدة الأهرام، ٣/ ٢/ ١٩٩٥، ص ١١.

(٢)قاسم، قاسم عبده (دكتور): بين الأدب والتاريخ. كتاب الفكر، العدد٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥.

(٣)البحراوى، إبراهيم عبد الحميد (دكتور): الأدب الصهيونى بين حربين، حزيران ١٩٦٧ وتشرين ١٩٧٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٧.

(٤)المرجع السابق، ص ٨.

«ومن الدراسات الشهيرة التى أجراها باحثون أمريكيون للأدب السوفييتى فى إطار الاهتمام بدراسة الواقع السوفييتي، خلال الفترة الستالينية، تلك الدراسة التى تقدم بها «بول هولندر» لنيل الدكتوراه، تحت عنوان (نماذج السلوك فى الأدب السوفييتي الستالينى ...دراسة عبر أدبية للقيم والضوابط فى المجتمع الديكتاتورى) (The American sociological review. June 1966). وقد أثبت هولندر فى صدر بحثه، أن وجهة النظر التى وجهته فى البحث هى أن ظروف المجتمعات الديكتاتورية، نادراً، ما تسمح بدراسة موضوعية، أو وصف للأفكار الاجتماعية، والقيم الرسمية فيها، ومن ثم فإنه من الضرورى استخدام الأدب فى مثل هذه المجتمعات للتعرف على هذه الأفكار والقيم، باعتباره أحد المصادر الرئيسية التى يمكن أن تقدم المعلومات فى هذا الصدد»[1].

ولما كان للأدب العبرى الحديث والمعاصر دور بارز فى تناول القضايا والإشكاليات المهمة التى واجهت الصهيونية، منذ نشأتها، وتغلغلها فى فلسطين بأساليبها الاستيطانية والتعبير عنها، وكان هناك كذلك دور مهم لهذا الأدب، بعد قيام دولة إسرائيل، في إبراز القضايا والأزمات التى واجهت الدولة، كالصراع بين الدينيين والعلمانيين، والصراع الطائفى والثقافى بين الإشكنازيم، والسفاراديم، والمهاجرين، بمختلف هوياتهم، والصراع المهم حول مكانة الشتات اليهودي، والصراعات الأخرى حول تحديد هويتها، وهوية اليهود داخلها .. من هذا المنطلق، كان التوجه للأدب العبرى المعاصر لدراسة القضايا المهمة التى نسعى لبحثها للتعرف على المجتمع الإسرائيلي الحالى، ونقاط قوته وضعفه، وإفرازات تلك القضايا، وتأثيرها على المشروع الصهيوني.

ويمثل «الشتات اليهودي فى الرواية العبرية المعاصرة (موضوع البحث)، إحدى القضايا الإشكالية المهمة التى تمس علاقة هذا الشتات فى الوقت الراهن بدولة إسرائيل.

وعند رصد الأعمال الروائية التى أولت اهتماماً واضحاً بهذا الموضوع، وخاصة بعد

(١)نفس المرجع، ص ٩.

تبدل الرؤى والأفكار، إثر حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وجدنا أنه قد صدرت أعمال كثيرة حول هذا الموضوع، وقد تم اختيار ثلاثة منها تجسد بتنوعها وتنوع كتابها هذه القضية، ومن بينها روايتان كتبهما أدباء ذوو أصول شتاتية إشكنازية، وهما:

١ .رواية فويجلمان ١٩٨٧ ، لأهارون ميجد.

٢ .رواية حفرة الثلج ١٩٩٧، لأهارون أبيلفلد.

ورواية كتبها أديب إسرائيلى تعود جذوره الثقافية إلى أصول سفارادية وهى:

٣- رواية فيكتوريا ١٩٩٣، للكاتب اليهودي العراقي الأصل، سامي ميخائيل.

لقد كانت تصفية الشتات اليهودي، أو «جمع شتات المنفيين» (קיבוץ הגלויות)، من الثوابت الرئيسية في صلب بنيان الأيديولوجية الصهيونية، حيث كان البند التنفيذى في الفكر الصهيونى هو تفريغ الشتات اليهودي بشتى الوسائل، والدفع بهم إلى فلسطين تمشياً مع العقيدة الصهيونية الرامية لاستعمار «أرض فلسطين». فالحركة الصهيونية بزعامة «ثيودور هرتزل» وأعوانه، هي التي خلقت دولة إسرائيل ككيان استيطانى استعمارى، ولم يكن مهماً، في البداية، أين يقام هذا الكيان فى أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما، ثم جاء التحول إلى فلسطين ليكون الدين اليهودي قوة دفع وجذب ليهود الشتات في هجرتهم إلى فلسطين تنفيذاً للأفكار التوراتية بـ«الأرض الموعودة»، ومن هنا سعت الحركة الصهيونية لإنجاز نجاحات استيطانية سياسية ودينية، على الرغم من المعارضة من قطاع كبير من اليهود، وحدوث انقسام واختلاف فكرى ودينى حول ذلك، ولكن في النهاية نجحت الصهيونية في بناء هذا الكيان على أرض فلسطين، حيث يقول هيرتزل: «إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى ... وأن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لم الشمل القوية لشعبنا»[١] .

ويقول، أيضاً: «إن فلسطين هى المكان الوحيد الذى يستطيع اليهود أن يذهبوا إليه، فمجرد ذكر اسمها يثير عند الشعب اليهودي ذكريات تاريخية تقدر على إلهامه وتحريكه»[٢].

(١)جارودى، رجاء: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢)المرجع السابق.

ومن هنا، روجت الصهيونية لأفكارها العنصرية والاستيطانية بين اليهود في شتى أنحاء دول الشتات، بأن فلسطين أرض خالية (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، وبدأت موجات الهجرة إلى فلسطين لدعم دولة إسرائيل بالسكان، وعملت على محاولة التوفيق بين مختلف المهاجرين، رغبة في الانصهار والتآلف، أملاً في الأمن والأمان تحت مظلة الكيان الإسرائيلي (دولة إسرائيل)، ولكن الواقع أبرز فشل مخططات الصهيونية في تحقيق ذلك.

وفى حديث أجراه «يعقوب باسار» مع الكاتب المعاصر «أهارون أبيلفلد» حول رواية «حفرة الثلج» (١٩٩٧م)، وما تطرقت إليه الرواية من أحداث تتعلق بالشتات اليهودي، وعلاقته بالواقع الراهن داخل إسرائيل، كان من أهم ما تضمنه الحوار ذلك الجزء الذى تطرق إلى الانتماء والأمان، بين الشتات وإسرائيل.

«سؤال يطرح نفسه ، هل تشعر أنك غريب حتى اليوم ؟

أجاب: إن كلمة غريب ليست هى الكلمة الصحيحة.

هل الكلمة الصحيحة هى «مغترب» .

ربما مغترب، ولكننى أشعر كفنان وكأديب، أحياناً، بأنني أعبر كثيراً عن البلاد أكثر من الذين يكتبون عنها فحسب، إن الهجرة هى الأمر عميق الجذور لتلك البلاد، الهجرة بكل تياراتها، بكل صعودها وانحطاطها. وأنا وأنت كلانا نمثل تلك الهجرة جيداً، أكثر مما يكتب ويقال عن «الكيبوتس» أو الجامعة. الهجرة هى ما يميز تلك البلاد، مجموعة من الناس اقتلعوا من أحد الأماكن، ولم يغرسوا كما ينبغى بمكان آخر»[١].

ولد الكاتب «أهارون أبيلفلد»، عام ١٩٣٢، وهاجر إلى فلسطين، عام ١٩٤٦، أى أنه كان في عمر الطفولة (١٤عاماً)، بمعنى أنه عاش طفولته الأولى في الشتات، ولم يحمل لهذه السنوات إلا ذكريات التشرد والضياع.

«كان في الثامنة عندما قتلت والدته بطلق نارى بجوار البيت، فبقى مع والده، ثم هربا

(١)בסר, יעקב: אהרון אפלפלד כשאתה רואה את המות, השפה מצטמצת, מכרה הקרח, עתון(77), גלי (212), עמ'4.

إلى ترتسنستريا (أحد أقاليم أوكرانيا)، وتنقلا من معسكر لآخر، ويقول، أيضاً: «كنت صبياً في العاشرة، وكان الأشخاص الذين كانوا معنا في المعسكر يقولون: إنه حتى اليوم يسمعون صراخى بعدما انفصلت عن والدى. وبدأ أبيلفلد رحلة التشرد، ففي عام ١٩٤٤ ، عندما جاء الروس انضم إليهم كصبى يعمل بالمطبخ، ويقول: «أتعجب كيف بقيت على قيد الحياة حيث إنه بالتأكيد كان من الضرورى أن أموت، وقال لكن الحب أعطانى قوة»[١].

وقد هاجر أبيلفلد إلى فلسطين مع هجرة الشباب، وقضى عمره وشبابه بإسرائيل حتى أصبح واحداً من رموز الأدب المعاصر في إسرائيل. وعلى الرغم من ذلك، يقول أنه، حتى الآن، لا يزال مغترباً، أى أنه لا يشعر بالدفء، والأمان، والاطمئنان، والتوافق، داخل الكيان الصهيونى. وأشار في حديث له في معرض إجابته عن السؤال عن الهجرة، وجذورها، وما تعنيه من الارتباط بالشتات، إلى أن الهجرة هى التى تميز إسرائيل، ولكن المقصود من تلك الإشارة هو أن إسرائيل هى خليط من مختلف المهاجرين من شتى أنحاء الشتات، ومن هنا تبرز صعوبات التوافق والصهر، وبالتالى افتقاد الأمن، والأمان، والدفء المنشود من قبل أنظمة الصهيونية ودعاتها.

وفي آخر الفقرة، يقول أبيلفلد عن المهاجرين إنهم «مجموعة من الناس اقتلعوا من أحد الأماكن، ولم يغرسوا كما ينبغى فى مكان آخر»، والأديب يتحدث هنا بقصد، أو بدون قصد، عما قامت وتقوم به أجهزة الصهيونية من اقتلاع ليهود الشتات من مواطنهم الأصلية، واقتيادهم إلى فلسطين، وزرعهم فيها طبقاً لأغراض وأهداف الصهيونية بغرض الاستيطان، ودعم دولة إسرائيل.

ومما يؤكد ذلك هو كلمة «اقتلعوا»، وورودها في صيغة المبنى للمجهول، أى أنهم جلبوا، في الغالب، رغماً عن أنفهم بشتى الوسائل، ما بين الترغيب والترهيب. وفي نهاية الفقرة، يقول:« لم يغرسوا كما ينبغى، أى حسب القوانين والأعراف الدولية، حيث إنهم غرسوا في فلسطين على أشلاء الشعب الفلسطيني، وهو ما عبر عنه بمكان آخر (فلسطين).

---

(١)כהן, אדיר: סופרים עבריים בני זמנינו, הוצאת מזרח, תל אביב, 1979, עמ'95.

وهكذا عبَّر الأديب «أهارون أبيلفلد» عن حالة وجوده، في الوقت الراهن، بأنه لا يزال مغترباً في إسرائيل، ولم ينس أنه من المهاجرين من الشتات.

أما الأديب المعاصر «أهارون ميجد» (ولد عام ١٩٢٠)، بمدينة « فولتسلفيك» ببولندا، وهاجر إلى فلسطين، عام ١٩٢٦ »، فهو أيضاً، على الرغم من وصوله مهاجراً إلى فلسطين، في سن الطفولة، وهو في الخامسة والنصف من عمره، فإنه يحدد بشكل قاطع انتماءه للشتات، حيث يقول: «إننى شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء، لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة ، أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[١].

وفي موضع آخر، يؤكد على انتمائه الشخصى الحقيقى بعيداً عن إسرائيل التى يشعر بالاغتراب فيها، ويضع نفسه مع يهود الشتات، وبالتحديد يهود بولندا وروسيا، حيث يقول : «لقد كنت أشعر، دائماً، بأني جزء من أسرة كبيرة هى يهود بولندا وروسيا. كانت الصهيونية قائمة على رفض كل شئ فى الشتات»[٢].

ويقول، أيضاً : «في الحقيقة كنت أشعر في قرارة نفسى، حيثما كنت في أى فترة من فترات حياتى، بأنى غريب بين الأطفال في المدرسة، وبين الطلاب في المدرسة الثانوية «الجيمنزيا»، وفي حركة (الشباب)، وفي الكيبوتس»[٣].

وهنا، يؤكد الكاتب على موقف الأيديولوجية الصهيونية بالنسبة لرفض الشتات، وتصفيته لصالح دولة إسرائيل، ويشير إلى فشلها في إتمام عملية الصهر والاندماج.

واستمراراً لهذا التأكيد من قبل الأدباء والمفكرين المهتمين بالشتات في كتاباتهم، وهم «أبيلفلد» فى رواية «حفرة الثلج»، و «ميجد» فى رواية «فويجلمان»، نقف مع الكاتب العراقي الأصل، والوافد من الشتات الشرقي، وبالتحديد العربي، وهو الأديب « سامي ميخائيل»، والذي شارك في هذا التيار، من خلال روايته التى سنتناولها بالبحث، أيضاً، وهى رواية «فكتوريا» (١٩٩٣). وسامي ميخائيل يحتل مكاناً مرموقاً في خريطة

(١)בסר, יעקב: שם, עמ'19.

(٢)מגד, איל: הוציאו על כולנו חוזה , אהרון ואיל מגד, יחסים אחרים, מעריב, 23 – 29/ 8 / 1991, עמ'29- 30.

(٣)Eden, Vivan: Op. Cit, p.124٣

الأدب العبري المعاصر، وخاصة بعد نشر هذه الرواية التى نال عنها عدة جوائز. وقد تطرق سامي ميخائيل في رواياته إلى مشكلة الاضطهاد والتمييز داخل المجتمع الإسرائيلي الذى وصل إلى حد التمييز ضد مجموعة مؤلفى طوائف يهود الشرق، و«تحدد رواية فكتوريا» عدة مفاهيم وقضايا ترتبط بحياة المؤلف.

الأول: هو موضوع عائلى يشبه (مزهر الحمائم المدهش «لإيلى عامير»)، والذي نشر أخيراً بدار نشر «عم عوبيد»، مطابقاً لفكتوريا بالنسبة للسنين، وبمواد الحبكة الأساسية، وهنا نسج «ميخائيل» جذور أسرته المتشعبة، التى ترجع لبداية القرن العشرين، في الجيتو اليهودي الفقير في بغداد، وحتى الهجرة لإسرائيل، والسنوات الأولى بوادى ينسنس . أما الثانى فهو ما حدده «ميخائيل»، وقد بدأ، منذ بلوغه التاسعة عشر من عمره، مع ظهور روايته الأولى «متساوون ومتساوون أكثر»، وكان ذلك احتجاجاً معبراً ومباشراً، حيث عرض مظاهر التمييز والاضطهاد ضد مجموعة المؤلفين من طوائف الشرق (شمعون بلاص، وايرز بيتون، وجابى بن سمحون، وغيرهم)، تلك المجموعة التى تكونت، في تلك الأيام، واتحدت جيداً بروح المناهضين للمؤسسة العامة التى سادت هناك، في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث أطلقوا عليهم ثورة التحرك على غرار كتاب أشعار بيتون، واعترض «ميخائيل» على غضب الكثيرين، حيث صاح في كتابه الأول «صيحة إسرائيل الثانية». ومن هنا، عرف بالأديب الطائفى»[١].

مصاعب الاستيعاب والارتباط بالشتات:

وحول تناقضات المجتمع الإسرائيلي، وتخبط المهاجرين من الشتات، وخاصة طوائف الشرق، يقول «إيهود بن عيزر» : « مصاعب الاستيعاب في إسرائيل التي وصفت في «رواية فكتوريا»، ولو بدون مرارة، هي تلك التي نمت وازدهرت عن قصة الظلم المخيف الذى أحدثته الصهيونية بشتات بابل بإنزالهم من عظمة العصر الذهبى إلى هاوية المعابر. فنجد «سامي ميخائيل» يوضح أن جذور الأشكنازيم فى المدن الخليعة، والخانقة، والمليئة بالخرافات، ومستوى المعيشة البائس، وبدون مستقبل فى شرق

(١)ריקין, אורי: עולם של קודים דרוויניסטיים, סמי מיכאל, ויקטוריה, מעריב, 2/ 5/ 1993, עמ'8.

أوروبا. وهكذا الحي اليهودي ببغداد، وكانت هناك غرائز وأنماط غير أخلاقية، وأنماط دون مستقبل أساساً، في فترة الحكم التركى الذى سبق العصر الذهبى القصير[١] .

ها هي عادات وتقاليد الشرق تقف حجر عثرة في وجه محاولات الانصهار في المجتمع الإسرائيلي المبنى على عادات وتقاليد الغرب المغايرة ، تماماً، لعادات طوائف الشرق.

ورواية فكتوريا مليئة بهذه السلوكيات:-

« عندما استدعت «رفائيل » ليصعد إليها، ساد الصمت أرجاء الحي، إلى حد كان يمكن معه سماع طنين الذباب، دار الحوار بين الجدة والحفيد بصوت هامس مكتوم، نزل الفتى بعد ذلك على السلم الضيق البالى، والبهجة بادية على أسارير وجهه. وقفت فكتوريا ومريم ابنة عمها يهودا، الواحدة قرب الأخرى، كانتا في العاشرة من عمريهما، شئ عظيم غمر كيان فكتوريا، وأحست أن هذا الأمر الغريب يغمر مريم كذلك. كانت كلمة الحب تعتبر كلمة فاحشة حتى بين الزوج وزوجته، حين وقفت مع ابنه عمها فوق بلاط الحى القديم، حيث نمت «ميخل»، وترعرعت، ووضعت أبناءها الثلاثة، وحيث شهد وفيات وولادات كثيرة، ولامس كتفها كتف مريم، أدركت في تلك اللحظة أنها أصبحت امرأة»[٢].

من الصعوبة بمكان التخلى عن العادات والموروثات، ولكن يمكن ترك شىء منها، تدريجياً، ولكن هنا أراد الكاتب الطائفى «سامى ميخائيل» أن يؤكد على قوة وصلابة هذه العادات، فهو يصف العلاقة بين أطراف العائلة بالمتانة والقوة في الحديث بين الجدة والأحفاد، فيصف جو الحديث وبيئته وطريقته، فيقول: «بصوت هامس ومكتوم،» دلالة على عمق الاحترام بين الصغير والكبير، وهنا السؤال ؟ هل هذا متوفر لدى مهاجرى الشتات الاشكنازى داخل إسرائيل؟ الإجابة لا بد أن تكون بالنفى.

ومن جهة أخرى، يؤكد على جانب اجتماعى آخر في العلاقة بين الشباب، فأراد أن يغلق الباب في هذا الشأن، وهو الحب، فقال «كانت كلمة الحب تعتبر كلمة فاحشة »

(١)בן עזר, אהוד: ויקטוריה היא ניצחון, ויקטוריה מאת סמי מיכאל (1993), הארץ 26/ 3/ 1993, עמ'4.

(٢)מיכאל, סמי, ויקטוריה, ספריה לעם, הוצאת עם עובד, הד«16, תל- אביב , 1996 , עמ'8- 9.

فكلمة فاحشة هى قمة التنافر منها، والبعد عنها، وزاد التأكيد حينما قال: «حتى بين الزوج وزوجته».

ومن هنا، تبدو صورة التمسك بعادات الشتات، وبالتالى صعوبة التأقلم مع عادات وتقاليد الصهيونية الممثلة لهيمنة القيم الاشكنازية.

«كان ظهور روايتى «فكتوريا» « لسامي ميخائيل»، ومزهر الحمائم « لإيلي عامير»، والإقبال الكبير عليهما باعثاً على كتابة عدد غير قليل من المقالات، تتناول الروايتين كوثائق اجتماعية. وبالرغم من ندرة الخيال الأدبى عند كلا الأديبين، فإن الجمهور الذي اعتاد على الأشكال الشرقية التى تقطر زيت زيتون وخلاصة الورود، يرى أنه من الضرورى التعمق في الأفكار الاجتماعية في تلك الروايات عن الأتقياء، والروحانيات، والثقافة، والأحزان المطلقة، وما يهم إسرائيل بالنسبة لثقافة المهاجرين والحاجة إلى إيقاف شعب الطوائف على واحدة من الأمور المهجورة المهمة، وهى تحرير المرأة»[(١)].

ويؤكد «أهارون أبيلفلد»، في روايته «حفرة الثلج» على الارتباط بالشتات، فيروي لنا عن مجموعة من اليهود في معسكر للعمل على نهر البوج، وهم في أصعب حالاتهم الشاقة، عملياً ونفسياً، يفكرون في عودتهم، بعد الخروج من المعسكر إلى مسقط رأسهم بالقرية، التي كانت مسقط رأس الآباء والأبناء، ولم يدر بخلدهم الفرار أو الهروب إلى مكان آخر، على الرغم من أن حالتهم تسمح لهم بهذا الأسلوب للبحث عن الأمن في مكان آخر، ولكن الكاتب يؤكد هنا على الارتباط بمكان النشأة الأولى.

« عبثا يحاول «بنحاس» و «سالو» أن يغرسا فينا رغبة للأعمال، ويصعب ذلك مع سكوت دكتور «بوخبندر»، ومع ذلك تكلم المتطوعون التابعون لضباطهم بحده، متهمين إياه، ووصفوه بأنه شريك (ضدهم)، ولم يجد ما يرد به».

« كان صمتاً قوياً، ونحن نجلس لساعات بجوار كومة النار صامتين، وعندما يستمر السكوت، ويسيطر علينا، يقف «بنحاس»، ويحكى لنا عن بيته، وزوجته، وأولاده، يحكى عنهم ببساطة، كما لو كان لم ينفصل عنهم في ظروف صعبة، سوى أنه خرج في

(١)הראבן, גיל (מחזאית ועתונאית): להיות עם חופשי, ידיעות אחרונות , 15/ 4/ 1993, עמ'5.

مهمة تخص قريته، وسيعود إليها في المستقبل، سيعود إلي حياة اليهود بالقرية بين الأغراب، أشجار ومياه، تبدو لى تلك الحياة، تبدو لى الآن، كأسطورة خوف .

سأله أحدهم ؟

وهل تنوى العودة للإقامة فى القرية ؟

آبائى ولدوا هناك، وأنا أيضاً.

قال «بنحاس» بتلك البراءة للولد، ونحن نجلس صامتين، قام دكتور «بوخبندر» على أقدامه، وأمعن النظر حوله، وبحركة رياضي قفز إلى مياه البوج.... (١) .

الغربة وعدم الأمان فى إسرائيل لدى يهود الشتات :

وفي رواية «فويجلمان» يبرز «أهارون ميجد»، فشل الصهيونية في توفير الملاذ الآمن ليهود الشتات داخل إسرائيل، من خلال حوار بين إحدى شخصيات الشتات مع اليهودي الشتاتي الشاعر اليديشى، بطل الرواية «فويجلمان». «رفع »يوسله هفط « كأسه لتحيتي، وارتشف رشفة صغيرة، ومسح فمه بظهر يده، وقال : «أنا لم أعش في إسرائيل، إنني خائف، وأنا أفكر على النحو التالى :

سآتى إلى تل أبيب، وأسير في شوارعها، وسأشعر وكأننى غريب، تماماً، كما هو شعورى بأننى غريب في لندن وفي ستوكهولم، هذا حسن بالذات وربما كان ميزة، أنك تقول لنفسك: كل هؤلاء الذين من حولى لا شيء جديد على الإطلاق بالنسبة لهم، وأنا يا «يوسله» ، أرى ما لا يرونه، أتجول مثل أوزة بين ذكور البط، ولكن في إسرائيل

أنا غريب في إسرائيل ؟

لن تشعر بأنك غريب في إسرائيل .

وعده «فويجلمان»

صدقنى... إنهم جميعا مختونون .... (٢) .

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, כתר, ירושלים, 1997, עמ'51.

(٢)מגד, אהרון: פויגלמן, עם עובד, תל- אביב, 1987, עמ'115.

فعلى الرغم من تأكيد بطل الرواية «فويجلمان» لصديقة اليهودي بأنه سيكون بين يهود (مختونين) في تل أبيب، أي أن كل من حوله يهود فحسب، بخلاف وجوده في لندن، أو غيرها من دول الشتات، فإنه لم يشعر في قرارة نفسه بغربة الشتات، وأعرب عن خوفه، وشعوره بعدم الأمان في إسرائيل.

ويتساءل نجل «فويجلمان»، وبدهشة شديدة، عن سبب وجود والده الشتاتي في إسرائيل، حيث لم يقتنع بأى مبرر لهذا الوجود ولتلك الزيارة، التي قام بها والده لإسرائيل، وكانت الإجابة، هي البحث عن الدفء العائلي أو الأمان والهدوء، والالتحام مع باقي اليهود، والاندماج معهم تحت ملاذ آمن يعيش فيه اليهود، حسب مخططات الصهيونية، التي يتأكد فشلها في توفير هذا الملاذ الآمن. يقول:

« عن أي شيء كان يبحث والدى هنا (إسرائيل)

لماذا جاء إلى هنا (إسرائيل) في الواقع ؟

لمعت ابتسامه حزينة في عينيه

أجبت : يبحث عن أسرة

هل وجدها ؟

كلا .. لم يجدها ......»[1]

إنه بالطبع كان يبحث عن أشياء كثيرة افتقدها في الشتات. وتأتى هنا حنكة الكاتب، حيث أورد جميع هذه الأمور في كلمة واحدة معبرة، وهى « الأسرة »، وتعنى أولاً، وقبل كل شئ، الترابط والألفة، والانسجام، والتعاون، والمحبة، والعيش في هدوء وسكينة، وكانت الإجابة بالنفي، أي أن هذه الأمور جميعا لم يجدها في إسرائيل.

وينتقل «ميجد» في رواية «فويجلمان» من الرمز والإشارة إلى التعرض لفشل الصهيونية في توفير الملاذ الآمن ليهود الشتات في إسرائيل، إلى التصريح بوضوح، والتعبير عن ذلك على لسان أبطال الرواية ممن يعيشون فى الشتات، ومن القاطنين في إسرائيل، وذلك بالمقارنة بين حالة فقدان الأمان في الشتات، وفى مقابلها نفس الشيء في

(١)שם, עמ'115.

إسرائيل. علاوة على التصريح بسبب فقد الأمان، وهو مقاومة العرب، وانتفاضتهم ضد اليهود المحتلين في قرى ومدن فلسطين الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما عبر عنه المؤلف بالإرهاب العربى (من وجهة نظره).

« ماذا يوجد هنا « إسرائيل »؟

انتظر إجابتى للحظة، وحيث إننى لم أقل شيئاً،

فقد رفع صوته، قائلاً:

إنهم يقتلون اليهود في الجليل، وفي القدس، وفي الخليل، ليس هناك أمان، لا يوجد أمان.

قلت له بعض الأشياء عن «الإرهاب العربى»، ومحاربته .

وبنظره جامدة تعمقت تجاعيد وجهه، وقال بصوت سحيق :

عندنا في « زاموشيتس» قبل الحرب، كانت هناك شوارع في الحى القديم خارج نطاق التجول، كنا نعرف أنه من الخطورة السير فيها، وبخاصة في أيام أعيادهم ، وعندما يخرجون من الكنائس ، أو عندما يكونون سكارى .

كان ينقض عليك، دائماً، عدد من البلطجية بالضرب، بالعصى والسكاكين، وبمعجزة فحسب، يمكنك أن تخرج حياً من بين أيديهم، كان هناك قتيل، كل عدة شهور .

نفس الشىء ... الآن هنا، أيضاً .... إسرائيل .....

فمن غير الممكن أن تسير بحرية. فقد خطفوا جندياً كان واقفاً فى الطريق، وقتلوه في مكان مهجور بالجبال. وخطفوا طفلاً، وعاملوه بقسوة، مثل الحيوانات المفترسة، وأطلقوا الرصاص على المتنزهين في الحقول، وألقوا قنبلة في السوق.

إننى أشاهد الجنازات في التليفزيون، جنازة كل يوم، العدل مفقود، الرحمة عند الله.

إن القلب حزين. .. حزين جداً

قلت إنها إسرائيل .... زاموشيتس»[1].

(١)שםעמ'245- 246.

إن طرفي الحوار السابق هما « تسفى أربيل » الصبار الإسرائيلي ومدرس التاريخ اليهودي بالجامعة، وهو مدرك للواقع اليهودي بإسرائيل، ومدرك لعدم وجود الأمان وأسبابه، ومن هنا، يأتي صمته في الإجابة على الطرف الثانى في الحوار، وهو « فويجلمان » اليهودي الشتاتى الذي عايش الشتات بكل أطواره وحوادثه، وفترات غليانه ضد اليهود ، فهو يقارن بين حياة اليهود في الشتات في أسوأ ظروفها، والحياة في إسرائيل، في الوقت الراهن.

ومن هنا تبدو الصورة قاتمة جداً في إسرائيل، مبرهنة على فشل الصهيونية ودعاتها، باعتبار أن الدولة هى الملاذ الآمن لكل اليهود. ويعبر صمت «أربيل» عن كونه فاهماً ومدركاً للتاريخ، ولثمن الاستيلاء على أرض عربية فلسطينية، يهُب أبناؤها للدفاع عنها ضد المحتلين الصهاينة. ومن هنا تؤكد الفقرة:

أ- فقدان الأمن والأمان بإسرائيل.

ب- استمرار توارث مشاعر الخوف في وجدان اليهود.

ج- استمرار انتفاضة الفلسطينيين، ومقاومتهم كأصحاب أرض مع استمرار الاحتلال.

د- اهتزاز شخصية الصبار اليهودي أمام مسلك الصهيونية في إسرائيل.

هـ- إنه لا فرق بين إسرائيل، وما يفتقده اليهودي فيها من أمان، وبين البلدة الشتاتية.

ما ورد آنفاً من محاور تعبر عن فقدان الأمن فى إسرائيل يتأكد على أرض الواقع الحالى، ويبلور رؤية الشباب الصبارى فى فقدان الثقة فى الصهيونية، حيث وضعتهم فى مأزق الدولة، وفى «بوجروم» حقيقى له مبرراته، حيث إن المقاوم العربى يقاتلهم لاسترداد أرضه وحقه الشرعي.

«بدأت ثورة «تسفى أربيل» بأيديولوجيا إلغاء الذكرى الشمولية المغروسة فى فكرة الشبابى، مع بلوغة الخامسة عشر من عمره، حيث انفصل عن والده، وأقام بجوار (جوش حلب)، ووقع في طبرية هجوم من قبل الشباب العرب على الحى اليهودي، وهنا يقول:«انخرطت وسط هذا الجمهور المشدود فى المنعطف، بين الرجال الخائفين ذوى الوجوه الشاحبة، لا حول لهم، يلتصق هذا بذاك، واحتبست الدموع فى حلقى، دموع

الخجل والإهانة، كما فى بوجروم ـ بكيت فى داخلى، مرت عشرون دقيقة هى فترة الكابوس... لكن ذكرى هذا الخجل والعار لم يمح من قلبي.

على مدى أيام، وفي أعقاب عمل «تسفى» كباحث ومحقق متفرغ للتاريخ اليهودي، كشف عن التشابهات التاريخية، التي تؤكد وحدة المصير اليهودي، التشابه بين البوجروم في طبرية، والبوجروم في زمواشتيس، ويفهم منه كم هو ذلك الخداع الصباري الذى واكب تغير الوصف من يهودي(١) إلى إسرائيلي(٢)، وتغيير قاعدة التواجد اليهودي من زمان إلى مكان (في فترة الإحياء القومي، في بداية القرن العشرين، اعتادوا لوصف مسار كهذا كمسار من«الكتاب» إلى دولة اليهود، أعني من روحانية إلى مادية) يكون إعفاء الصبار من مشكلة معاداة السامية، ومن معاناة البوجروم(٣).

(١)والكلمة نسبة إلى يهودا أحد أبناء يعقوب الأثنى عشر، أو إلى المنطقة التى أقام فيها سبط يهودا فى منطقة النقب الصحراوية الفقيرة، في جنوب فلسطين، حيث ظهرت أسماء جغرافية تنسب إليهم، مثل «جبل يهودا» (قضاة ١/ ٣)، و«أرض يهودا» او بلاد يهودا (عاموس ٧/ ١٢)، «إقليم يهودا» (إشعيا٢٥/ ٢٨)، و«مدن يهودا» (إرميا ٤/ ١٨). أو نسبة إلى مملكة يهودا في جنوب فلسطين، وقد كثر استعمال لفظة «اليهود» بمعنى رعايا في مملكة يهودا. وقد أصبحت كلمة يهودي تستخدم للإشارة لكل من يؤمن بدين موسى (عليه السلام)، (اليهودية) بغض النظر عن الانتماء الجغرافي لمعتنق هذه الديانة في جعل هذا المصطلح مفرغاً من عنصر الزمان والمكان. للمزيد راجع: الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): العبرانيون وبنو إسرائيل، المرجع السابق، ص٢٢- ٢٣.

(٢)تنسب هذه التسمية إلى سيدنا يعقوب (عليه السلام)، حيث ترد فى التوراة قصة مفادها أنه خاض عراكاً ضد رجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير فى منطقة الأردن يدعى «يبوق»، ولما رأى الرجل انه لا يقدر عليه، طلب منه أن يطلقه، فقال له لا أطلقك حتى تباركنى، فباركه وقال له لن يدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسْرائيل، لأنك صارعت الله والناس وغلبت، ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما«إسر» بمعنى غلب، و«إيل» وتعنى الإله أو الله. وفى أدبيات التلمود أصبح المصطلح «إسرائيل» يطبق على العامة من الشعب على وجه الخصوص. وعندما أعلنت الصهيونية عن قيام دولتها فى فلسطين، ١٥ مايو ١٩٤٨م، أطلقت عليها اسم إسرائيل. وقد أصبح اليهودي المقيم خارج فلسطين، وفقاً لقانون العودة الصادر فى ٥ يوليه ١٩٥٠م هو الآخر إسرائيلياً. والخلاصة هى أن « الإسرائيلي» وفق هذا المفهوم هو أولاً وأخيراً، اليهودي المقيم في إسرائيل، واليهودي المقيم خارجها، أيضاً، بشرط أن يكون صهيونياً متمسكاً بالولاء لإسرائيل. للمزيد راجع، المرجع السابق، ص١٩: ٢٢.

(٣)אורן, יוסף: הצבר חוזר אל הזהות היהודית, אהרון מגד, פויגלמן, ידיעות אחרונות, 23/ 10/ 1978, עמ'25.

وينتقد « وارويننج » (إحدى شخصيات رواية فويجلمان، وهو نجل لبطل الرواية الشتاتى) دولة إسرائيل فى عدم توفيرها أبسط وسائل الراحة العامة، مع إيمانه بموطنه في الشتات بالغرب، ولا يرى حاجة لوجود والده في مكان (إسرائيل) مرفوض من جانبه، اجتماعياً وسياسياً، حيث يقول:

«ولكن لا يوجد عندكم دورات مياه عامة، لقد تجولت هنا بالمدينة، ولم أتمكن من العثور على دورة مياه واحدة – إنها قلعة بدون دورة مياه – بدت من فمه ابتسامة خفيفة ورقيقة، تعجبت منه»[1] .

إن المحاور في الفقرة السابقة هو «ارويننج » نجل «فويجلمان» الشتاتى، وهو يعشق الغرب وثقافته، وينتقد بشدة دولة إسرائيل وتوجهاتها، ولا يرى فيها الغاية المنشودة لليهود، ويفضل الشتات. ومن هنا، جاءت انتقاداته كما حددها الكاتب، وكأنه لا تربطه أى صله دم بهؤلاء اليهود في إسرائيل. بل إنه أكثر من ذلك، لا يرغب في هذه الصلة، ووصف إسرائيل بأنها قلعة مغلقة محصنة، أى تفتقر للإنسانيات. وأشار الكاتب بسخرية بالغة إلى قول الشاب، بأنه لم يعثر على دورات مياه عامة في الشوارع، على الرغم من هذا الصرح الكبير. وهنا يأتى الرمز إلى مادية الدولة وعنفها دون الالتفات للمظاهر الإنسانية والأمان والهدوء المنشود. ومن هنا، فإنه ينحاز إلى حياة الشتات فى الغرب وبريقها، في الوقت الراهن، مقابل افتقار إسرائيل لهذا كله.

وفي رواية «فكتوريا»، نجد التعبير عن البيئة والواقع الشرقى في العراق، والتطبع بعادات وتقاليد لا يمكن التنازل عنها، حتى بعد الهجرة إلى « إسرائيل »، حيث يصف «سامي ميخائيل» اليهود الشرقيين، تقريباً، مثل سائر العرب الذين يعيشون بينهم، مع القليل من العلامات التقليدية اليهودية (فى مقابل يهود المغرب، سوريا، أو اليمن، الذين يتأكد بهم الطابع الدينى اليهودي التقليدي بشكل زائد)، باستثناء الزواج، ودفن الموتى. وإذا عثرنا فى الرواية على أمور تتعلق بالعبادة، فهي مرتبطة بالحاخام «جورى شتايات» الذى هو مشعوذ أكثر منه دجال. وفيما يتعلق بغالبية الطائفة، فمعظم، أبطال الرواية يحملون أسماء عربية، ويتحدثون العربية، ويحلفون بالله، وملابسهم، ومأكلهم،

(١)אהרון מגד, פויגלמן, שם, עמ'16- 17.

وسلوكهم واقعي، مثل جيرانهم المسلمين الذين يعيشون بينهم. وقد ظلمت سلطة رب الأسرة المرأة، وحطت من مكانتها فى محيط الأسرة. ولكن رغم تدنى منزلة ربة المنزل أصبح لها دورها المميز، فهى أم الأسرة مثل ميخـال، نجيـة أو عزيـزة (جميلـة جميلات الحى) فهى مسئولة عن طلبات البيت والطهى. ولها كلمتها ويأخذ الرجال برأيهـا. وفى المقابل البنات والشابات الصغيرات، مثل فكتوريـا أو مـريم، فمنـزلتهن متدنيـة جـداً، ومكانهن وراء أوانى الطهى بالمطبخ، الرجل هو السيد، مثـل عـزورى (الثـرى)، وهـو الممول الرئيسي للحى»[1].

وها هو «سامي ميخائيل»، يفخر بطائفته فى العراق، ويشيد بدورها الثقافي، ومكانتهـا الرفيعة فى بغداد. بقوله:« بغداد راسخة فى مكانها منذ ألف عام، وتلـك المدينـة الكبيـرة التى تطورت عن قرية نائيـة فى أطـراف الإمبراطوريـة الساسـانية، تـدين بـالكثير لآبـاء «فكتوريا»، لقد ساهم الأطباء، والعلمـاء، والمفكـرون، والسياسـيون والأدبـاء اليهـود مساهمة كبيرة في بلورة الحضارة العربية التى نشأت هناك.

ولكن أجيالا من الغزاة، والفيضانات، والأوبئة، والملاحقات، والمـذابح، لم تعمـل فحسب، على إضعاف القوى الروحية للطائفة اليهودية، بل جعلتها تفقـد ذاكرتهـا. وقـد انزوى اليهود كذلك في حى ضيق جداً، فولد الكثير منهم، وكبروا ثم هرموا وماتوا، دون أن يغادروه. تلك الطائفة التى ألف أجدادها التلمود البابلى، وطفقت طموحاتهم الأفاق، وتقلصت آفاقها إلى حد كبير.

يوم اجتازت فكتوريا النهر من على الجسر. ومحيت الأعوام الألف هذه من وعيهـا، كما سـويت بوجـه الأرض قبـور آبائهـا القديمـة، التـى كانـت عبـارة عـن أكـوام مـن التراب»[2].

وكانت اللغة العربية التى جرت على لسـانها لغـة حضـرية قديمـة ورقيقـة، بخـلاف اللهجة العربية الدينية، التي قدمت منذ عهد ليس ببعيد من الصـحراء إلى الأمـاكن التـى أصبحت خراباً، وفقدت خصوبتها».

(١)וילק, מיכאל: סמי מיכאל, ויקטוריה, מוסף מעריב, 3/ 4/ 1993, עמ'8.

(٢)סמי מיכאל, ויקטוריה, עמ'59.

يعطى الكاتب انطباعا بالفخر بالطائفة اليهودية في بغداد، حيث ساهمت بنصيب كبير في سمو وازدهار الحضارة العربية بالعراق، ويرجع ضعف الطائفة وانحطاطها لأسباب خارجية، تتمثل في الغزو من الخارج، وكان مصيرها كمصير دولة الشتات العراقية، في مجملها، كما يرجع انحطاطها، أيضاً، إلى أسباب طبيعية عامة، مثل الفيضانات والأوبئة التى تعرضت لها المنطقة كلها. بخلاف ذلك تعد الطائفة مفخرة في ذاكرة كل يهودى عراقى هاجر لإسرائيل، وكانت للهجرة سلبياتها المتمثلة في إغفال ألف عام مزدهرة في الشتات، وهذا إغفال معنوى، أما المادى فيتمثل في محو قبور الآباء والأجداد القديمة، التي كانت هناك. ولكن بطلة الرواية « فكتوريا » تحمل معها تراثها، وعاداتها، وتقاليدها، وأيضاً، لغتها العربية، وهى اللهجة العراقية، وليست الفصحى العربية (المشار إليها بالإسلامية). وهذه اللهجة من القوة والثبات بحيث لا تنساها أبدا، وبالتالى تستمر معها في إسرائيل، وتورّثها لأجيالها من بعدها. ومن هنا، يأتي التمسك بالعادات والتقاليد، والموروثات الشرقية، التي تميز يهود الشرق وتقف عقبة في سبيل الاندماج والصهر مع الطوائف الأخرى المكونة للمجتمع الإسرائيلي.

«تنبع قوة رواية « فكتوريا »، فى شجاعة المؤلف في إزاحة القناع عن موضوع الحنين للوطن (الشتات) المتأصل من الماضى، وإظهار جوانبه الأقل رومانسية، فيما يتعلق بثقافة الشرق، بدلاً من موقف الدمار النموذجى بصيغة: (عندنا، أيضاً، تقاليد محترمة بإسرائيل)، ومطلوب التفضل بالاعتراف بها. اختار «ميخائيل» في وصفه نواحي غير مزينة مما هو معروف من ماضيه المتاح ليبرهن للعالم بأنه مساو مثلهم، تماماً »[1] .

ويشير سامي ميخائيل إلى تراث الشتات اليهودي وألوانه المختلفة من شتى أنحاء العالم، وناتجه فى إسرائيل من الأبناء والأحفاد الذين يحملون ألوان مواطنهم الأولى، وعاداتها وتقاليدها، ومن ثم يحملون انتماءهم لهذا الشتات. فيقول:«انتقلت عيناها بسرعة بين أبناء الأحفاد المنتشرين فى الشقة، هذا المزيج الرائع من الجينات العراقية، والمصرية، والبولندية، والسورية، والهولندية، والبلغارية. عيون خضراء فى وجوه سمراء، خصل شعر ذهبية تتوج عيوناً من المخمل البنى، صلابة شمال أطلسية تلامس

(١)ריקין, אורי: שם, עמ'8.

رقة وادى النيل»[١].

ولقد كان الأمل المنشود هو أن يحدث اندماج بين مختلف أبناء الشتات، من أشكناز وسفارديم، وهذا ما أشار إليه الكاتب بحديثه عن الأحفاد. ولكن تبقى التفرقة والاضطهاد ما بين الطوائف الشرقية والغربية، وحتى بعد مرور سنين، على مرورهم جميعاً بمرحلة (المعبراه).

«كنا نتحدث عن «المعبراه» غمغم أصغر أبنائها الذى كانت ملامحه قريبة الشبه بملامح أبيه، لقد مزقتهم مفرمة تلك الأيام، ورغم ذلك فقد خرج من هناك جراحون وأساتذة جامعات، وهناك جنرالات فى الجيش نشأوا فى «المعبراه»، فلماذا لم يكمل أى منا تعليمه الجامعي».

يشير الكاتب الطائفى الشرقى سامي ميخائيل، إلى المصاعب التى مرت بها طائفته من خلال حديث فكتوريا (بطلة رواية فكتوريا)، وأبنائها، وأحفادها عن ذكريات سنين الشقاء بعد الهجرة من العراق إلى إسرائيل، فقد تدنى مستواهم الوظيفى والتعليمي، مقابل شتات الاشكنازيم الذين أكملوا دراستهم، وأصبحوا في مراكز مرموقة، في مقابل أبناء الطائفة الشرقية (لم يكمل أى منهم تعليمه الجامعى)، الذين حرموا من تقلد مناصب، وشغل أماكن على غرار الأشكنازيم الذين ينعمون بالرخاء والرفاهية.

ويعبر سامي ميخائيل، في مواضع كثيرة من رواية فكتوريا عن الحنين والارتباط بالشتات، وهذا الارتباط العاطفى بالشرق، «ومن ينقب عن سياسة، أو أيديولوجية، أو فولكلور، أو دين، أو عصيان الرب، أو الموضوع الإثنى (عراقيون فى مقابل إشكنازيم فى أيام المعابر)، عليه أن يقرأ هذه الرواية (فكتوريا) »[٢].

وتواصل فيكتوريا حديث المقارنة بين الوافدين من الشتات الغربى وبين شتاتهم الشرقى، فتقول عن الإشكنازيم: « أنهم ينعمون بالرخاء والرفاهية، ويكفى أن ترى شققهم، إنها تتحسن عاماً بعد عام، أولادهم يتمتعون ببنية قوية، ويتفوق كثير منهم فى

(١)מיכאל, סמי: שם, עמ'206.

(٢)זן, נתן: לדעת אשה, ויקטוריה, מאת סמי מיכאל, היא התרומה הנכבדה ביותר שיכלה התרבות הישראלית להרים ליום האשה הבינלאומי, מעריב, 11/ 3/ 1993, עמ'5.

الدراسة. والتفتت فى صمت إلى ألبير الميال للصمت، والذى أسند خده على رأس حفيدته، وانتظرت منه أن يشرح لأخيه، بمنطقه المعتاد، دوامة حياتها، لكنه ظل صامتاً.

فتساءلت بتعجب: «أهذا ما تحسونه، وهو أنكم بقيتم فى المؤخرة» فقال ابن آخر وهو ينفث دخان سيجارته فى سخط: «بالتأكيد»(١).

وهنا يبدو الرفض لما وصلوا له من حال، بعد مرور سنوات من هجرة الأجداد والآباء، حيث الأحفاد «فى المؤخرة» يعيشون فى إسرائيل كطوائف شرقية، وضعهم الاجتماعى متدن للغاية، مقابل الأشكنازيم. وتدافع الجدة (فيكتوريا) عن وضع أبنائها وأحفادها، بقولها: «كان علينا أن نعيش وننجو من الجوع. لم يكن ثمة مناص من ذلك. هل كان بوسع القروش الحقيرة التى كنا نأتى بها أن ننقذ الوضع»(٢).

وتبقى مصاعب الاستيعاب لدى الأجداد والأبناء، وتستمر بذكرياتها وآثارها مع الأحفاد والشباب الذى ينتظر منهم الاندماج مع أقرانهم الصباريم فى إسرائيل، حسب الرؤى الصهيونية. ومن هنا، يتأكد الفشل الصهيوني في محاولة استيعاب الوافدين من الشتات، على مختلف ثقافاتهم، وصهرهم. فهاهم أحفاد الطوائف الشرقية يتجرعون سم ومصاعب المعابر، وقسوة العيش، وهذا ما جاء على لسان أحد شباب الطائفة العراقية، حيث يقول:

«كم كان عمرنا؟ مجرد أولاد، وأرسلتنا (جدته) عنوة إلى سوق العمل القذرة، بين تل أبيب ويافا، فى الأمسيات كنا متعبين للغاية، لدرجة أننا لم ندرك أننا نبدد زهرة شبابنا. وبدلاً من أن نخرج لاستنشاق الهواء، كنتِ ترغميننا على تربية الدجاج، وزرع اللوبيا حول الخيمة»(٣).

ويستمر الإحساس بالمرارة بعد الهجرة من الشتات مع استمرار المعاناة والشعور بالدونية فى مجتمعهم الجديد. فها هى الجدة تواسي نفسها أمام أحفادها، وتقول:

« أفخر سجادة يبدأون بها هكذا، خيطاً بعد خيط»، قالت هذا وقبّلت جبين الصغيرة،

(١)מיכאל, סמי: שם, עמ'206.

(٢)שם, ואותו עמוד.

(٣)שם, עמ' 207.

التي نامت وهى فى حضنها، ثم رفعتها ونهضت، ولم تطلب من أحد أن يفتح لها باب الصالة، بل فتحته بقواها الذاتية، مستعينة بكوعها وركبتها، بعناد عجوز فى الخامسة والثمانين من عمرها، وضعت البنت على الفراش، وغطتها وانهارت بجانبها، وبصعوبة حبست دموعها. إن طعم ذلك العلقم مازال فى فمها، منذ أكثر من ستين عاماً »[١].

وهكذا يتوارث الأحفاد عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، من خلال ذكريات الآباء والأجداد، علاوة على ذكريات المعابر، والمشاق، وسوء المعاملة، واستمرارها بآثارها السلبية على حياتهم الراهنة.

ويستمر الصراع سجالاً بين الأشكنازيم والسفاراديم حول دور كل منهم فى إسرائيل، بعد النزوح من الشتات، ففى الوقت الذى يرى فيه السفاراديم أنهم قد ظلموا، يرى الأشكنازيم أن دورهم هو الأجدر بالسمو لما لهم من مكانة وإمكانات من دول غرب أوروبا، غرباً وشرقاً، في مقابل تدنى مستوى السفاراديم فى شتاتهم، وبالتالى فى إسرائيل «فيما يتعلق بالثقافة التى دمرت بالنسبة ليهود الشتات الإسلامي، إبان هجرتهم لإسرائيل، والمؤامرة الأشكنازية الشيطانية لمحو تلك الثقافة. يقول جرنر موشيه، فى مقال له: «فى هذا الموضوع أريد أن أسأل سامي شطريت، عدداً من الأسئلة، حتى أكون على بينة، ما عدد الأدباء العبريين الذين قدموا من كردستان، ومن اليمن، وجبال طوروس؟ كم مبدع، وباحث، وأستاذ، كم ممثل مسرحى؟ أرجو أن يتفضل سامي ميخائيل، بتوضيح هذا الأمر بعدسة مكبرة. فحتى السبعينيات لم يعثر إلا على عدد ضئيل من الأدباء، أو آبائهم من غير المهاجرين من أوروبا مثل بورلا، وطبيب، فحسب كلامه، يبدو أن هناك مئات، بل وآلاف من الأدباء المشهورين. وهذه حيلة مضللة، وتم إسكاتهم، وربما كان الأشكنازيم ظالمين ومخادعين، كما وصفهم سامي، ولكن ليس فى الإمكان إسكات بياليك، وتشرنحوفسكى، وبرينر، وألترمان»[٢].

وفى مقابل إيجابيات الاشكنازيم، ومساهمتهم حسب دفاع الكاتب، يورد سلبيات الطائفة العراقية، حيث يقول:« بقراءة رواية فكتوريا لسامي ميخائيل، من الصعوبة

(١)שם, ואותו עמוד.

(٢)גרנר, משה (ד«ר): מחיקון ציוני אשכנזי- תגובה, מאזנים, ירחון לספרות, כ»א, גליון 8, עמ'49.

بمكان أن أقول إنه قبل عشرات السنين، كان الحال فى تلك الأماكن (الشتات اليهـودي في العراق)، أحسن مما هم فيه، الآن. حيث يصف سامي ميخائيـل الطائفـة اليهوديـة فى بغداد من نساء ومعظم الرجال بأنهم فى حالة من الأميـة (صـفحات ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٥) [١].

وعلى هـذا تبقـى الأولويـة للأشـكنازيم فى السبق والريـادة فى دولـة إسـرائيل، وأن الطوائف الشرقية يكفيهم ما هم عليه اليوم.

ويستمر كاتب المقال فى الرد على سامي ميخائيل، بفخره بالأشكنازيم ومكـانتهم فى الشـتات، وإسـرائيل، فيقـول: «أنـا أرى فـيهم الفنـانين الـذين يعبـرون عنـى، وأفخـر بإنجازاتهم فى إسرائيل، وفى العالم، حيث إنهم ليسوا من اليمن، ولكن إسرائيليين. ولكن سامي ميخائيـل، معنـى بمهـاجرى كردسـتان، وبـالطبع مهـاجرى المغـرب. تـذكرت الجنرالات، لم يكن هناك جنرالات فى اليمن، ولا فى باقى الدول العربيـة، ولكـن خـلال عقد واحد خرج من بين المهاجرين، من تلك البلاد (الشتات الإشكنازى) ضباط كبـار وجنرالات، فخر للشعب الإسرائيلي». وللإثبات اذكر هنا فحسب، في الاتحاد السوفييتى (السابق)، لأيام الحرب العالمية الثانية، كـان بـالجيش الأحمـر ٣٠٥ جنـرالات يهـود. وشـارك نصـف مليـون جنـدى يهـودى فى حـرب النازيـة. وسـقط مـن بيـنهم قـتلى ٤٠٢٠٠.٠٠. وكان هناك ضباط وجنود فى باقى الدول الأوروبية، وبالطبع فى الولايات المتحدة الأمريكية» [٢].

ويواصل دفاعه عن دور الأشكنازيم، في الوقت الراهن، في بنـاء إسـرائيل وجيشـها: «فمع هذا المخزون من القوات العسكرية المدربة، فلا عجب أن قوات (الدفاع العبرية) تم تأسيسها، في البداية، من مهاجرى أوروبا (ترومبلدور، وموشيه سناه، وسقوف، وزيجـل، وأيضاً، عزرا فيتسمان، كانوا ضباطاً فى الجيوش الأوروبية قبل انضـمامهم «القـوات الـدفاع العبرية» تكون سلاح الجو الإسرائيلي، في بداياته، من متطوعي الخارج من مهـاجرى شـمال أمريكا وأوروبا، لم يأت إلى إسرائيل أي طيار مـن إيـران. وهنـا (إسـرائيل) تحـت الحكـم

(١)שם, עמ'49.

(٢)שם, עמ'49.

الأشكنازى الظالم، تم تعيين قائد للسلاح الجوى من أصل إيراني»[١].

وما يعنينا هنا ليس دور الأشكنازيم المبالغ فيه، أو دور السفاراديم الذين يشعرون بالظلم، ولكن يعنينا فى المقام الأول، استمرار الصراع بين الطرفين، وفقدان الثقة فى أدوارهم، مع عدم اعتراف كل طرف بمكانة ثقافة الآخر الوافدة من الشتات، والتى تتعدى دور المشاركة فى البناء والاعتراف المتبادل والتلاحم المفقودين، على الدوام. ومن هنا، يستمر الصراع المرصود أدبياً فى الأدب الروائى المعاصر، سواء عند أدباء الشتات الغربى أو الشرقي.

والسؤال ، كيف تكون التقاليد الشتاتية الغربية والأشكنازية فى مقابل تلك العادات الواردة من الشتات والطوائف الشرقية؟ ففى رواية «فكتوريا» يتعرض الكاتب لنموذج اجتماعى بسيط جداً من عادات الشرق، وهو إبراز هيبة الوالد، وخجل الابن من التدخين أمامه، وهذا النموذج البسيط ما هو إلا دلالة على عادات الشرق، التي لها خصوصيتها، بالمقارنة بعادات الأشكنازيم.

«بدأ عزرا فى التدخين، ولكن فى السر حيث إنه يخجل من والده. جلس بجانب مراد وأخذ نفساً من السيجارة، وضع السيجارة بين أسنانه ، ضرب كفاً بكف، وقال لابن عمه: أنت تشتم؟

استنشق مراد حوله بحذر ، أنا لا أشتم على الإطلاق»؟[٢]

وهذه العادات والتقاليد نابعة من الشرق والمجتمعات العربية، وقد اكتسبها اليهود، وأصبحت تجرى فى عروقهم مجرى الدم، منذ القدم، ولا يمكن التخلى عنها على الإطلاق، بل أصبحت مرتبطة بسلوكياتهم وأعيادهم اليهودية، وبالتالي لا يمكن التخلى عنها فى المجتمع الإسرائيلي، «فقد ساد نمط رحب جداً فى محيط يهود بابل، وهو نمط الزيارة فى عيد الأسابيع[٣] لأضرحة الأولياء فى العراق، وهذه الزيارة يطلق عليها يهود

---

(١)שם, עמ'49.

(٢)מיכאל, סמי: שם, עמ'89.

(٣)ويعرف عيد الأسابيع بأسماء كثيرة أهمها«عيد الأسابيع»، و«عيد الحصاد»، و«عيد الحج»، و«عيد نزول التوراة»، ويقع هذا العيد بعد خمسين يوماً من صباح اليوم التالى ليوم السبت الداخل فى «عيد الفصح».=

العراق، اسم زيارة (بالعربية)، ومن هنا أطلقوا على عيد الأسابيع (عيد الزيارة) زيارة أضرحة الأولياء، وهو أسلوب قديم جداً فى بابل، منذ أيام الجاؤنيم فى القرن العاشر وحتى اليوم . ويوجد فى بابل ثلاثة أضرحة للأولياء: ضريح حزقيال النبى، وضريح عزرا الكاتب، ويهوشوع كوهين جادول»[1].

ومع تأثر الطائفة اليهودية فى العراق بالعادات والتقاليد الشرقية والاندماج فى صلب الثقافة العربية، كان للطائفة دورها ثقافياً وسياسياً، وحدث تطور فى بنيان الطائفة، من حيث العدد[2]، والنظام السياسي، والاجتماعي »، ففي عام ١٨٤٩، أصبحت سلطة الطائفة تحت إمره الحاخام باشى، الحاخام الرئيسى المعين من قبل السلطة التركية بتوصية الحاخام الرئيسى «للقسطنطينية». وفي عام ١٨٦٣م، تم إنشاء المطبعة العبرية الأولى ببغداد، حيث تم طبع صحيفة (هدوبير)، وفي عام ١٨٦٤ ، تم تأسيس مدرسة (كل يسرائيل حبريم) ببغداد، بداية للتعليم الحديث. وفي عام ١٨٦٦ ، طبع أول كتاب عبرى ببغداد، وطبعت صحف عبرية، وبمرور السنوات، تم طبع أكثر من ٥٠٠ كتاب

=ويحتفل اليهود بهذا العيد عن طريق الصلوات، والتطهر، وقراءة الوصايا العشر التى تتضمن مجمل القصيدة اليهودية. وقد اعتاد اليهود على فرش العشب فى المعبد والمنازل فى عيد الأسابيع، تخليداً لذكرى نزول التوراة. وقد شدد الحسيديم على هذه العادة بصفة خاصة. وكان الكثيرون يعتقدون أن هذه العادة عادة قديمة كذكرى للعلاقة بين عيد نزول التوراة وعيد بواكير الثمر. للمزيد راجع: الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢؛ الشامي، رشاد عبد الله (دكتور)، أبو المجد، ليلى (دكتور): التلمود ـ أصله وتسلسله وآدابه، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١١١.

(١)שטאל, אברהם: עדות ישראל, כרך, א, עם עובד 1978,עמ'204.

(٢)تطور الطائفة اليهودية بالعراق من حيث العدد، «في عام ١٨٦٠، سجلت زيادة غير عادية فى عدد اليهود فى بغداد، حوالي ٢٠.٠٠٠، وفى عام ١٨٨٤م، ٣٠.٠٠٠، وفى عام ١٩٠٩، سجلت ٥٠.٠٠٠، وفى عام ١٩٢٠م، سجل التعداد فى العراق ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ يهودى فى كل واحدة من المدن التالية:ـ الموصل، البصرة، الديوانية، وكان اليهود فى زيادة مضطردة فى العراق، حيث وصل عددهم إلى ١٥٠.٠٠٠ عام ١٩٤٥م. وبين عامى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١م كانت الهجرة الكبرى من العراق إلى إسرائيل، بمصادقة حكومة العراق ١٠٠.٠٠٠ يهودي، وبقى هناك ٥.٠٠٠ يهودى فقط، وفى عام ١٩٧٢م، بلغ عدد اليهود فى إسرائيل بالإضافة لمواليد من آباء من العراق حوالى ٢٤٠.٠٠٠. وحسب التقديرات فإن حوالى ٤٠.٠٠٠ من هؤلاء اليهود قادمين من كردستان العراق. للمزيد راجع: שטאל, אברהם: עדות ישראל, שם, עמ'277.

وكراسة في بغداد»[١].

وعلى قدر ما كانت الطائفة العراقية متمتعة بالتسامح في شتاتها، وهو ما أدى بها إلى هذا التقدم والسمو في جميع النواحي، كانت صدمتها القاسية في اللحظات الأولى لوصول أبنائها لإسرائيل، ومن هنا شعروا بالندم والحزن على ما كان لهم من مجد واحترام افتقدوه للأبد .

وهذا ما عبر عنه « سامي ميخائيل » في كتاباته الروائية.

فها هو يصف اللحظات المهينة الأولى مع وصول مجموعة من يهود العراق، وكان على رأسهم والده « شاهدت والدى من وراء السحب يرفع يده تجاه عامل الرش بالمبيدات (بودرة بيضاء)، وكانت تلك حركة احتجاج صامته حزينة، دخل المسحوق فمه المفتوح، من هول المفاجأة، وامتلأ شعر رأسه وشاربه، وأهدابه، بيضاء اللون، ورابطه عنقه الحرير، والقميص المنشى، والبدلة الممتازة بسحابات الرزاز، وكانت لحظة مهينة دون تحية استقبال بأية كلمة، وتصرفوا معه كما لو كان قادما على رأس قطيع من الحيوانات. تهيأ والدى لصراعه الأخير للمحافظة على احترامه الشخصى على وجه الأرض، ورفض العطس، وسالت الدموع من عينيه. بدت ملامح وجهه كخليط معذب سكير، وظهر كل شئ قبيحاً، قبحاً يؤدى للمرض، كما لو كان سكيراً تلقى ضرباً، ثم صعد والدى إلى الشاحنة، واستندت عليه والدتى، وتحركت بنا الشاحنة متهادية لمدة ساعتين، كانتا بمثابة دهر أو أبد الآبدين، وعلى باب المعبرة تم حشرنا في كشك كبير»[٢].

وتتكامل خيوط المهانة داخل المعبرة لحظة توزيع العمل على القادمين الجدد، فيقول: « تطلعت في البطاقة الخاصة بوالدى .... وقلت : لا يمكنك يا والدى القيام بهذا العمل .. قال: ما هو المكتوب ؟ تذكرت مكتب والدى ببغداد ... كان مدير حسابات يمسك الدفاتر، ويرأس موظفين، وتذكرت تعليماته للبستانى عندنا. اختنقت فى حلقى، قلت يا والدى هذا لا يخصك .... غضب والدى .... ما هذا؟ ..... العمل عبارة عن

(١)שטאל, אברהם: שם, עמ'278.

(٢)יער, אפרים, וליסק, משה, ושפירא, רינה: דפוסי חברה בישראל, מגמות ליכוד ופרוד, יחידה 43, האוניברסיטה הפתוחה, (תל- אביב 1983), עמ'18– 19.

إزالة الأعشاب الضارة من على جانبى الطريق بالفأس ...... تلعثمت ... طوى والدى بحرص البطاقة ووضعها في جيب سترته، كل حركاته محسوبة ... وتعبيرات حواسه كلها احترام»[١].

وفي رواية «فويجلمان»، يتساءل الشاب الشتاتى « إروينج» (نجل فويجلمان) - الذى ولد وتربى في الغرب، وينحاز للغرب وثقافته - عما رآه في إسرائيل، عند زيارته الوحيدة لها من أمور غريبة تتعلق بسلوكيات الإسرائيليين، وغرابتها بالنسبة له.

وتساءل، وأجاب نفسه .

هل هذا نابع من الوراثة ؟

في الواقع اليهود كثيرو الضجيج والصخب ،ولكن بداخلهم رعباً وخوفاً وخشية وحذراً تجاه الآخرين .

«من أين يأتى هذا التوجه للإسرائيليين ؟

طلب إروينج توضيحاً .

هل هذا نابع من صفحات اليهود الأسلاف ؟

لكن . لا . اليهود في الواقع كثيرو الضجيج والصخب.

ولكن تجاه الغرباء فبداخلهم رعب ربما خوف، أيضاً، أيا كان.... هل هذا خط خاص بالجيل الجديد الذى ترعرع هنا، على تلك الأرض ؟[٢] .

ويتساءل الشباب عن تلك المشاعر المتعلقة بالشباب الذين ولدوا وتربوا في إسرائيل، ووصفهم بالجيل الجديد (الجيل الصبارى)، حيث تربى على مبادئ الصهيونية وأيديولوجياتها .

ومن خلال الفقرة، يقول الشاب الشتاتى : على تلك الأرض ؟».

مشيراً للمكان بعد أن حدد الزمان، وهو الجيل الجديد. ومن خلال علامة

(١)יער, אפרים ואחרים: שם, עמ'29 – 31.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ'91.

الاستفهام، نفهم من ثنايا الحديث استنكاره، لتلك السلوكيات الشبابية الإسرائيلية على تلك الأرض، لأنها ليست أرضهم، ومن هنا، ينمو الرعب والخوف، وتصبح تلك الصفات غالبة لهذا الجيل الجديد، خشية وتحسباً، والخوف والتحسب من أصحاب تلك الأرض الحقيقيين، وهم الفلسطينيين.

وتعد ثقافة الشتات محل فخر واعتزاز وتمسك من قبل اليهودي الشتاتي، حيث يفخر «فيسبرد» أحد أبطال رواية «فويجلمان» بنسبه الشتاتي وبثقافته، أيضاً.

«ورداً على أسئلتي، روى بأنه » ورشائي (من وارسو)، وخلال سنوات الحرب، اشتغل في كازاخستان، وبعد ذلك في موسكو، وهناك نشر روايات ومقالات في «اينيكيت»، وفي «هيملاند»، ثم عاد إلى بولندا، وأقام بها حتى عام ١٩٥٦، وهناك نشر أيضا، في «ييديش شريقتين»، وفي «فيلكس شتيم»، ومنذ ذلك الحين - يوم أن رأى أنه ليس هناك أية مستقبل لمعيشة اليهود في تلك البلاد - أقام بباريس - ما كان لن يتكرر، لخّص أحاديثه، ولزم الصمت، وبعد تلك المرثية من الواجب الشراب، حاولت «هندة» إنعاش الجو، ورفعت كأسها، ولكن «فيسبرد» لم يلمس كأسه، وتوجه إليّ، وقال: أنا أعرف أنه يوجد أدب عبرى بإسرائيل، وأيضاً، أتذكر قليلاً من القراءة، يوجد عندكم معاهد، دار الأدب ومقاهي، يلتقي بها الأدباء، ولكن الذي كان في «وارسو»، قبل الحرب، لا شبيه له فى إسرائيل، ولن يكون له مثيل أبدا »[1].

تبرز الفقرة السابقة حياة طبيعية ليهودي في شتاته، حيث يبدأ حديثه بافتخاره بنسبه إلى «وارسو»، بقوله إنه من وارسو معبراً عن اعتزازه بمكان ولادته، ونشأته، وإقامته، وجذوره الأولى. ثم الحديث عن أسلوب حياته العادية، حيث يقوم بنشر مقالاته وكتاباته في مختلف الصحف والجرائد في دول مختلفة بالشتات. وفي عام ١٩٥٦ م، عندما ساءت الأحوال، وأصبح هناك قلق يخص مستقبل اليهود، لم يفكر في الهجرة إلى إسرائيل، وإنما توجه إلى فرنسا.

وعندما جاء دور المقارنة بين ثقافة الشتات، والثقافة والأدب في إسرائيل، اعترف بحجم الأدب الموجود على الساحة بإسرائيل، ووجود العديد من الأماكن الخاصة

(١) שם ואותו עמ' 113 - 114.

بالأدب والأدباء. ولكن في النهاية، لم يجد وجهاً للمقارنة مع أدب وثقافة الشتات، وخاصة فى «وارسو»، قبل الحرب، وأعرب بأسلوب قاطع، أن الأدب في إسرائيل لم ولن يصل إلى ما كان عليه الأدب في «وارسو» ، قبل الحرب.

وتحمل الفقرة إشكالية الهوية والانتماء، بصورة مؤكدة، وذلك في الخطاب الصادر من قبل اليهودي الشتاتي، بصيغة الخطاب في كلمة « يوجد عندكم، والمقابل لكلمة عندكم، هي كلمة: «عندنا» .

وهذا الأسلوب، يدلل على التباعد الثقافى بين الطرفين، حيث ذكر في الخطاب الأول : «إسرائيل»، وبعدها ذكر «عندكم» : ومن هنا يتأكد الانتماء الثقافى الشتاتى .

ومقابل التمسك بالشتات وثقافته، من قبل الكتاب والأدباء اليهود في دول شتاتهم، فى كل من شرق وغرب أوروبا، قبل الحرب، وبعدها، نجد الأدباء الذين هاجروا إلى إسرائيل، وخاصة أدباء الشرق، يصرخون من التفرقة، فنجد الأديب الشرقى «سامي ميخائيل»، يقول: «تبلورت لدى طوائف الشرق مسيرة مستمرة لازدهار الثقافة، التي تعبر عن جميع مستويات الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ولكن بالتأكيد، فإن أبناء وطوائف الشرق يعيشون ضمن الطبقات الدنيا فى إسرائيل. وهذا الوضع يتطلب أن يكون لهم سند أو حراس، وأنا أرفض الوصاية على طوائف الشرق، ولكن اليوم أبناء طوائف الشرق في حاجة إلى تحفيز هويتهم الإسرائيلية، فاليوم يوجد منهم قيادة ناضجة تضم مؤلفين إسرائيليين، وعلى مستوى الحياة . واستمرار وصفهم بهذا الاسم يمثل إهانة لهم، وحسب ذلك تكون بمثابة إهانة للأديب « أهارون أبيلفلد»، إذ أطلقوا عليه لقب أديب بولندى، ولكن طوائف الشرق يجب أن يكون لهم فخر بإسرائيل، وتلك خطوة جديدة تعتمد على الماضى والالتزام به دون المساعدة. وقد ازدهرت هنا فى إسرائيل إنجازات القيادة الصغيرة خلال صراع مرير مع الماضي، والواقع فى دولة إسرائيل»[١].

ولم يقف الأديب الطائفى الشرقي «سامي ميخائيل»، مكتوف الأيدي تجاه التفرقة الطائفية فى المجتمع الإسرائيلي، مكتفياً بعرض وجهة نظره من خلال عرضها فى رواياته

(١)חמו, דוד, שם, עמ'5.

وأعماله الأدبية، ولكنه « خرج بحملة ضد التنظيمات الطائفية، وذلك في مقابلات صحفية، علاوة على النيران التى أضرمها في مسرحية « شياطين في السرداب»، حيث أشعل النقاش حول النزاع الأشكنازى الشرقى الذى ساد إسرائيل، في السنوات الأخيرة، فهو عضو سابق في الحزب الشيوعى، وذكر أن التنظيمات السياسية لطوائف الشرق، بالضرورة لن تقف فى مجابهة الديمقراطية لتصل بالدولة إلى التقهقر. وقد تصدى له «رفابن شوشان»، وهو عضو بمركز «تامى»(١)، حيث نفى وجهة نظره، وادعى بأنه مطلوب فحسب، حركة تحرير شرقية تغير وجه طوائف الشرق. فقد وصل تناولهما الاجتماعى المتعارض لحد التعبير بالمواجهة، وبالتالى أدت بهما بالضرورة لاتجاهات مؤثرة، ومختلفة، ومتعارضة، يجب التسليم بها؛ لأنها تمس صلب الحياة الجماهيرية»(٢).

وعلى الرغم مما تبذله الصهيونية من جهود لتجميل إسرائيل في نظر الشتات، والأساليب المختلفة لجذب يهود الشتات، نجد في المقابل تمسك الشباب بالشتات لدرجة تصل إلى حد التنصل من اليهودية ذاتها.

وهاهو «أروينج» نجل فويجلمان، في رواية «فويجلمان»، يؤكد على ذلك:

«حكى لي والدي بأنك تدرس التاريخ اليهودي، ثم أهتم بتلك الفقرات التى تهمه، وبالموضوعات أيضاً، وبطريقة أو منهج البحث بالنسبة لى؟

قال أربيل (مدرس التاريخ)

وعند إجابتى، وجدت أذناً صاغية. وكان يحرك رأسه في أعقاب كل فقرة كدلالة الموافقة.

وعندما أنهيت حديثي، احتضن أكتافه بذراعيه الطويلتين، كما لو كان يخشى نزلة برد.

---

(١)هو أحد المراكز المعنية بدراسات الشرق الأوسط، حول السلام وتوجهات إسرائيل فى علاقاتها مع العرب والفلسطينيين، وهو من المراكز التى استحدثت بعد حرب السادس من أكتوبر، وخاصة بعد اتفاقيات السلام التى عقدتها إسرائيل مع مصر، وهو تابع لجامعة تل أبيب. للمزيد راجع، Palestine – Israel journal of political economics and cultural education, (Tel-Aviv1998), p.1.

(٢)חמו דווד|שם 500 .

وقال: «من أجلى، ومن أجل الحقيقة كل هذا لا يقال كثيرا» .

يصعب عليّ القول بأنى أشعر في قرارة نفسى بأننى يهودى، علاوة على الأصل، كما هو واضح أمر لا يتعلق بى.

وعندما التزمت الصمت، رأى أنه من الواجب أن يوضح، إن النزعة القومية هى أمر مستوحى من الشعور المشترك.

إنه يشعر بتعاون كبير – روحى وربما نفسى – مع أستاذ يابانى، حيث إن نظرته الفلسفية قريبة لما عنده، ولا يشعر بمشاركة ما على الإطلاق مع صاحب متجر يهودى من «فلعصيل» بباريس»[1] .

وهناك نموذج متطرف جدا بينه وبين دكتور ألمانى شاب منطو على نفسه، رقيق الروح، إذ إنه يكثر من لقائه، حيث تعرف عليه في أكسفورد. اندلعت حرب نفسية كبيرة جداً بينه وبين أخته «مثورليان»، حيث لا توجد لغة مشتركة بينهما[2] .

تفرز الفقرة السابقة :-

* التاريخ اليهودي لا يرقى إلى الحقيقة.

- السرد التاريخي اليهودي والموضوعات الملفقة به لا تستحوذ على اهتمام شباب الشتات.
- الشاب الشتاتى يعرف أصوله اليهودية على الأوراق، ولكنه يفتقد الشعور بيهوديته.
- النزعة القومية لا تحدث من خلال أوراق تثبت الأصل، ولكن من خلال شعور مشترك.
- أفكاره ومشاعره تتقارب مع الغرب موطن ولادته ونشأته، وربما مع عالم يابانى يشاركه الفكر.

---

(١)חמו, דווד, שם, עמ'5.

(٢)שם, עמ'93.

- لا يجد قاسماً مشتركاً مع أى تاجر يهودي، أو أي يهودي لمجرد أنه من أصل يهودي.
- الأصل عند الشاب في التوافق من خلال لغة وفكر مشترك، وهو كيهودى شتاتى غربى يجد هويته به، وليس كيهودي من الواجب عليه الاتجاه صوب إسرائيل، وكل من يحمل هوية يهودية حسب ما تخطط له الأيديولوجية الصهيونية .

وإذا ما فحصنا وجهة نظر الكاتب حول الشاب اليهودي، ونشأته الغربية، ورفضه لليهودية، لوجدنا أن تلك التوجهات والأفكار يحملها الشاب «الصبارى» في إسرائيل، ومن هنا نجد أن الكاتب يقبل «صبارية» شباب إسرائيل ويسلم بصفات الشاب الشتاتى التى تماثلها ولكن في الغرب، وكلاهما يتمسك بفكره ومكانه، ويشتركان معاً في رفض اليهودية.

«إن دراسة وثقافة البروفيسور « تسفى اربيل» (أحد أبطال رواية «فويجلمان»)، أهلتُه، منذ طفولته لأن يعطى ظهره لليهود في الشتات، ولعالمهم الروحاني، وتعلم فحسب، أن يكون صبارياً. مفهوم الصبارية وفقاً لمفهوم والده (والد تسفى اربيل) الأثرى، كان هو الابتعاد عن كل ما هو يهودى ويهودية، وما يمثلهما (أراد أن يصنع منى رجلاً عبرياً)» [1].

حتمية الصراعات بين اليهود :

وعلى غرار ما يدور في إسرائيل، في الوقت الراهن، من صراعات سياسية، وطائفية، ودينية، يرصد «أهارون أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» حالة متشابهة لمجموعة من اليهود على مختلف انتماءاتهم، يعيشون في سرداب في أرض الشتات، وفي ظروف قاسية بما بينهم من الخلافات والتناقضات .

«نحن نقضى الليالى في سرداب « هونيج»، وعندنا إحساس بأن أيامنا هنا معدودة، وعما قريب لن نكون هنا.

وهناك عيون أخرى تتطلع وتندهش من الحياة التى ولت، ولكن في الوقت نفسه،

(١)אורן, יוסף: הצבר, שם, עמ' 24.

ومع كل هذا، نتناقش ونعرض أمور صعبة .

شيوعيون ضد رجال البوند[1]، وصهيونيون شموليون ضد أعضاء الحارس الصغير (هشومير هتساعير) .

وعبثاً يحاول «هونيج تهدئة الجو ».

ماذا نفعل : إن المشاعر التى كانت محبوسة لأيام كثيرة خرجت من مخبئها، وتعجبت «ايده»، وقالت : هذا سرداب مدهش .

فى أى شيء ؟

فى كل ما وجد هنا.....

المناقشات .....

لا . الحركة، والأسلوب، والحلم .

أنا أخشى من مشاعرها (متقلبة)

إنها كل يوم تنفصل عن قسم وتنضم لآخر في السرداب .

لقد قالت لى بالأمس: هناك شيوعيان على الناصية أذكرهما على الدوام .

ماذا فيهما ؟

الاستقامة المدهشة.

جذبتنى «ايده » إلى مشاعرها

وهنا ومن واجبى أن اعترف، ممر لمدركاتي، فذلك سرور وجروح بالنسبة لى .

---

(١)البوند: هم اليهود حاملو لواء التعصب ضد الثقافة العبرية. وقد جروا في أعقابهم عددا لا بائس به من أدباء العبرية، وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا متحفظين ضد الصهيونية وقد كان تمسك البوند بلغة اليديش، طبيعياً، في حد ذاته، وأدى إلى خلق نظرية عن اليديش باعتبارها ملازمة مخلصة للنضال من أجل تحسين حال اليهود في الشتات . للمزيد راجع: الشامى. رشاد (دكتور) تطور وخصائص اللغة العبرية القديمة، المرجع السابق.

قالت لي في المساء : كل ما نراه الآن يمر ويحزننا .

ويستمر، رغم أنه ستر عنا، ومع يوم وصوله نعود وندرسه .

وماذا نجد ؟

نجد أنه لا شيء قد ضاع»[١].

«الطائفة اليهودية في رواية «حفرة الثلج» طائفة حديثة تضم كل التيارات السياسية، والحياة، والانحطاط، من «**השומר הצעיר** الحارس الصغير» وحتى «بيتار **בית"ר**» قوة الرعب، الجميع يتنازعون بينهم وبين أنفسهم هم يكرهون من ؟ ألم يكن المتدينون ألم يكونوا مضطرين للمحافظة على الوصايا في السر: جميعهم يجدون السبب لاتهامهم بالطبع. بما حدث، البعض يتهمونهم بما أنضج تعصبهم ومحافظتهم على أمور قديمة منعت اندماج اليهود، وحيال المذابح ومعادة السامية، البعض يشكون في صحة إخلاصهم بالطبع بغرض إنقاذهم، لذلك كرهوهم، الرغبات، الأحلام، الكبرياء، والرغبات تبدو كتلك التى عند أشخاص، في الوقت الراهن، ولكن نجد هنا عدم النجاح في التغلب على المصاعب، ونجد الأقوياء المكسورين والمضطهدين، وفي نهاية الأمر، الإبادة»[٢] .

لقد استطاع « أهارون أبيلفلد» أن يرسم صورة مصغرة في الشتات، تمثل دولة إسرائيل، في وضعها الحالي، من حيث الشكل والمضمون، فيما يتعلق بالصراعات الإثنية:-

أ- الشكل : عبارة عن مجموعة من الأشخاص يعيشون في سرداب تحت ظروف صعبة، ترمز إلى تواجد دولة إسرائيل في قلب الشرق الأوسط على اتساعه، وهى على صغر حجمها، وعظم نزاعاتها وكثرتها، ضد أصحاب الأرض الحقيقيين، وجيرانها من العرب .

ب- المضمون : الانقسامات والاختلافات المذهبية، ما بين دينية تمثل العلمانيين

---

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ'67.

(٢)יוסף, יעקב: סקרנות של סוציולוג, אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, כל בו חיפה, 9/ 8/ 1977, עמ'8.

ضد المتدينين، والسياسية بين الشيوعيين والصهيونيين، ومنظمات الأحزاب اليسارية واليمينية، على نحو ما هو سائد الآن، من تلك الصراعات داخل المجتمع الإسرائيلي.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أشار أبيلفيلد إلى التقلبات السياسية، وعدم الثبات على مبدأ معين في السياسة، والتقلب من اتجاه لآخر، من خلال تقلب إحدى الشخصيات في الرواية من اتجاه لأخر داخل السرداب، وهو ما يعطينا الانطباع في الوقت الراهن، من صعوبة خروج قرار حكيم من قبل القيادات الصهيونية؛ لأن القرار مصدره إحدى الشخصيات التى أفرزتها تلك الموروثات من الشتات، وحتى قيام دولة إسرائيل .

«على العكس من روايات كثيرة كتبها الناجون من أحداث النازية، عرض «أبيلفلد» التجارب القاسية التى عاشها هو والمعتقلون، ليس فحسب، في الحياة اليومية، ولكن من خلال الصراع النفسى، فمن الممكن القول بأن المؤلف تناول مجموعة من الإسرائيليين المعاصرين مكونه من الحريديم، ومسرحيين من الجيش، سكان المدن القديمة والجديدة، وفحص ببحث اجتماعى كيف كان هؤلاء في تجاوزهم لأحداث النازية، ورسم «أبيلفلد» صوراً وأشكالاً تمثل شريحة اجتماعية قائمة اليوم، وهذا هو التفرد في الرواية »(١).

وكما عرض « أهاورن ميجد » في رواية «فويجلمان » تنصل الشاب الشتاتى «اروينج» من يهوديته، عرض كذلك « أهارون أبيلفلد» في رواية « حفرة الثلج» الشيء نفسه، ولكنه رده لجيل أسبق، وهو جيل الآباء الذى تنصل من يهوديته وجذوره :-

«روى لى صديق روحى الآن « هونيج » عن والدى وأسرته، وقال: هناك كثيرون تمردوا على آبائهم، ولكن تمرد والدى كان من الصعوبة والتطرف، حيث قطع كل الروابط من جذورها، ومع الأسف، توسلوا إليه للتصالح مع والديه المسنين، ولكنه رفض(٢).

ويعرض تنصل إحدى بطلات الرواية، أيضاً، من اليهودية بعدم التمسك بأحكام

(١)שם, עמ'8.

(٢)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, עמ'10.

الطعام الحلال (الكشيروت)، وهى والده شخصيه «ايبده» (رواية حفرة الثلج) [١].

«لم تتوقف والدة «ايبده» عن الحلم، مخاوف قديمة ومحن اليـوم متداخلـة عنـدها، دون فصل. والآن، تشغلها أمور الكشيروت، وهى نادمة لعدم سماعها نداء والدتها، ولم تتمسك (بالكشيروت) [٢].

وهكذا عرض كل من ميجد وأبيلفلـد في الـرواتيين «فويجلمـان» و «حفـرة الـثلج» الانفصال عن اليهودية، وجذورها لشباب في الشتات، وأيضا لجيل الآباء وكان العرض بـدءاً بالانفصـال التـام عـن اليهوديـة، ووصـولاً إلى عـدم التمسـك بأصـول الشـريعة «الكشيروت»، وهى صفة مخففه للعلمانية أو الإلحاد، وخاصة عند أبيلفلد حيث أعرب عن ندم وعدم رضا من قبل تلك الشخصية.

ويستمر « أبيلفلد» في رواية « حفرة الثلج» في عرضه لمظاهر الإلحـاد والعلمانيـة في الشتات، من خلال حوار بين ملحد ومتدين، أو بين علمانى ومتدين، مع محاولة إصدار أسباب لعدم تمسك بعض اليهود بالدين هناك، وذلك لعرض الواقـع بوجـود الطـرفين المتناقضين والمتصارعين في الشتات، على غرار الحادث، حالياً، بإسرائيل .

«صحيح. لكن نحن لا نطلق على أنفسنا متدينين، ولكن عابدى الرب .

هذه التسمية غير مفهومة بالنسبة لى .

لماذا يجب علينا أن نعبده ؟

- من حيث إنه واحد ووحيدن ولا يوجد سواه .

أقصد أنه يفعل ما يريد .

صحيح

لماذا يعذبنا ....

(١)لليهود حسب شريعتهم طقوس شديدة التعقيد فى الطعام والذبح قد لا توجد عند غيرهم من أصحاب الملل والنحل، فعدا أن طعام غيرهم محرم عليهم، فإنهم متشددون فى قوانين الطعام فيما بينهم. للمزيـد راجـع، الزرو، صلاح، المرجع السابق، ص٤٦٦ - ٤٧٠.

(٢)שם, עמ'61.

تلك المسألة لا يجدى أن تتوجه بها إليّ .

فمن ناحيتى لا يمكن أن أجيبك على تلك المسألة بشىء

- من أسأل ؟

- تسأل الرب.

وأنت لم تسأله؟

أنا لا أحبذ السؤال.

ألم تسأله ولو مرة؟

لا

قال الهارب: هذا ممر لاعتراضى. ثم سكت.

جلسنا وأنصتنا دون كلام»(١) .

كانت تلك فلسفة الملحد في ابتعاده عن الدين وعن الرب، لدرجة عدم السؤال الاعتراض على الرب، حيث إنه يفرض العذاب».

ربما قصد المؤلف من كلمة «يعذبنا» ما جرى في الشتات، في فترة أحداث الرواية، إبان الحرب العالمية الثانية، وما تعرض له اليهود (حسب أحداث الرواية) من عذاب، ومشاق، وصعاب في معسكرات العمل النازية .

ومما يؤكد ذلك ما أورده «أبيلفلد» في الفقرة التالية، حيث يرجع عدم التمسك بالدين، في تلك المرحلة، في الشتات إلى الحياة الصعبة في المعسكرات.

«رأيت في حلمى الحاخام «شحيتان» عندنا .

من البداية، رأيت أبناءه الأقوياء الذين وقفوا في المقدمة، وفحصوا كل الداخلين.

وبعد ذلك شاهدت الغرفة الصغيرة المضاءة بشمعتين .

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ'183- 184.

ظهر لى الحاخام نفسه قصير جداً، على عكس ما عرفته .

فجأة، توجه إلىّ الحاخام، وسألني :

ما الذى تعلمته كما وعدتنى أن تتعلم ؟

سيدى الحاخام : كنت في معسكر العمل ....

ألم يصادفك هناك متدينون (عباد الرب)

صادفونى ..

ولكن حياتنا هناك لم تكن حياة ....[١] .

ويتأرجح المؤلف في رواية «حفر الثلج» بين الإلحاد المطلق والإيمان التقليدى، وذلك من خلال شخصية «هونيج» المسؤول عن السرداب الذى يضم مجموعة من اليهود على مختلف توجهاتهم، حيث يموت منتحراً بعد أن عاش طوال حياته ملحداً، وفي لحظاته الأخيرة، وهو يفارق الحياة، يصرح بإيمانه وتدينه الموروث .

«فتح » هونيج « عينيه وقال: نحن مؤمنون أبناء مؤمنين، ونعرف أن الحياة ما هى إلا ردهة يأتى بعدها الاستقبال في مكان الاستقبال

الموت خداع وكذب .

كان في صوته قوة جبارة .

على غرار رجل ليس فحسب، في لحظات ضعفه، ولكن أيضاً، في إلحاده غير المعقول في شبابه، حيث تمكن منه وسيطر عليه، سنوات طويلة»[٢] .

أفرزت الفقرات السابقة عدة قضايا تتعلق بالصهيونية، ومن أبرزها وسائل الترغيب فى الهجرة من الشتات، ثم المجهودات الكبيرة في عملية الصهر والذوبان في المجتمع الإسرائيلي المكون من مختلف الثقافات من شتى دول العالم. وقد ظهرت بوضوح

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ' 123 -124.

(٢)שם, עמ' 189 -190.

صعوبة تحقيق ذلك على أرض الواقع، مما يبرهن على فشل الصهيونية في واحدة من أهم مقوماتها الأيديولوجية .

الهجرة لإسرائيل وشروطها المادية :

وفي الفقرة التالية فى رواية «فويجلمان»، يناقش «ميجد» عملية الترغيب لهجرة واحد من يهود الشتات، وهو (فويجلمان)، حيث يكتب أشعاره باليديشية، ويقيم في فرنسا، وعلى الرغم من الاغراءات التى تلقاها من «صبار إسرائيلي»، فإنه يرفض ويبدى أسباب رفضه، وهى في الغالب تحقيق مكاسب جديدة في إسرائيل. وهذا هو الفيصل عند المهاجرين أصحاب المال، والأعمال، والفكر الذين يسعون لتحقيق مكاسب أكثر مما هم فيه، وإلا فالهجرة مرفوضة، والبقاء في الشتات أفضل.

«قلت له إن الباب مفتوح أمامه (إسرائيل)

وعلى هذا النحو عليه الإسراع بمغادرة باريس، وجمع متعلقاته، والمجيء إلى هنا .

غطت وجهه غمامة سوداء .

قال : نعم . لكن كيف ....؟

ومن هنا يعرف من أنا .... مجهول .....

ابن بلا اسم ......

قلت: يوجد هنا (فى إسرائيل) جمهور كبير من قراء الييديش، وكُتَّاب الييديش، ودارسو الييديش، وأشفقت على خجله ......

أهمل أقوالي، وقال : من بين جميع أدباء الييديش، يوجد اثنان أو ثلاثة معروفون للجمهور العريض المثقف، ويحظون باحترام كبير، وعلى هذا الأساس ترجمت أعمالهم للعبرية .

ترجم أنت أشعارك للعبرية .

من ؟

نظر إلى بتحد، وقال : من يترجم ؟

خبت الزرقة التى في عينيه، وعمت ملامح وجهه سحابة من الحزن والإهانة.

وحكى أنه منذ عدة سنوات ترجمت له قصيدة للعبرية، ونشرت في ملحق أدبي يصدر في إسرائيل .

وبعد حوالى شهر، أرسل له أحد معارفه – حفظنى الله من أصدقاء كهؤلاء – أن الصحيفة التى نشرت نقداً عن هذا المحلق، قررت أن قصيدته نفاية حقيقية»[1].

وتستمر المناقشات بين الصبار الإسرائيلي «أربيل » والشتاتى «فويجلمان»، حول الهجرة لإسرائيل، وهنا نرى حرص الكاتب «ميجد» على إظهار نجاح المجهودات والمغريات الصهيونية في إقناع اليهودي الشتاتى، الشاعر البيديشى «فويجلمان » بالهجرة لإسرائيل، ولكنها كما عرضنا من قبل هجرة مشروطة بالمنفعة، وهى هنا بالتحديد، ترجمة ديوانه البيديشى للعبرية في إسرائيل، وذلك قبل شروعه في الهجرة .

«ها هو قد ارتكن بجوارى هامساً، كما لو كان يكشف عن سر :

وقال : عندى موضوع محدد، سأتوجه لإسرائيل للاستقرار، بشكل دائم.

وبعد أن هنأته على ذلك، قال: ليس حالياً، لكن بعد أن ينشر كتابى هناك بالعبرية .

قلت : رأى صائب، من الضروري أن الكتاب يسبقه هناك، لكن من الذى سيقوم بالترجمة لي، رب العالمين بسط يديه، وأنا لا أعرف أحدا من المترجمين هناك .

أكدت له أنه عند عودتى لإسرائيل (هناك) سأهتم بالموضوع، وأبلغه

هل تهتم يا هيرش ؟ صوب عينية تجاهى.

في تلك الأثناء كانت المائدة قد أعدت، ودعينا للجلوس عليها.

قدمت «هند» طعاماً يهودياً بسيطاً على المائدة : شرائح كبد وحساء دجاج مع مكرونه، فراخ طازجة مع جزر بالزبيب، برتقال، وبرقوق، وفطيرة. فتح فويجلمان زجاجة خمر فورت، وهنأنا بعضنا البعض، مع رشفات الشوربة الساخنة التى يملأ وجهها حلقات الدسم الذهبية. لقد عشت في بولندا، وليتوانيا، ، وأوكرانيا على مدى

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'69.

خمسين عام، من قبل، بعيد جداً عن باريس»[١].

إن «فويجلمان» اليهودي الشتاتى الذي عاش خمسين عاماً في مختلف دول الشتات، لم يفكر فى الهجرة لأى سبب صهيونى، كالارتباط الروحى بفلسطين، ولكن بغرض الفائدة فحسب.

« قدمت رواية «فويجلمان» لقاء الصبارية كبداية جديدة بصدق مثالى، وقدمت «فويجلمان» كممثل للشعب اليهودي بكل عصوره . أساس نجاح «ميجد» في تصوير ملامح «فويجلمان» ليس فحسب، لأنه يملك بيوجرافيا شخصية، ولكن أيضاً، بشكل شخصيته التى تعرض العلامات المدهشة للشعب اليهودي»[٢] .

وهكذا تعبر شخصية «فويجلمان» عن غالبية يهود الشتات الذين جرتهم الصهيونية إلى فلسطين، وروجّت أيديولوجيتها القائلة بالأرض الموعودة والارتباط الروحى. ولكن لم نجد شيئاً من هذا في تلك الرواية، التي أشار النقاد اليهود إلى أن بطلها يمثل الشعب اليهودي، وكانت المنفعة من وراء الهجرة هى الدافع الأول لمغادرة الشتات .

وإذا كانت شخصية «فويجلمان» تمثل الشعب اليهودي في الشتات، حسب رأى نقاد الأدب العبرى المعاصر، فبناء على ذلك، فإن هجرة يهود الشتات قد اجتذبتهم وعود الصهيونية، فنجد أنهم إما :-

أ- أصحاب فكر أو مال، ويرغبون في المزيد والاستثمار.

ب- فقراء يعانون الكساد، ويرغبون في تحسين أحوالهم في فلسطين،

والقسم الثالث فضل البقاء في الشتات .

« إن معظم القادمين الحاليين من اليهود وفدوا على إسرائيل مفلسين، يمتلكون القليل، أو لا يتملكون شيئاً، على الإطلاق، ليبدءوا به حياتهم الجديدة، وعلى الخصوص أولئك الوافدين من شرق أوروبا، وكذلك من منطقة الشرق الأدنى، وأكثر من ذلك فإن المهاجرين اليهود الذين كانوا في معسكرات السخرة والموت التى نصبها النازيون لهم،

(١)מגד, אהרון: שם, עמ' 107- 108.

(٢)אורן, יוסף: הצבר, שם, עמ'24.

والذين قدر لهم البقاء أحياء بعد العهد النازى – هـؤلاء قـد اكتسبوا صـفات فرضتها ظروف المعسكرات التى عاشوا فيها معركة «الكلاب التى تنهش بعضها بعضا من أجل البقاء»، على حد تعبير الكاتب ليرمان «Dog Eat Dog For Survival»، فبعضهم قد أصبح وحشى الطباع، على حين أن بعضهم الآخر أصبح متبلد الشعور، فاقد الإحساس، مضطرب الشخصية، مجرداً من الدوافع أو روح المبادرة للعمل ، غير قادر على استعادة حيويته، دون رعاية طويلة وصبورة»[1].

تعدد الهويات الوافدة من الشتات، وفشل الصهر والاندماج:

وفي موضـع أخـر فى روايـة «فويجلمـان» يرصـد «ميجـد» موضـوعين مـن أهـم الموضوعات التى تهمنا في دراسة المجتمع الإسرائيلي، في الوقت الراهن[2].

أولهما. البنية الأساسية التى تشكل هذا المجتمع، وهى عبارة عن خليط غير متجانس وافد من مختلف دول الشتات، بمختلف الثقافات والهويات، ومن هنـا، تـأتى صـعوبة الصهر في بوتقة واحدة، حسبما تريد الصهيونية.

وثانيهما، هو أكذوبة نقاء الجنس اليهودي على مدى التاريخ.

«توسطنا جسر هسيينه، وفي الطريق رويت له حسب رغبته، عمـا جـرى في المـؤتمر الذى عقد في ستراسبور .

رويت له عن محاضرة لأستاذ غير يهودى من جامعة أوفسيله بالسـويد، فقـد كتـب بحثاً مهماً حول التاريخ اليهودي القديم، وفي محاضرته أراد تفنيـد الـرأي حـول واقـع الجنس اليهودي، وذلك من بدايات نشأته عـلى مـدى التـاريخ، العناصـر الغريبـة التـى تداخلت به، وهوية السواد الأعظم ونشأته.

وهكذا ؟

توقف فويجلمان.

(١) Franklin, D. Scott., World immigration in modern times. (U.S.A 1968), Israel melting pot.

(٢) هال ليرمان، الهجرة العالمية فى العصور الحديثة بوتقة الصهر الإسرائيلية، عرض (الدكتور) على البنا، مجلة السياسة الدولية(٣٢)، ص١٨٣.

وهكذا نسلم بأنه صادق ....

حيث إننا جميعاً خليط من الناس...

إذن ما هى نتيجة هذا ؟

ماذا يغير هذا ؟

هل تعرف ماذا قال ؟ كيف أصبحنا؟

اليهود كارثة عائلية .... كارثة عائلية

ضحك بصوت عال .

هذه كارثة عائلية بالنسبة لي، أما عندك، فلا»[1].

وحول قضية إمكانية صهر اليهود الوافدين من مختلف دول الشتات في بوتقة واحدة، كتب «هال ليرمان» تحت عنوان (بوتقة الصهر الإسرائيلية) (Israel melting pot)، في كتاب تحت عنوان « الهجرة العالمية في العصور الحديثة »، والكاتب وقد عايش اليهود المهاجرين إلى إسرائيل، ورأى بنفسه أبعاد الهجرة اليهودية، وما ترتب عليها من مشكلات حضارية، وثقافية، واجتماعية معقدة، خلقها التيار المفاجئ والمتناقض للعناصر اليهودية المتدفقة على أرض فلسطين من مختلف دول الشتات، حيث يقول: «إلى جانب الاضطراب والارتباك الذى سببه عدم اندماج وانصهار العناصر المهاجرة، فثمة أيضاً، فوضى الأصول القديمة، إذ إن هناك ما لا يقل عن إحدى وستين جنسية ممثلة في أفواج الهجرة اليهودية الوافدة إلى إسرائيل، وهذا في حد ذاته قد حوَّل إسرائيل إلى وعاء احتوى مثل هذه « الخلطة» التى لا يوجد مثلها في أى دولة في العالم. وهذا السيل المتدفق الذى دفع إلى فلسطين بشتات من العناصر البشرية من كافة جهات العالم، وقفت أمامه الأرض الفلسطينية والمجتمع الإسرائيلي عاجزين عن استقبالهم، ودمج هذه الوفود المتناقضة المتنافرة، وصهرهم في حياة واحدة مما فرض بالضرورة مشكلات متعددة بالنسبة إلى الاستقرار الاقتصادى، والعلاقات الاجتماعية داخل

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'105.

إسرائيل »[١].

وفي رواية « حفرة الثلج » هناك إشارة لهجرة الشتات اليهودي لقلة فقط منهم على مختلف نوعياتهم، حيث إن المؤلف «أهارون أبيلفلد» «لم يصف ضحايا فقراء وأتقياء، تماماً، أو مجرمين، تماماً، ولكن أقوياء، وضعفاء، وضحايا، ولصوص، ومحاربين، وتجار، وفلاسفة، جميعهم سويا أو فرادى كل على حدة. يحاولون النجاة من الصحراء الكبرى للشتات وفحسب، قلائل – بقية الانطلاقة – يخرجون في كل العصور من مصر»[٢].

«و يعزو «باروخ كيمرلنج» (أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية) المأزق الذى تواجهه إسرائيل بوجود هذه التركيبة المتنافرة، إلى ما يحمله المجتمع من عناصر التحلل والانتحار، وافتقاره إلى التجانس الطبيعى، لأنه مجتمع قام على عنصرين مصنوعين أساسيين، ومازال يعتمد عليهما فى نموه وهما، الهجرة والاستيطان، لذلك يعانى هذا المجتمع أزمة شرعية الوجود، لقيام هذا الوجود على عناصر غير طبيعية. وهذا الوضع يدفع إلى إفراز عقدة الخوف، وتكريس الالتجاء إلى العنف فى تثبيته وإثباته، وبالتالى الاعتداء المستمر على الفلسطينيين، ومعاملتهم بوحشية متخلفة، باعتبارهم سبب البلاء الذى تعانى منه إسرائيل، رغم أنهم أبرياء من هذا الاتهام، ذلك لأن الآفة الحقيقية التى يعانى منها المجتمع الإسرائيلي، هي عجزه عن الانصهار الكامل لمكوناته، وبقائه مفككاً مفتقراً لجوهر الفكرة الصهيونية»[٣].

ويعتبر قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين النار التى أوقدت الحرب داخل صفوف اليهود فى شتاتهم، وفى دولتهم، مما يؤكد فشل الصهيونية فى إمكانية تطبيع اليهود وصهرهم، «وكانت محرقة النازية لليهود فى أى صورة من صورها الحقيقية أو الوهمية، دليلاً على فشل الصهيونية فى تحقيق هدفها، أى تطبيع «الشعب اليهودي»، ثم قامت إسرائيل لتقدم الدليل الثانى على هذا الفشل، ولكنه الدليل المتشعب والمولِّد

(١)هال ليرمان، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢)שקד, גרשון: אהרון אפלפלד, סדרת צד החפר, הארץ 27/ 7/ 1994, עמ'9.

(٣)المجدوب، طه: انكشاف التوازنات المصطنعة فى المجتمع الإسرائيلي، إسرائيل والمشروع الصهيونى(٣)، الأهرام، تحقيقات وتقارير خارجية، جريدة الأهرام، ٤/ ٢/ ٢٠٠١، ص٦.

لعدد من الأدلة الفرعية المتعددة، كان قيام إسرائيل فى حد ذاته أهم عقبة فى تطبيع اليهود، لأنه قسَّم اليهود بين إسرائيليين ويهود شتات، ولن يكون اليهود شعباً طبيعَياً إلا إذا انتفت إحدى الصفتين»[1].

ويشير إلى ظاهرة عدم الصهر فى المجتمع الإسرائيلي «شلومو بن عامى» (أستاذ بجامعة تل أبيب)، بقوله: «إن هذا المجتمع الذى أنشأه الآباء المؤسسون من الصهاينة على أن يكون بوتقة صهر تمتزج فيها مختلف الثقافات واللغات، تحول إلى مجتمع متعدد الأعراق، ومتعدد الثقافات، ومتعدد الطوائف. لقد تغيرت وتفتت الصورة الأسطورية المأمولة لتحل محلها صور أخرى عديدة لكل منها شرعيته .... بين اليهودي والعربى، والمتشددين دينياً (الحريديم)، والقوميين الدينيين (جوش إيمونيم)، والتقليديين، والعلمانيين، وغيرهم ممن تمتد جذورهم إلى أصول عرقية مختلفة، مثل السفاراديم، والأشكنازيم، والمهاجرين الروس، والأثيوبيين وغيرهم. وقد أدى هذا التفتيت للصيغة الإسرائيلية إلى تشرذم المجتمع بين ثقافات وطوائف مختلفة، ولهجات متباينة، وبين مواقف متصارعة تجاه صورة الدولة اليهودية، ويرى «بن عامى» أن هذه الانشقاقات تؤهل لحدوث انفجارات عنيفة داخل المجتمع»[2].

ويعتقد الصحفي اليهودي المغربي المولد، «جفرون دانيال» (أحد مؤسسى حركة الشرق من أجل السلام)، بأن اليهود الشرقيين قد اضطروا لاتخاذ موقف سياسى أكثر صقرية، وهو أمر غريب عليهم، بسبب الشعور بالنقص، ونظراً لأن الأشكنازيم ينظرون إلى اليهود الشرقيين كما ينظرون إلى العرب، فقد تبنى هؤلاء مواقف متطرفة ضد العرب، لإثبات مصداقيتهم للصهيونية، وأنه عند استعادة اليهود الشرقيين لكرامتهم فى تقاليدهم الحضارية، فإنه سيكون بإمكانهم أن يشكلوا جسراً إلى العالم العربي»[3].

كذلك فإن «وضع اليهود الشرقيين فى الكنيست ليس أفضل حالاً من المناصب الأخرى، وأن نسبتهم التى لا تتجاوز الخُمس، في أكثر الأحيان، لا تجرؤ حتى على المطالبة برفع التمييز الذى يعانى منه اليهود الشرقيون، إلا بالقدر الذى تسمح به

(١) مطر، جميل: تطبيع اليهود، قضايا وآراء، الأهرام، قضايا وآراء، ٢/ ٦/ ١٩٩٧، ص١٠.

(٢) الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية، المرجع السابق، ص٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٦.

الأحزاب التي ينتمون إليها. ويقول عالم الاجتماع «يوحنا برس» :«إن الطوائف الأشكنازية هي التي تقرر من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست، والهستدروت، واللجنة التنفيذية الصهيونية. إنها عملية اشتراك وليست عملية تمثيل، فإذا ما تجرأ أحدهم (ويقصد اليهود الشرقيين)، وشق عصا الطاعة، ممن الممكن تغييره بسهولة». وهذا ما أدى فعلاً إلى سيطرة اليهود الغربيين على معظم المرافق الاقتصادية، والاجتماعية، والمراكز السياسية، مما أدى إلى خلق فجوة واسعة بين الطائفتين، وخلق طبقة مهمشة من أبناء الطوائف الشرقية[1].

والحقيقة أن «الأيديولوجية الصهيونية تبقى دوماً إشكالية معقدة تتداخل فيها اتجاهات، ورؤى، وفرضيات عديدة. وهو الأمر الذى أحدث سجالاً واسعاً في الأدب العبري الإسرائيلي بين الأدباء والنقاد الإسرائيليين، وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه « صراع أدبي» بين الأدباء حول تقييم الصهيونية في الأدب العبرى من ناحية، وبين النقاد الإسرائيليين من ناحية أخرى»[2].

وعلى هذا النحو، يتأكد فشل الصهيونية بكل المقاييس في تطبيع اليهود وصهرهم في بوتقة واحدة تحت راية الكيان الصهيوني على أشلاء وأرض الشعب الفلسطيني. ومن هنا تتوافر عوامل الهدم داخل المجتمع الإسرائيلي من الصراعات الداخلية، ومن تحت أقدامهم، حيث ترفضهم الأرض وأصحابها الحقيقيون.

---

(١) الكردي، شهاب أحمد: إشكالية الاندماج الطائفي في بعض الأعمال الروائية العبرية للأدباء اليهود العراقيين ١٩٤٨ - ١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨٠.

(٢) علام، عمرو عبد العلي: اتجاهات نقد الصهيونية في الرواية العبرية المعاصرة خلال الثمانينيات والتسعينيات، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٦.

الفصل الثالث

الرؤية الأدبية للشتات اليهودي
في ضوء أحداث النازية

ولدت الحركة الصهيونية، ونشأت، وترعرعت في الشتات الغربي، متجاورة مع النازية الألمانية، وعلى مدى التاريخ، ومع توجهات الحركتين، ظهر واضحاً التشابه بينهما، من حيث البنية العنصرية، والنظرة تجاه الآخرين. ويستخدم النازيون الصهاينة، على حد سواء، الخطاب النيتشوى الداروينى نفسه المبنى على تمجيد القوة، إسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة شأنهم فى هذا شأن النازيين، مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين، وإنما عن تهجيرهم أو دمجهم فى المجتمعات العربية، وهم لا يتحدثون مطلقاً عن تفتيت العالم العربي، وإنما المنطقة. ولا يتحدثون عن الاستيلاء على القدس، وإنما توحيدها، ولا عن الاستيلاء على فلسطين، أو احتلالها، وإنما عن استقلال إسرائيل، أو عن «عودة الشعب اليهودي» إلى «أرض أجداده»[1].

«ويتضح التطابق بين النازيين والصهاينة بكل جلاء فى واحد من أهم التنظيمات النازية، فقد كان النازيون ـ شأنهم شأن أية عقيدة تدور فى إطار القومية العضوية ـ يؤمنون بوجود دياسبورا ألمانية (أوسلاندويتش) (Auslandeutsch)، تربطهما روابط عضوية بالأرض الألمانية الأم، ويجب أن يعملوا من أجله، وربما لأن العودة للوطن الأم أمر عسير كما هو الحال مع الصهاينة، اقترح النازيون ما يشبه نازية الشتات (مثل صهيونية الشتات)، عن طريق تشجيع الألمان فى الخارج على دراسة الحضارة واللغة الألمانيتين. وكان للنازيين ما يشبه المنظمة الصهيونية، التي كانت لها مكانة فى ألمانيا تشبه من بعض الوجوه مكانة المنظمة

(١) المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٢.

الصهيونية العالمية في إسرائيل، وقد تعاون الألمان من كل أنحاء العالم مع السفراء والقناصل الألمان، تماماً، كما يتعاون اليهود الصهاينة مع سفراء وقناصل إسرائيل فى بلادهم»[١].

«ومما يثبت عمق الأواصر والصلات العنصرية بين النازية والصهيونية أن «أتسكورتسينى» قائد الفرقة المظلية النازية، والذى قلّده «هتلر» وسام الفرسان، تقديراً لجهوده فى إطلاق سراح «موسيلينى» ورفاقه من السجن زمن الحرب، والذى حوكم غيابياً كمجرم حرب، قام فى فترة لاحقة، بعد قيام إسرائيل، بتدريب وإنشاء سلاح المظللين فى إسرائيل ذاتها، حيث قوبل بمظاهر الحفاوة والتكريم، ومازالت مؤلفاته هى المصادر الأساسية فى تدريب الضباط المظللين الإسرائيليين، حتى اليوم»[٢].

«وليس من قبيل المصادفة قيام تعاون بين المنظمة الصهيونية العالمية وبين النازية الهتلرية، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، رغم ما رافق ذلك من ضجة إعلامية مفتعلة حول حملات الإبادة الجماعية المنظمة من قبل القادة النازيين ضد آلاف اليهود، والتى كانت بتخطيط وتنظيم مسبق مع قادة الصهاينة فى ألمانيا الهتلرية، وذلك بغية إرغام اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وفى الوقت ذاته للقذف بالجواسيس اليهود الذين جندتهم النازية الهتلرية إلى خلف خطوط الحلفاء، تحت غطاء الفرار من حملات الإبادة النازية»[٣].

«وكان كثير من الصهاينة يكنون الإعجاب بالنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها، ولمُثُلها، ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا، بل عدُّوا النازية حركة تحرير وطنى (ربما مثل الصهيونية التى تزعم الآن أنها هى الأخرى حركة تحرير وطنى للشعب اليهودي)، ولذا كان الشباب الصهيوني والمراجعون يهتفون: ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسولينى، وفلسطين لجابوتنيسكى[٤]. وقد سجّل حاييم كابلان (وهو صهيونى كان موجوداً فى

(١)المرجع السابق، ص١٣٣ - ١٣٤.

(٢)زيتون، عبد الوهاب: يهودية أم صهيونية، أحداث ووقائع دار الأصالة، بيروت، ١٩٩١، ص١١٨؛ نقلاً عن مجلة ذاروبيجيم، العدد ١٩٥٤٣، ١٩/ ١١/ ١٩٧٠م.

(٣)المرجع السابق، ص١١٧.

(٤)ولد جابوتنسكى فى روسيا، عام ١٨٨٠م، وهو أديب، وصحفي، وخطيب متألق، وهو زعيم صهيونى شارك منذ شبابه فى العمل والنشاط بالحركة الصهيونية، وشارك فى الصحف الروسية، انضم إلى منظمة الدفاع الذاتى ضد المتمردين الروس. أنشأ هو ورفاقه، عام ١٩٣٥م، المنظمة الصهيونية الجديدة، توفى في عام ١٩٤٠م بالولايات=

جيتو وارسو، أثناء حصار النازى له) أنه لا يوجد أى تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم، فيما يخص «المسألة اليهودية »، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة، وكلتاهما ترى أن لا مكان لليهود فى الحضارات الأجنبية»[١].

ومع تبلور الصهيونية ونموها كحركة فى الغرب (الشتات)، «يظهر التماثل البنيوي بين النازية والصهيونية في خطابهما، فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية، مثل : الشعب العضوى (فولك)، والرابطة الأزلية بين الشعب، وتراثه، وأرضه « الشعب المختار»، وقد سئل «هتلر» عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية : لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران، ونحن وحدنا شعب الله المختار»[٢].

« إن النازية و الصهيونية ليستا بأية حال انحرافاً عن الحضارة الغربية الحديثة، بل تمثلان تيارين أساسيين فيها، ولعل أكبر دليل على أن الصهيونية هى جزء أصيل من الحضارة الغربية، أن الغرب يحاول تعويض اليهود عما لحق بهم على يد النازيين بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وكأن جريمة « أوشفيتس » يمكن أن تمحى بارتكاب جريمة دير ياسين، أو مذبحة بيروت، أو مذبحة قانا. وقد أنجزت الصهيونية ما أنجزت من اغتصاب الأرض، وطرد وإبادة للفلسطينيين، من خلال التشكيل الإمبريالى الغربي، واستخدمت كل أدواته من غزو، وقمع، وترحيل، وتهجير. والغرب الذي أفرز «هتلر» وغزواته هو نفسه الذى نظر بإعجاب إلى الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان، وبيروت، وأنحاء أخرى من العالم العربي، وهو الذي ينظر بحياد وموضوعية داروينية للجريمة التى ارتكبت، والتي ترتكب، يومياً، ضد الشعب الفلسطيني»[٣].

وفى الفقرة التالية، الموجزة من رواية فويجلمان، يوّجه المؤلف النقد اللاذع الشامل

=المتحدة الأمريكية. وفى عام ١٩٦٤م، نقلت رفاته إلى إسرائيل، ودفن بجبل هيرتزل بالقدس. ويطلق اسمه على العديد من المناطق السكنية والشوارع المهمة فى شتى أنحاء إسرائيل وأهمها شارع كبير فى قلب تل أبيب. وقد كتب العديد من المقالات والكتب والأشعار. وترجم العديد من كتب الشعر والأدب للعبرية. للمزيد راجع: אפרים, מנחם תלמי: לקסיקון ציוני, ספרות מעריב, תל- אביב, 1977, עמ'151.

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): البروتوكولات اليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٥٢.

(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٣٢ .

(٣)المرجع السابق، ص ١٣١.

للدولة الصهيونية، ونازيتها، على لسان الشاب الشتاتي الغربي (أروينج) الرافض لليهودية والدولة، في وقت واحد:-

إنه خطؤكم السابق، ربما كانت الدولة نفسها، وكل الذى حل في أعقاب قيامها .

وبعد برهة من الصمت، قال متبسماً:

« أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر، وهو ما كان من شأنه الاندفاع نحو تخطى الحدود ....

التدخل في شؤون الدول المجاورة ......

إنها المفارقة التاريخية .....[1] .

وهنا نلمس لغة النقد الموجه للصهيونية، التي قامت بإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وبأساليبها النازية التى شردت شعبها، واقترفت في حقه أبشع صور القتل، والتنكيل، والغدر، وهو ما يفوق كل الأساليب النازية. وقد وضح ذلك من خلال :

أ - خطأ إنشاء الدولة وتوجهاتها.

ب- الاندفاع نحو تخطى الحدود والعدوان، وشن الحروب، واقتراف المجازر.

ج - التدخل في شئون الدول المجاورة.

د - المفارقة التاريخية بإعلان الحق التاريخى في الأرض الفلسطينية، وإنكار وجود شعب فلسطينى عليها .

« ويتضح التشابه بين النازية والصهيونية، في قانون العودة الصهيوني. ومن المعروف أن جميع أجنحة الصهيونية تعاونت في مرحلة، ما قبل ١٩٤٨ م، على إنجاز أهم عنصر متضمن في الصيغة الصهيونية الأساسية، أى التخلص من السكان الأصليين وتغييبهم. وثمة أدبيات ثرية في هذا الموضوع توثق النية الصهيونية المبيتة لطرد العرب، وتبين الطرق المختلفة التى لجأت إليها قوات المستوطنين لطرد الفلسطينيين. وقد وصف «حاييم وايزمان» خروج العرب بشكل جماعى (هربا من الإرهاب الصهيوني) بأنه تبسيط لمهمة إسرائيل ونجاح مزدوج، إذ

---

(١)מגד, אהרון: פויגלמן, שם, עמ'16.

يمثل انتصاراً إقليمياً، وحلاً ديموجرافيا نهائياً. بمعنى أن الأرض تم الاستيلاء عليها، وتم تفريغها من سكانها حتى يتسنى للشعب الذى (لا أرض له) أن يهاجر إليها ويستوطنها»[1].

وفي أحد من معسكرات العمل النازية، يصور «أهارون أبيلفلد » في رواية «حفرة الثلج» يهودياً من أشرس رموز النازية في المعسكر، حيث يصفه بالإرهابي، وأنه تفوق على الألمان في نازيته، ووحشيته، وقسوته في معاملة حتى بنى جلدته اليهود:

«عين رقيباً لطابور السير الصباحى له صوت إرهابي، وتقول الإشاعة بأنه «شلنج» يهودي من الربع، حيث أرسل إلى هنا للتأديب – وهو لا يختلف عن باقى الرقباء، فهو شديد القسوة. ومن الواضح أنه ملتزم بأن يثبت بأنه ليس فحسب، منفذاً للأوامر، ولكن متعصب فى تنفيذها. وفى تعصبه لها وبتوجيه مكرر، أيضاً، بأنه باستثناء الجلد الذى يقوم هو بتنفيذه (بجلدنا) في كل فرصة، فهو يسيطر علينا لإذلالنا وإهانتنا، ويصيح بصوت عال، قائلاً: العمل هو حياتنا، الروح السليمة في الجسم السليم، وقد غرس الجرى والشعارات الحمقاء فينا في عهده، رغبة فى أن نعتقد أن حياتنا هنا ليست فحسب، إهانة (إذلال) ولكن تحوى اتجاهاً نحو المجهول، ونحن نعرف الآن أن أسلوب الصياح هذا، ليس إلا مقدمة ثلجية توصل إلى منحدرات مظلمة جداً، وما هي إلا عدة أيام أخرى حتى نستطيع أن نتماسك، إن بيننا رجالاً مجانين، يجرون مثل الجنود، ويحاولون بصحتهم التملص من الموت»[2].

إن (أهارون أبيلفلد) قد خبر حياة المعسكرات النازية في طفولته، وكذلك والده، الذى كان يعد من الذين كتبت لهم النجاة، ومن هنا، يكون في رصد تلك الواقعة ما ينم عن شيء من الواقعية، حيث تناولت تلك الفقرة:

أ – التعاون بين اليهود ورجال النازية .

ب- تفوق اليهود المتعاونين مع رجال النازية على النازيين أنفسهم في البشاعة والتنكيل، حتى تجاه اليهود بنى جلدتهم.

ج- توفر نزعة الأنانية، حيث إن كل واحد من اليهود كان يهمه الحرص على حياته

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق، ص ١٤١ .

(٢)אפלפלד, אהרון: מכרה הכרח, שם, עמ'80.

فحسب.

د – التأكيد على غرس الشعارات الحمقاء والجوفاء في رجال المعسكر مع إذلالهم.

هـ– يريد اليهودي المتعاون مع النازية أن يظهر لسادته من النازية مدى كفاءته ونازيته.

و – الإشارة إلى قسوة المعاملة والعنف، وهو ما قد يؤدى للموت البطيء عن طريق «الجلد»، مما يبرهن على أعداد الوفيات، فيما بعد .

إن « رواية « حفرة الثلج » مليئة بمسائل إنسانية، يتم عرضها فى إطار من الواقعية المرتبطة بحياة قاسية: الصفوف، والإساءات، والأعمال الشاقة. وهكذا وصل المؤلف من خلال تلك الواقعية – كما هو الحال عند المؤلفين المشهورين – إلى الارتباط بشفافية لا نهائية»[(١)] .

وفى فقرة أخرى، من رواية «حفرة الثلج»، يشير المؤلف إلى لهجة الأنانية التى كانت سائدة، آنذاك، بين يهود الشتات، حيث أن كل فرد كان يقول «نفسى نفسى». أى أن الأنانية كانت هى المسيطرة كأسلوب للنجاة من النازية، حتى لو كان هذا على حساب المجموعة، أو حتى ضدهم، كما هو حال المتعاونين منهم مع رجال النازية، وكانت هذه الأنانية هى التى جعلتهم أكثر نازية من النازيين.

«سمعت ذات مرة، أحد التجار يقول لأصدقائه، إنه منذ العمليات العسكرية، لا يستطيع التحدث بلغة أنا. إنها لغة ليست فحسب أنانية، ولكنها مادية. وضغط عليه أصدقاؤه ليقص عليهم مشاعره، فأصابه الخجل، كما لو كان قد ضبط متلبسا بسرقة فكرة. وحينئذ بدت لى أقوال التاجر فاقدة الحساسية .

تحدثت حول هذا مع «أبيدة».

اتفقت أبيدة معى على أن لغة الأنا، هى لغة حقيقية، وأن لغة الجمع هى غطاء وتعميم أعمى، وأسعدنى أن أفكارنا متشابهة»[(٢)].

لقد تلاقت أفكار، أكثر من شخصية في الرواية على الاتفاق على أن الأنانية هى

(١)בלבן, אברהם: מאחורי הגדרות; אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, ידיעות אחרונות, 18 /5/ 1997, עמ'2.

(٢)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'23.

السائدة، أما الحديث عن الجمع والجماعة فهو مجرد حديث بعيد عن الواقع .

وفى موضع آخر من رواية «حفرة الثلج» يبرز الكاتب (أبيلفلد) الأنانية سواء على مستوى يهود الشتات، أو غيرهم، حيث يتأكد هنا التعاون بين بعض اليهود والنازية على حساب الآخرين، لأن كل واحد كان يسعى بأنانيته للحفاظ على نفسه والعمل لمصلحته وحياته فحسب.

«من الصعب الوثوق فى الناس في تلك الأيام

إن هناك أناساً قريبين، مخلصين، ومستقيمين، يتمسكون بأقوالهم، حيث لا يقال الأوكرانيين (فحسب) .

كل واحد يعتنى بنفسه فحسب.

والأنانية هي الدليل .

ومع كل هذا ازدهرت هنا أيضا العناية بالحقيقة، والإنسان يتعرض للخطر، ويخفى في سردابه ليس فحسب، المقربين من أسرته، ولكن الغرباء أيضاً، الذين ألقى بهم هنا»[1] .

ويبدو أن التعاون بين اليهود ورجال النازية كان يتطلب بعض المواصفات التى تتوفر في اليهودي ليكون عيناً وعونا للنازية بالمعسكر، فقد رأينا من قبل الرقيب اليهودي الإرهابي، وأنانيته، وصفاته النازية الوحشية التى فاقت النازيين أنفسهم، ولكن هنا أراد «أبيلفلد» أن يبرز نوعاً آخر من المتعاونين مع النازية، وهو أحد مدرسى المرحلة الثانوية (الجمنسيا) الذى يتحدث الألمانية بطلاقة» .

«يستمر العمل من الساعة السادسة صباحاً، وحتى الواحدة ظهراً، ثم نعود إلى الساحة لتناول وجبة الظهيرة حسب تعليمات معلمنا المناوب.

معلمنا المناوب هو الدكتور / بوخبندر، أحد المدرسين المعروفين في الجمنسيا، وقد اختاره الرقيب الإرهابي، ولكن من الصعب معرفة لماذا ؟

ربما لأنه الشخص المحنك فينا، وربما لكونه متحدثاً لبقاً، كما كانوا يقولون، فهو

---

(١) שם, עמ'57.

يتحدث الألمانية بطلاقة .

ويتجه إليه وحده الرقباء، للكشف عن حقيقة أى أمر لا يخصه هو، لأنهم يصرخون من بعيد، الضباط بعيدون عنا، يتابعوننا من فتحات أبراج القيادة .

أحياناً، نرى خيالهم على جسور القيادة، ونحن نرتعش من الثلج»[1] .

يتأكد التعاون بين بعض اليهود في الشتات مع ضباط النازية في معسكرات العمل، وهو هنا دكتور، ويعمل مدرساً في المرحلة الثانوية لليهود (الجمنسيا)، ومعّين من قبل الرقيب الإرهابي، وهنا له دور خفي بخلاف عمله في السيطرة على مجموعة اليهود بالمعسكر، فهو عين وجاسوس عليهم لصالح رجال النازية».

وحول يهود الشتات المتعاونين مع رجال النازية في معسكراتهم، يعرض «أبيلفلد» في هذه الفقرة من رواية «حفرة الثلج» نوعا آخر منهم :-

«رجلان شديدان تواقين للحياة كشرطة سرايا، تذكرت ملامحهما من محل الخياطة الخاص »فى الجيتو»، وهما منعزلان عن الجميع . يقيمان بالقرب من الكوخ بالبيت، وتصرف لهما سترة وقفازات، وينامان على أسرة مفروشة، وتصرف لهما وجبة خبز مضاعفة، لكنهما في الأساس ليسا معتقلين مثلنا.

إن رجال الشرطة هم أدوات لخدمة الرقباء، وفى حال صدور الأوامر لهم ينقضون ككلاب هائجة، يقولون إن من بينهم عدداً من الرجال كانوا من قبل تجاراً، ومفكرين، وأصحاب مهن، هادئين منظمين، ولكنهم هنا تغيروا بلا رجعة، لا يقصدهم أحد، كما لو كانوا ليسوا أخوة لهم سوى أنهم بدلاء للرقباء.

إن حياتهم دون شك أفضل منا، ولكن هناك ثمناً يدفعونه. من لم يكن وحشياً بما فيه الكفاية يعامل بوحشية من الرقباء، حتى عُين اثنان مثلنا كانا من المعتقلين من ترنسلفانيا، ويحسان بنا، لكنهما، وعلى ما يبدو، لم يكّونا بالوحشية بما فيه الكفاية في نظر من أرسلوهم.

وتم نقلهما إلى قسم تأديب رجال الشرطة.

(إذا كانت تلك هى الحياة فمن الأفضل الانسحاب منها، فوراً)

(١)שם, עמ'9.

وهذا الكلام لم أسمعه فحسب، ولكن رأيت نتائجه.

تجد إنساناً يقفز للنهر، وتبتلعه مياهه، وتكون النهاية.

وسمعنا عن معسكرات عمل أخرى، إن الموت غير متاح بتلك الصورة المريحة، هناك الانتحارات القاسية، طويلة ومؤلمة»[1].

*** ركزت الفقرة السابقة على موضوعين مهمين:**

أولاً: المتعاونون من يهود الشتات مع رجال النازية في معسكراتهم.

ثانياً: التفسير المنطقي لأعداد القتلى من اليهود في المعسكرات النازية بعيداً عن تهويلات الصهيونية (أفران الغاز).

الموضوع الأول يخرج من أحد المعسكرات حيث تم تعيين اثنين من اليهود كرجال شرطة للسرايا، وهما تحت إمرة الرقباء النازيين، ويساعدانهم في السيطرة على اليهود المقسمين إلى مجموعات عبارة عن سرايا عسكرية.

وعلى الرغم من أنهما يهود، من بنى جلدتهم، ومن نفس الجيتو، الذين كانا يعيشان به قبل اعتقالهما بالمعسكر، فإنهما نظير تعاونهما مع رجال النازية يعيشان بمعزل عن باقى اليهود، ويتميزان في المأكل، والمشرب، والملبس، والإعاشة، وينفذان أوامر رجال النازية بكل وحشية وصفت بوحشية الكلاب الجائعة، وتعتبر الوحشية والقسوة في المعاملة من شروط التعاون بين هؤلاء الناس ورجال النازية، وهى الوحشية التى يتجرعها باقى اليهود بالمعسكر.

وإذا تخاذل هؤلاء الرجال المتعاونون، في تنفيذ أوامر الرقباء النازيين، يكون مصيرهم هم، أيضاً، التعذيب والوحشية.

إذن لا مفر من دفع الثمن.

ويحاول الكاتب، أن يلتمس العذر لبعض هؤلاء اليهود المتعاونين مع رجال النازية، فيقول إن جذورهم كانت طيبة قبل دخول هذه المعسكرات، سواء من حيث المهن والأعمال التى كانوا يقومون بها، ولكنهم تغيروا في داخل تلك المعسكرات، بدافع الأنانية،

(١) אפלפלד, אהרון: שם, 87- 88.

وبدافع المحافظة على حياتهم، والتماس حياة سهلة وسط أهوال هذه المعسكرات، ولكن في نهاية الأمر، فثمة يهود نازيون أكثر من رجال النازية أنفسهم (ينقضون كالكلاب الهائجة)، حيث لا يشعرون أو يحسون بآلام ذويهم اليهود في المعسكر.

وكل من يبدى إحساساً بذويه اليهود في المعسكر، ويتراخى في نازيته ووحشيته معهم، يكون مصيره العقاب والشرب من نفس الكأس النازية .

فها هما اثنان من اليهود المعتقلين من ترنسلفانيا، أظهرا تراخياً في وحشيتهما بعد أن تم تعيينهما رجلى شرطة مساعدين للرقباء النازيين، أي أن وحشيتهما كانت في الحد الأدنى منها مما لا يرضى رجال النازية، ومن هنا كان نصيبهما العقاب والتأديب في مكان مخصص لهذا العمل .

وكان الكاتب حريصاً على أن يوضح أن وحشيتهما ونازيتهما بمستوى أقل مما يجب لإرضاء غرور رجال النازية.

أي أن الصفات النازية سواء في حدها الأقصى المطلوب، أو الأقل، لابد وأن تتوفر في اليهود المتعاونين مع رجال النازية، وهذا هو ما كان بالفعل.

والموضوع الثاني، وهو الأسباب الحقيقية وراء مقتل الكثيرين من اليهود في معسكرات العمل النازية، وهى عبارة عن قسوة الحياة، والمعاملة الوحشية، وسوء الأحوال المعيشية، وهذا كله يولد حالة نفسية سيئة تؤدى إلى اليأس من الحياة نفسها، ثم التخلص من الحياة بالانتحار في مياه النهر. وهناك أساليب أخرى مؤلمة جداً من الانتحارات البطيئة في معسكرات أخرى، وهى الموت البطيء من جراء الجوع، والقلق، والخوف .

وفي نهاية المطاف، هناك موتى، وهناك الناجون على رأسهم المتعاونون مع النازية، فهم نازيون صهيونيون، وجميعهم في النهاية يهود الشتات الغربي، سواء من بقى منهم في شتاته، أو هاجر بنازيته إلى إسرائيل.

والشتات اليهودي هو الذي أفرز القضايا الخلافية، ومن بينها قضية الاختلاف بين اليهود الاشكنازيم والسفاراديم، حيث إن «جذور ثنائية الاشكناز والسفاراد نبعت من الشتات باختلاف ظروف اليهود في مواطن إقامتهم من اضطهاد، أو تسامح، وخلافه. فيهود ألمانيا وأسبانيا لهم الدور الأكبر في قصة اليهود في العصر الحديث، فهؤلاء هم الذين

تعرضوا لأشد أخطار الإبادة والطرد، ومنهم ومن نسلهم سيستمد التقسيم الثنائى أو الرئيسى الذى يفرق بين يهود شمال أوروبا من ناحية، وجنوب أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى، أعنى ثنائية الأشكناز Ashkenzim والسفارادى Sphardin ، وهما كلمتان قديمتان في التوراة، فاستعارتهما التقاليد اليهودية في العصور الوسطى، لتميز بين يهود ألمانيا ويهود أسبانيا على الترتيب، اعتقاداً منهم بأن يهود ألمانيا ينحدرون من نسل قبيلة يهوذا، ويهود أسبانيا من نسل قبيلة بنيامين. والسفاراديم يعدون أو يدعون أنفسهم أرستقراطية اليهود على الأساس الدينى، غير أن الأشكناز إنما يؤلفون الأغلبية الساحقة عددياً (٨٠ -٩٠٪ فيما يقدر) والطبقة المسيطرة المتفوقة حضارياً، إلى حد يحتقرون معه السفاراديم، احتقاراً لا يحفلون بإخفائه»[١] .

وبعيداً عن تهويلات الصهيونية حول أحداث النازية، وأعداد القتلى من يهود الشتات وأفران الغاز، وما شابه ذلك مما تروج له عن معسكرات الاعتقال النازية، يصف «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» جانباً مهماً من جوانب الحياة داخل معسكرات العمل النازية، وهو الجانب العسكرى لإعداد الرجال، أياً كانت أعمارهم وإمكانياتهم كجنود محاربين، وبالطبع هناك المعاملة القاسية، وما ينتج عنها من إصابات، وربما قتلى :

«أيقظتنى طلقات الرصاص، وصل ضابطنا مع المتطوعين للتدريبات الليلية، أصيب عدد من المتطوعين، وضمد الممرضون جروحهم بالضمادات التى وجدوها بالدشمة (غرفة عسكرية محصنة تحت الأرض)، صرخ المصابون، وقاطعهم ضابطنا، وبشكل قاطع، لا تصرخوا لا يليق بالجنود أن يصرخوا.

وبعد الحادث كان من الواجب على ما يبدو أن يوقف ضابطنا التدريبات، ويعطى الجنود قليلاً من الراحة.

ولكن هذا لم يحدث وانقض عليهم مع رجاله، وبغضب شديد، انهالوا جميعاً على بقايا مجموعات الإنشاءات»[٢] .

---

(١)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى في عام ١٣٥م، جـ٢، (نقلا عن) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، ص ٢١-٢٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٠٢٥-١٠٢٦.

(٢)אפלפלד, אהרון: שם, עמ' 168- 169.

وتشير هذه الفقرة إلى تدريبات عسكرية ليلية شاقة تجري في قسم من المعسكرات، وبالتالى فهناك عدد من المصابين تم إسعافهم عن طريق التمريض فحسب، وبالإمكانيات الضعيفة المتاحة في المعسكر والمخزونة تحت الأرض في أحد الدشم المحصنة، وكانت تسمع توجعات وصراخ الجنود من جراحهم وآلامهم، وحتى هذا الصراخ استنكره عليهم الضابط الفظ القائم بتدريبهم ، وقال إن الصراخ لا يصدر من الجنود، ولا بد أن يتحملوا، ويكونوا أقوياء، وفي هذه الحالة (بعد عناء التدريب ووقوع حادث نتجت عنه إصابات)، كان من الطبيعى أن يوقف التدريب، ويمنحهم قسطاً من الراحة، ولكن هذا لم يحدث، بل العكس، انقض عليهم الضابط ورجاله بمعاملة قاسية، وبأسلوب غاضب باستمرار التدريب والعمل .

وخاصة أن هناك إشارة بأن المتدربين هم بقايا لمجموعات عمل مختلفة .

وفي موضع آخر، من رواية «حفرة الثلج»، يؤكد «أبيلفلد» على استمرار التدريبات الشاقة بإطلاق النيران لوقت متأخر من الليل، لمجموعات من اليهود في أحد معسكرات النازية:

«اشتد إطلاق النيران في منتصف الليل، وأخرجنا من حيز الملاحظات المخيفة.

استطعنا أن نميز صوت ضابطنا المدوى مع صراخ المتطوعين (المتدربين)، وأضاءت شظايا طلقات النيران السماء، وعرفنا أنهم قريبون من معسكرنا.

ويوجد هناك أيضاً، بعض الرجال الذين شاركونا حمل عوارض الخشب لمقدمة الجسر (المقام على نهر البوج).

وهم الآن يصارعون آلامهم، والمناظر المرعبة هناك مع ضابطنا الذى يتصرف بكل عنف.

ومرت بنا لحظة ندم بسبب الانفصال عنهم[1] .

إن التدريب على إطلاق النيران ليلاً لمجموعات من اليهود بالمعسكر، ومن بينهم مجموعة كانت تقوم بالأعمال الشاقة في بناء الجسر، على نهر (بوج) بحمل عوارض الخشب الثقيلة إلى بداية الجسر، وهاهم في صراع مع مشاق جديدة، ومع معاملة قاسية من الضابط

---

(١) שם, עמ' 171.

العنيف في تلك التدريبات العنيفة، التي تضيء السماء من خلال شظايا إطلاق النيران.

وإذا كانت التدريبات العسكرية المستمرة والشاقة دون راحة ينتج عنها إصابات وقتلى، فإن كانت الأعمال الشاقة، غير المسبوقة، التي لم يعتادوا عليها من قبل في حمل الأثقال والأعمال اليدوية، بالإضافة للمعاملة السيئة وأحوال الإعاشة الأسوأ، ينتج عنها أيضاً، سقوط قتلى ومنتحرين نتيجة الرعب، والخوف، والقلق، وعدم التحمل».

وفي هذه الحالة، فإن مجموعة المتدربين كانوا ضمن القائمين ببناء الجسر، واحتمال سقوط القتلى والصرعى مضاعف، لأنهم ضحايا الحالتين في وقت واحد، أي أنهم شربوا الكأس المر مرتين.

وهذا يفسر أيضاً، أعداد القتلى والضحايا من اليهود في المعسكرات النازية، كأمر طبيعى بعيداً عن الدراما التى تحيكها الصهيونية .

وعلاوة على ما تقدم من أسباب جوهرية أدت لمقتل العديد من اليهود داخل المعسكرات النازية، فهناك الخطوات التى سبقت وصولهم للمعسكرات، وهى من الصعوبة بحيث تؤدى بدورها إلى عدد من القتلى »، ففي أحد الأيام، وخلال ساعات قليلة، حدثت ضجة وصخب مع أصوات الطارقين على المداخل والأبواب، مطالبين بخروج كل الرجال بالخارج، وقام الجنود الألمان بتطويق الشوارع والبيوت، وهم يضعون الخوذات على رؤوسهم، والرشاشات الخفيفة في أيديهم، وطلبوا من كل الرجال التجمع في المجلس البلدي، وتم جمع مجموعات من الرجال الخائفين في الميادين، ووقف الألمان حولهم مصوبين اتجاههم رشاشاتهم الخفيفة، ووقف الرجال رافعى أيديهم لأعلى دون التفوه بكلمة، ولم يصرخ الألمان كآدميين، لأنه لم يكن صراخاً بل نوعاً من الصخب كهدير حيوانات رذيلة في قمة هياجها، ولا يمكن سماع حديثهم على الإطلاق، واندلع صراخهم واحترق كما لو كان صادرا من بطونهم أو بلعومهم، وأي أذن تسمع هذا الخوار تميزه على أنه أمر تعليمى أو تدريبى معتاد كنظام ثابت.

وكان تهديدهم بأن أى رجل يبقى بالبيت، يتم رميه بالرصاص كالكلاب»[١] .

(١)צוקרמן, יצחק- בוסק משה: ספרות מלחמות הגיטאות, בין החומות, במחעות, ביערות, הקיבוץ המאוחד, תל- אביב, 1954, עמ'9.

وهكذا تبدو الصورة واضحة، من البداية، وهى حاجة الألمان للرجال سواء من اليهود أو غيرهم للعمل بالمعسكرات، أثناء الحرب، في الأشغال العسكرية، أو كجنود محاربين، مع المعاملة القاسية. كان الرجال قد تركوا عائلاتهم في مهب الريح، وبالتالي كانت الحالة النفسية المتدهورة، ويأتى بعدها التفسير المنطقى لأعداد الموتى من اليهود، منذ اللحظات الأولى، لتجميعهم، وحتى وصولهم للمعسكرات، ونهاية عملهم بها.

وكان تجميع الرجال وحشدهم في المعسكرات يشمل أناساً آخرين من غير اليهود، ففى إحدى الأماكن التى كانت مخصصة لهذا الغرض، وهى عبارة عن:

«ساحة مصنع محاطة بالأسلاك الشائكة حيث يتمدد الناس على الأرض، يتنفسون الصعداء، وعلى فترات، كانت تأتى مجموعات من ساحة مجلس المدينة، وتنضم للجماهير التى تعد لمعسكرات جديدة، وقبل حلول المساء، وصل الساحة ضابط، ومن داخل سيارته، أعلن : « أن على كل البولنديين الخروج، وتقدم البولنديون ووقفوا صفاً واحداً، واستعرضهم الضابط الألمانى كما لو كانت لحظة مراسم تفتيش، واخبرهم:

« مصرح لكم بالخروج للبيت – أنتم أحرار، نظر البولنديون للألمانى بوجوه باسمه، وببسمة ماكرة، وبعيون تعرب عن الشكر، ولوح عدد منهم بيديه بحركة التحية الهتلرية، وقالوا بالألمانية « شكرا (دنكيه).

ركعوا وخلعوا قبعاتهم عن رؤوسهم، وانحنوا مرة أخرى، وغادروا المكان مسرورين، وطوال الليلة، كان بقية الناس جاثمين على الأرض، ولم يشعر الرجل بالجوع، ونحى عن فكره عذاب الجسم، وجاء الألمان، مرة أخرى، في الصباح، وصرح أحدهم: بأنه سيأتى إلى هنا الحلاقون، وحتى الثانية عشرة ظهراً، تكون شعور ولحى اليهود محلوقة »[1] .

ويقول أفراهام شطال حول هذه النقطة: « فى الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤ – ١٩١٨، كان هناك ٢٠٠٠ (ألفان) من اليهود بالجيش الألمانى، وكان من نتائج الحرب اللقاء مع يهود شرق أوروبا، وزيادة الإعلانات، والتعارف بين يهود ألمانيا. وفي عام ١٩٢٨، بدأت أزمة اقتصادية خطيرة فى ألمانيا مع زيادة قوة الحزب الوطنى الاشتراكي

(١)שם, עמ'10.

(النازي)، وانتشار المبدأ العنصرى، وفي عام ١٩٣٣ ، تولى النازيون السلطة، وكان عدد اليهود فى ألمانيا، حوالي ٥٠٠.٠٠٠ ، حتى سنة ١٩٣٩ ، هاجر منهم ٣٠٠.٠٠٠ لدول مختلفة، وحوالي ٦٥.٠٠٠ هاجروا إلى فلسطين، وهى تحت السلطة البريطانية. وفي عام ١٩٣٥ ، صدرت قوانين العنصرية (قوانين نورنبرج)، والتي حرمت يهود ألمانيا من حق المواطنة. وفي عام ١٩٧٤ ، كان عدد اليهود فى ألمانيا من بقايا يهود ألمانيا والمهاجرين من دول أخرى حوالى ٣٢.٠٠٠ ، وكان عدد الذين غادروا ألمانيا مع أبناء لآباء من مواليد ألمانيا، ونزحوا لدولة إسرائيل، حوالي ٧٠.٠٠٠ يهودي»(١) .

وتعلن الصهيونية عن نازيتها في أبشع صورها، حيث يكشف عنها «أهارون ميجد» في رواية «فويجلمان»، حيث يقوم الجيش الإسرائيلي بنشر السموم في مواد الطعام، ومنابع المياه بالضفة الغربية، لنشر الأمراض بين السكان العرب.

«سم .....

قلت، وحكيت أنه في مؤتمر البيولوجيين الذى عقد بالقدس، وشاركت فيه زوجتى لأنها تعمل بيولوجية .

ووقف على المنصة أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة «بيرزيت»، واتهم الجيش الإسرائيلي بنشر مواد سامة في مواد الطعام، ومنابع المياه بمناطق الضفة الغربية، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب .

وقد أحضر أدلة علمية تؤكد اتهامه.

قلت إن هذا نوع من الافتراءات، فقد كان المسيحيون في العصور الوسطى ينشرونها عن اليهود»(٢) .

وقد حرص المؤلف على إعطاء الجانب الصهيوني حقه في الدفاع، من هنا، جاء التشكيك في صحة الواقعة على لسان «تسفى اربيل» أستاذ التاريخ اليهودي بالجامعة، وزوج «نورا» البيولوجية، التي شاركت في المؤتمر بصفتها التخصصية.

---

(١)שטאל, אברהם: שם, עמ' 84.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ' 92 – 93.

ولكن هناك أمرين يؤكدان تلك الواقعة على الرغم من هذا التشكيك:

أ- تم عرض الاتهام بواسطة أستاذ متخصص في علم الأوبئة بجامعة بيرزيت، وليس شخصا عادياً.

ب- دعم اتهامه بأدلة علمية، وهى أدلة لا تقبل الشك، ولو أراد المؤلف أن ينفى تلك الواقعة لحرص على أن يكون التشكيك من قبل متخصص، وهو متوفر ومتمثل في شخصية «نورا» البيولوجية، وهى مشاركة فى المؤتمر، وهى التى روت الواقعة لزوجها، ولم تصدر منها أية معارضة. وكان التشكيك، الذى جاء على لسان زوجها، مجرد دفاع شخصى لا يستند إلى دليل.

وهذه الواقعة واقعية، وتناول «ميجد» لها على لسان شخصية فلسطينية، إنما أراد بها، أن يعطى مصداقية للحدث، وتدخل في إطار الالتزام الواقعى بصحة الأحداث، التى يتناولها الأديب الواقعى في رواياته، «ففي عام ١٩٨٣، انفجرت مظاهرات طلابية خرجت من المدارس الفلسطينية الثانوية في الضفة الغربية، كان الطلاب الفلسطينيون يتظاهرون احتجاجاً على قيام الإسرائيليين بدس أنواع من السموم الغازية في مدارس الفتيات العربيات بهدف إصابتهن بالعقم والعجز عن الإنجاب، واتصل أحد قادة الاحتلال الإسرائيلي المتمركزين في الضفة الغربية برئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، الجنرال «رفائيل ايتان»، ليسأله (كما ذكرت الصحف العبرية) «ماذا أفعل يا سيدى رئيس الأركان؟ وجاءت إجابة رئيس الأركان بالحرف، تقول: «انزعوا لهم خصياتهم ...... لا ضرورة لأن يكونوا رجالا »[1].

يمثل التزايد السكاني الفلسطيني عقبة هائلة في وجه الصهيونية ومخططاتها، التي تضع، دائماً، نصب عينيها تفريغ الأرض من سكانها بشتى الوسائل النازية، التي تصل إلى حد الإبادة، وهى الهدف الذى تسعى إليه الصهيونية، ولكن ما جعل هذا الأمر

(١)سليمان، عبد الرازق: الواقعية في النثر العبرى الحديث من خلال الإنتاج الروائى لأهارون ميجد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦، ص ٢٢٢ ؛ صميدة، محمود (دكتور): إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، سلسلة نحن وهم، (٢)، المقدمة، دكتور إبراهيم البحراوى.

مستحيلا »، وجود المنظمات الدولية والإعلام، كما كان شأن الكثافة السكانية العربية، وتماسك العرب، وانتمائهم إلى تشكيل حضارى مركب، وبقدرتهم على التنظيم، والمقاومة، والانتفاضة أن أصبحت الإبادة حلا مستحيلاً.

ومع هذا لا بد من الإشارة إلى عمليات الإبادة الجسدية التى تمت في صفد، ودير ياسين، وكفر قاسم، وغيرها من مدن وقرى فلسطين، حيث لم تكن الممارسة الصهيونية تهدف إلى تهجير الفلسطينيين بقدر ما كانت تهدف إلى قتلهم وإبادتهم، وبالمثل كانت عملية صابرا وشاتيلا ذات طابع إبادي واضح، كما أن الإبادة بمعنى التهجير، والتسخير، والقمع، والاستغلال، هي حدث يومي داخل الإطار الصهيوني »[(١)] .

يعد الشتات الغربى البيئة التى أفرزت الصهيونية، ورموزها، ومخططاتها النازية، وتعود جذور رموزها النازية، في الوقت الراهن، إلى تلك البيئة.

وبطبيعة الحال، فإن الصهيونية ورموزها، سواء في الشتات أو فى إسرائيل، تمثل مصدراً شرساً وقوياً للسيطرة على اليهود، وبالتالى عدم استقرارهم، وفقدانهم للأمن، مع بطشهم وتنكيلهم بجيرانهم الفلسطينيين، «فاستمرار الصهيونية يعنى استمرار الصراع، واستمرار عذاب الفلسطينيين، وعذاب اليهود، كل اليهود، فالصهيونية تساوى في الحقيقة استمرار استعباد الإنسان اليهودي، تحت شعار تحريره. ولذلك لا أتصور إمكان تحقيق سلام عادل، في الأجل المنظور، طالما ظل اليهودي الهانئ السعيد فى فرنسا، وهولندا، وبريطانيا، وأمريكا، وأستراليا، وفى كل دول العالم (الشتات) رهينة لبؤس أو تعصب أقلية من اليهود، ترفض التحرر من الآلام، ومن خصوصية التعالى المقدس، أي ترفض حل (المسألة المقدسة).

فالصهيونية حركة سياسية تطالب وتعمل من أجل توطين اليهود فى فلسطين ـ أرض الميعاد ـ موظفة الأسطورة الدينية والظرف التاريخى، فها هو «بن جوريون» يعلن: أن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بازل، ولا وعد بازل، ولا بوعد «بلفور»، ولا بقرارات الأمم المتحدة، عام ١٩٤٨م، ولكنها بدأت يوم وعد الله أبانا «إبراهيم» وعده.

(١) المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية، المرجع السابق، ص١٣١ - ١٣٢.

ومن هنا عاشت الفكرة الصهيونية خلال قرون طويلة، ملازمة لتفسيرات لاهوتية في الديانة اليهودية والمسيحية (في الغرب)، وفي اليهودية يتضح الربط بينها وبين المملكة العبرية القديمة في فلسطين (مملكة إسرائيل ومملكة يهودا)، حتى تدمير الهيكل الأول، في عام ٥٨٧ق.م. والغريب أن العهد القديم قد تناول تلك الفترة بكثير من التفاصيل، رغم أن معظم ما جاء في العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة، كتبت بعد ذلك التاريخ»[١].

«للعقل الصهيوني بنية خاصة متميزة، نتيجة قراءة أيديولوجية مشوهة للتاريخ اليهودي، وقامت على أساس تفسير بمقتضاه أنه ليس هناك حل للشتات اليهودي، سوى «العودة» إلى «أرض الميعاد»، وهذه العودة لابد لها أن تتجه إلى فلسطين، حيث ينبغي إقامة دولة يهودية خالصة تكون موطناً لكل يهود العالم. وهذه القراءة للتاريخ اليهودي لم تبق حبيسة الاتجاهات الفكرية أو محصورة في حدود الندوات المغلقة، بل تحولت إلى فعل سياسي في مؤتمر بازل، والذي تقرر فيه إنشاء الدولة اليهودية. واستطاعت الحركة الصهيونية بجهود تتسم بالدأب، بعد خمسين عاماً، من انعقاد المؤتمر، أن تنشئ فعلاً الدولة الإسرائيلية، عام ١٩٤٨م. غير أن السياسة الصهيونية واجهت، منذ البداية، السؤال الرئيسي، ماذا نفعل بالشعب الفلسطيني المقيم فعلاً على أرضه؟ وكيف ستتعامل معه؟»[٢].

ومع فشل الصهيونية الواضح في تحقيق أهدافها العنصرية حيال قضية الوجود اليهودي الآمن في فلسطين، ازداد الإرهاب الصهيوني تجاه الفلسطينيين والعرب، بارتكاب المجازر بتفريغ الأرض بالاستناد إلى أفكار خاطئة، سواء كانت تاريخية مغلوطة، أو دينية متطرفة، تعتمد على تأويلات خاطئة من العهد القديم، على الرغم من ظهور باحثين يهود يشككون تاريخياً في كل ما جاء بالعهد القديم، «فقد توصل «فلهاوزن» ومن جاء بعده من الباحثين الذين أصبحوا يعرفون باسم «أصحاب المدرسة النقدية»، إلى أن العهد القديم هو مؤلف ديني روحاني، تم تدوينه في فترة متأخرة تلت الأحداث الواردة فيه بمئات السنين، وتحول بسبب دوره في خدمة الفكر الديني الإسرائيلي إلى مصدر تاريخي، مشكوك فيه، لأن

---

(١) إسكندر، أمين: معسكر السلام الصهيوني، الثقافة السياسية العنصرية، مختارات إسرائيلية (٥١)، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ص٥٦- ٥٧.

(٢) يس، السيد: أوراق ثقافية، محنة العقل الإسرائيلي، الأهرام، ١١/ ٩/ ١٩٩٧، ص٢٤.

الأحداث الواردة فيه لا تؤيدها براهين أخرى من مصادر أجنبية، أو اكتشافات أثرية، مما ألقى بظلال كثيفة حول المصداقية التاريخية المرتبطة بالخلفية الدينية، وحول مزاعم الجماعة اليهودية حول الأرض، والتراث، والوعد الإلهي....إلخ»[1].

تعد أحداث النازية من المحاور الأساسية في التاريخ اليهودي الحديث، ومن الأعمدة الأساسية في بناء الأيديولوجيات الصهيونية، حيث تعوّل عليها في كل مخططاتها الاستعمارية في فلسطين، بدءا بقيام الدولة، ووصولا لدعمها للبقاء عليها، وذلك بالإنعاش المستمر لذاكرة اليهود في كل مكان لمنع تكرار تلك الأحداث .

ومن هنا، أصبحت أحداث النازية، منبع الإلهام للفكر الصهيوني، ومبررا كافياً لدى اليهود في اقتراف المجازر ضد الآخرين، وخاصة العرب في فلسطين، وأصبحت منبعاً لا ينضب من خلال تعويضات الغرب المادية، والمعنوية، والدعم المستمر من الشتات لإسرائيل.

وفي رواية «فويجلمان» ، يؤكد «ميجد» على مدى أهمية انتشار صناعة واستغلال تلك الأحداث في شتى أنحاء الشتات، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

«إنها صناعة كبيرة، دراسة واختيار جوهر الذين تمت إبادتهم، صناعة مزدهرة صاحبة حصيلة قوية.

لقد سمعت في هذا المؤتمر، بأنه توجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، يوجد اثنتان وعشرون كلية لدراسة أحداث النازية، تضمم حوالى خمسين أستاذاً، وكتبت مئات الكتب والبحوث، حتى الآن، ورسائل دكتوراه تصل إلى ألفي رسالة، إنها موضوعات ليست قليلة، علاقة «الدوبيرمانيم» مع عمال السخرة، والجرذان كناقلي جراثيم متسلقة في بوخنولدن وصناعة الفُرش فى ألمانيا، وملتقى يهوديات هولندا، وتأثير ديدان المياه على الجهاز الهضمى للمعتقلين في ميدنك.

وهناك من قال هنا في إحدى المحاضرات:

«إن التاريخ هو الذاكرة الجماعية للبشرية »

أما بالنسبة لى فهو ذكرى خاصة فحسب.

(١)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): العبرانيون وبنو إسرائيل، المرجع السابق، ص٣٣.

وبناء عليه، فأنا بئر مملوءة بالتاريخ»[١].

ونخلص من الفقرة السابقة إلى ما يلي:

* قوة يهود الشتات في أمريكا.

* تطرق موضوعات البحث حول النازية لأحوال اليهود الصحية في المعسكرات.

* أحداث النازية صناعة كبيرة مزدهرة ورابحه أيضاً!

* دراسات أكاديمية لموضوعات قديمة استحدثت لتثير العطف والشفقة من الجميع لليهود (التجارب الطبية على المعتقلين) في معسكرات النازية.

وأقصى ما تحصل عليه إسرائيل من أرباح أحداث النازية (الهولوكوست)، هو تبرير امتلاكها للأسلحة النووية، باعتبارها وسيلة حماية لوجودها، خوفاً من تكرار تلك الأحداث، وتستحق الدعم المستمر، لكونها مهددة، وبالتالى فهى المبرر الأساسي، أيضاً، في الدعم الفريد والضخم من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل.

ولكن «فويجلمان»، (بطل رواية فويجلمان) اليهودي الشتاتى والشاعر اليديشى، له رأى في التاريخ اليهودي وأحداث النازية، وما يثار عنها وحولها. فيقول:

وبالنسبة لهذا الأمر، فإن ما كتب هو عبارة عن أوراق إحباط، حيث إن إحدى قصائدى هى مجرد «نفاية»، وفي الواقع هذا صحيح، وهو نفسه لا يعلم كم هذا صحيح، حيث إنه إذا سألتنى عن تاريخنا، تاريخنا اليهودي كله، فهو عبارة عن نفاية واحدة كبيرة، منذ الخروج من مصر، وحتى اليوم — وإذا شاهدته معروضاً على خشبة مسرح التاريخ العالمى — ستجد أنه كله نفاية وميلودارما، مبالغات مخيفة، إذ إنه ما من أحد ذكى ومدرك يصدقها، كل شيء عاطفى إلى حد يصيب بالغثيان والضحك والبكاء، أيضاً»[٢].

إن هذه الفقرة تؤكد على أن التاريخ اليهودي، من بدايته، وحتى اليوم، نفاية، وغير واقعي، وأن الأحداث كلها لا تحتمل الصدق، على الإطلاق؛ لأنها عبارة عن مبالغات ومغالطات لا يقبلها أى عاقل، علاوة على الوقائع العاطفية التى تستدر العطف

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'214.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ'70- 71.

والدموع، ولا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية الثابتة؛ لأنها لا تستند على دليل.

وإذا كان هذا الحكم، صادر من يهودي شتاتي غربي (فويجلمان)، فإن هناك باحثين يهود، وأيضاً، في الشتات، أو في إسرائيل يسمون « المؤرخون الجدد»، يتطابق رأيهم تقريباً، مع هذا الرأى، وخاصة أن آراءهم مدعمة علمياً ووثائقياً. فقد « أكد كثير من المؤرخين عدم تاريخية بعض الحقب من حقبة الآباء، كالغزو، والقضاة، كما شككوا فى تاريخية بعض الرموز الأساسية، لكن ثمة افتراض ثابت عندهم » ناجم عن تأثير التفسير التوراتي، وهو وجود إسرائيل موحدة قديماً، غير أن الاتجاه الذى بدأ يتعزز، الآن، والذي يعتبر «توماس طومسون» «رائده»، هو اتجاه التخلى عن الافتراضات المسبقة التى فرضها التفسير التوراتي، والتاريخ يقوم على الأبحاث، وهو يتعلق بالطبيعة، وليس بما وراء الطبيعة، وتاريخ إسرائيل القديم، كما يؤكد طومسون لا يمكن استخلاصه من التوراة، كما أن أساس التقييم النقدى يبقى منفصلا عن التوراة في تاريخ نقوش وحفريات أقاليم فلسطين »[1] .

وبطبيعة الحال، إذا كان التاريخ اليهودي كله نفاية واحدة كبيرة، منذ الخروج من مصر، وحتى اليوم، فإن نقد المؤرخين الجدد، لا بد أن يمس تلك الجذور التى بنى عليها هذا التاريخ، وهو العهد القديم: «توحيد نقد الشكل مع نقد المصدر مكّن الدراسات النقدية التاريخية للعهد القديم من الاتجاه نحو وجهة جديدة في مجال تحليل المرويات التاريخية الذى بدا للكثيرين في الأصل منهجاً سلبياً هداماً، كما في انتقادات «فلهاوزن»، و «ماير»، وآخرين، وذلك بالاتجاه نحو التوافق في البحث عن تسوية تاريخية إيجابية. والفرضيات المتبادلة من اعتبار القصص التقليدية في الأسفار الخمسة الأولى تاريخاً تحول إلى خيال، إلى اعتبار الحوادث التى نشأت عنها هذه القصص تعكس تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديم، سرعان ما استوعبها جيل جديد من الدارسين، كافتراضات مسبقة، مسلم بها، ولا تناقش في جميع الدراسات التاريخية عن الكتاب المقدس وإسرائيل القديمة، مع «إيسفيلت» وجيله، دار مؤشر الرأى العام، بشكل حاسم، نحو هذا الاتجاه المحافظ»[2] .

(١)طومسون، توماس. ل: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ص ج.

(٢)المرجع السابق، ص ١٥.

وتطلق الصهيونية على ما تعرض له اليهود من النازية في معسكراتهم، اصطلاح «النكبة» (الشوآه)، لما لهذا المسمى من دلالات مهمة عند اليهود وغير اليهود، وهى من الأهمية بمكان، خاصة وأن كل من يتعرض لها بالسلب، سواء الإنكار والتخفيف منها، أو حتى التقليل من أعداد من تعرضوا للقتل في تلك المعسكرات، يكون نصيبه اللعنات والمطاردات اليهودية، في كل مكان.

ولكن في الفقرة التالية، نجد نقداً لاذعاً لتلك «النكبة» من خلال أحد الناجين من أحداث النازية، وهو واحد من يهود الشتات الغربي، بطل رواية «فويجلمان»، حيث يقول:

ما هذه النكبة (أحداث النازية) كلها – إن لم تكن ميلودراما رخيصة ؟ إنه ما من إنسان عاقل من بيت طيب مؤهل لأن يصدق أنه في الحقيقة حدث أمر كهذا، حيث حشروا ألفين من الرجال، والنساء، والأطفال، وهم عرايا في داخل حمام عمومي، وأعدموهم هناك بالغاز، كما لو كانوا يبيدون حشرات ؟ إنها مسرحية رخيصة لمؤلف مسرحى رديء، وذلك من أجل إيقاد رجه في قلب جمهور من الحمقى فحسب، ولابتزاز الدموع من عيون نساء سُذج».

خذ حادثاً معاكساً، لا لفظاعته، ولكن بالعكس لما فيه من المرح، كيف أننى وأخي، بعد سنة ونصف، في لحظة ما بين الحياة والموت، في معسكرين مختلفين، كنا متأكدين أنه لن يرى أحد منا الآخر للأبد، وفجأة، يتقابلان بجوار البيت المهدم الذى ولدا فيه، في مدينة خالية من اليهود، ويلتقيان، ويقع كل منهما على ذراعى أخيه، يتبادلان القبلات، وهما يبكيان ..أليست هذه ميلودراما؟

إن أحداثاً كتلك حدثت لمئات بعد الحرب، ابن ووالدته، وزوج وزوجته، أخ وأخت، – وفجأة يتقابل هذا مع ذاك فى شارع المدينة التى خربت، أو في محطة القطار، أو فى المطعم، أو في معسكر اللاجئين ...أليس عندكم شيء كهذا؟ إذا ما كان واحد ما في هوليود، وكان مؤلفاً لسيناريو خيالي، ويشاهد فيه كيف أن الإسرائيليين، أبناء المكابيين يدمرون في خلال ساعة واحدة سلاح الجو المصرى كله، وفى خلال ستة أيام يحتلون منطقة كبيرة تقرب من خمس أراضيهم، ويأتون في حملة ضاغطة واحدة حتى البحر المتوسط، حتى الخليل، ينفخون في البوق بجوار الحائط الغربي، هل كانوا

يقولون له كتبت سيناريو للمتخلفين، إن عقل الإنسان الذكى لا يقبله ؟

أليس بنفاية؟

صدقنى يا «هيرش» جميعنا على مدى تاريخنا، بما في ذلك ما تضمنه من مشاهد (مسرحيات) حماسية (مثيرة للشفقة) والتضحية.

فنحن ممثلون سيئون في ميلودراما رخيصة»[1].

إن استمرار النقد اللاذع للتاريخ اليهودي، بشكل عام، والحكم عليه بأنه (نفاية)، والتدليل على ذلك بمثال مهم جداً، وهو قضية (أحداث النازية) والسخرية منها، بأنها ميلودراما رخيصة لا يصدقها أي إنسان عاقل، وأن كل ما جاء فيها وما ورد في التاريخ اليهودي، ما هو إلا مشاهد مسرحية رخيصة تستدر العطف والدموع، كل هذا هو مزيد من التأكيد على صناعة التاريخ المزيف لاستدرار العطف والدموع.

ولكن الكاتب يعود ويبرر عدم تسليمه بما ورد فى أحداث النازية، بأن الآلاف منهم قد تم حرقهم في أفران الغاز، وهم مستسلمون، يشير إلى أن هذا لا يصدق، لأن الإسرائيليين أبناء المكابيين كانوا هم المنتصرين في حرب ١٩٦٧ م، وقاموا باحتلال أراضى عربية واسعة .

ولكن، ما علاقة ضعف أو قوة اليهود في شتاتهم أمام النازية وأساليبها ضدهم، بقوة اليهود في فلسطين، في موقعة لها سلبياتها وإيجابياتها من الطرفين؟!

وماذا يقول عنهم بعد هزيمتهم، في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م؟

وهكذا، فقد عرض «ميجد» فى رواية «فويجلمان» قضية أحداث النازية محدداً أن ما يثار عن أعداد القتلى اليهود على أيدى النازية، وكيفية قتلهم في أفران الغاز، ما هو إلا مشاهد تمثيلية رخيصة.

وإذا بحثنا عن الأسباب الحقيقية وراء مقتل اليهود في معسكرات النازية، نجد الإجابة مرة أخرى عند (أبيلفلد)، في رواية «حفرة الثلج»:

(١)מגד, אהרון: פוגלמן, שם, עמ'70 -71.

« في السادس من مايو ١٩٤٣ م، أحضرونا إلى هذا المعسكر، ومنذ ذلك الحين، أطلق علينا (وحدة العوارض الخشبية)، جسر مترامى الأطراف مقام فوق نهر «بوج»، ونحن ننقل على ظهورنا تلك العوارض الخشبية لبنائه، يبلغ طول العارضة الخشبية الواحدة سبعة أمتار، وقطرها متر واحد ، يحملها ستة رجال بصعوبة، لكننا، وللعجب لا نحملها فحسب، ولكن ننقلها من الساحة إلى بداية الجسر. وكان على كل طاقم أن ينقل خمسين عارضة خشبية في اليوم، وإذا لم ينجز الطاقم ما عهد إليه يعاقب بالجلد، كان تصورنا، في البداية، أن أيامنا لن تطول هنا.

لا يوجد بيننا رجال أشداء، وشهور الجوع التى سبقت مجيئنا إلى هنا أصابتنا بالضعف الشديد.

ومع كل هذا فنحن نعيش ونعمل لكى نعيش، هذا صحيح.

وكنا أسبوعياً نفقد اثنين أو ثلاثة من زملائنا، لكن الموت على كل حال، كان الموت داخلنا، وذلك لأننا لم نكن مؤهلين لأن نتألم أو نحزن.

انضم للكوخ الذى نعيش فيه مهندسان، وعدد من الصناع، وعدد من المدرسين من الجمنسيا، وضابط سابق، وأصحاب محلات وعدد من التجار والسماسرة، لا يوجد أحد منا مارس العمل اليدوى فى صغره، وهنا، وبشكل مفاجئ، تمر بهذه المحن، في الأيام الأولى، أصابنا اليأس المدمر، ولكن، حتى الآن، كنا نستيقظ كل صباح ونعيش، ولكنها ليست الحياة التى بها أمل، ولكنها حياة الساعات، كل ساعة هى اختبار جديد، اختبار يربطنا سويا، وفى الليل، فوق الأريكة ببقايا قوتك، تتخيل في داخلك أنك سيطلق سراحك من هنا حياً»(١) .

رسم الكاتب صورة كاملة لحياة اليهود داخل أحد معسكرات العمل النازية الواقع على نهر (بوج):

* جميع اليهود فى المعسكرات ضعاف الجسم، وأصابهم الوهن، بسبب الشهور الطويلة التى عاشوها جوعى قبل وصولهم المعسكر.

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'7 – 8.

* المعاملة صعبة جداً، وقاسية في المعسكر.

* أسلوب العمل شاق جداً، فكل مجموعة عليها حمل الأثقال، ونقلها لبناء الجسر، ومن يقصر يعاقب بالجلد.

* جميعهم من أصحاب الوظائف والمهن السهلة، ولم يعتادوا العمل اليدوى، منذ صباهم.

* الموت يسكن في داخلهم، والأمل ضعيف في خروجهم من المعسكر أحياء.

* نتيجة لضعفهم، وقلقهم، وظروفهم الشاقة، يموت منهم ما بين اثنين، وثلاثة أسبوعياً.

ومع زيادة اليهود كمجموعات كثيرة في معسكرات نازية كثيرة، وبإجمال الذين يسقطون موتى، يومياً، يأتي التفسير المنطقي لأعداد القتلى اليهود في معسكرات العمل النازية.

وعن رواية «حفرة الثلج»، ومعسكر «البوج»، كتب «ايلي هيرش»، يقول: «إن معسكر العمل على حافة نهر «البوج»، والأيام الأولى لإطلاق سراحهم، جهنم معسكر العمل، كما يبدو هو لب الرواية، وأعمال الاضطهاد، والجوع المرعب، والصراع مع الموت، والمعارضة، ومشاعر الاتهام المرتبطة به، والتمسك اللانهائى بالحياة، وتهديدات الإذلال والغضب الذى ليس له أساس، والنزوع للحياة الداخلية، كل هذه الأمور موصوفة بإجادة محددة، وبتمكن زائد[١]».

وفى موضع آخر من رواية «حفرة الثلج »، يصف «أبيلفلد» الحالة النفسية لليهود داخل معسكر العمل النازى.

«وفجأة، وبدون أي إنذار، بدأت علامات الاستحكام الشرس، وهذه البداية، تقريباً، ليست غريبة على الرائي، تحدث (هولندر) مع نفسه، واستمر في التماسك، والابتسامة التى كانت تضئ وجهه، على الدوام، أصبحت ضيقة ومشوهة، لقد شعر على ما يبدو بما

(١)הירש, אלי: ספרות, הסתבכותם חסרת התקנה של חוטי הזמן, מעריב, 15/ 8/ 1997, עמ'5.

يتعلق بالأمر المنتشر، وحاول تجاهله، ولم يمر زمن طويل حتى انطفأت الابتسامة، وذلك الذهول المتجمد هو ذهول متعدد القوة ، تجسد أمام عينيه، في حين طلب أن يطوى كل ما تراه عيناه في داخلة»[١].

في هذه الفقرة، بدأت علامات الاستحكام القوى، والمعاملة الشرسة تتصاعد، وتماسك أحد أبطال الرواية (هولندر)، وتحدث مع نفسه، ليبدو متماسكاً، ولكن حالته النفسية السيئة ظهرت على ملامحه وسمات وجهه، وضاعت ابتسامته، وظهر عليه الذبول، والوهن، والخوف من المجهول، وهذه الحالة النفسية السيئة مردودها بالطبع القلق والخوف، بالإضافة إلى تدنى قوة الجسم، مما يضيف سبباً من أسباب وجود القتلى والموت داخل هذه المعسكرات النازية.

وبطبيعة الحال إذا كان هناك حالات موت داخل تلك المعسكرات النازية للأسباب التى نوقشت من قبل (معاملة سيئة وقاسية – أجسام ضعيفة (بسبب الجوع) – أعمال شاقة لم يعتادوها من قبل – القلق النفسى)، فهناك من تحملوا، وتماسكوا، وبقوا على قيد الحياة، وبالتالي كتبت لهم النجاة، وخرجوا للحياة العادية، وكانت أمامهم مشكلة الحياة الجديدة بعد حياة المعسكرات، ومتاعب المستقبل المجهول. وهذا ما تعرض له «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» «وهناك مؤلفات أخرى وصفت مصير الناجين (الناجون من أحداث النازية)، فعبارة النهاية في رواية «حفرة الثلج»، في مقابل تلك المؤلفات، تنقل أبطال الرواية من عالم الرعب في معسكر العمل إلى الحياة التي تنتظرهم، بعد نهاية الحرب. المرة الأولى التي انتقل فيها «أبيلفلد» من المنطقة الروائية المعروفة عنده، ويجرب قوته في وصف الحياة التى تعقب الخروج من أسوار معسكر عمل نازي»[٢] .

وفي الفقرة التالية من رواية «حفرة الثلج» يتطرق «أبيلفلد» إلى الحالة النفسية لليهود في معسكرات العمل النازية، حال السماح لهم بالخروج من المعسكر، وتسريحهم للحياة العادية.

«ذات مساء، وبدون سابق إنذار، توجه إلينا، كما لو كنا لسنا أصدقاءه، ولكن مجرد

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הכרח, שם, עמ'10.

(٢)בלבן, אברהם: מאחורי הגדרות, שם, עמ'2.

جمهور يسمعه، وقال: « سأغادر هنا »

أنا مضطر للعودة للبيت.

سمعت أصواتاً يائسة كثيرة في هذا الكوخ المحرر، ولكن ليس مثل هذا الصوت.

توجه إليه دكتور يوخنبدر معلمنا المناوب، وقال : مارك .

إلى أين تنوي الذهاب؟ هذا السؤال أدهش «هولندر»، كتم أنفاسه، ولكن على الفور، قال: أنا ذاهب للبيت، كان هذا مفاجأة لنا، صوت لا يصدر من هذا المكان .

صوت عادى، ويحمل الخوف، وسرى بين رفاقه في حجرة المدرسين أنه يفكر في العودة للبيت، في موعد معين، وليس كما اعتادوا بعد وجبة الظهيرة»[1] .

هنا تطرق الكاتب إلى الحالة النفسية لمجموعات اليهود في المعسكرات النازية، بعد نهاية عملهم في تلك المعسكرات، والسماح لهم بمغادرتها للحياة العادية، وكان من الطبيعى أن تكون حالتهم النفسية في سعادة كبيرة، لكونهم من الذين نجوا بحياتهم، رغم الصعوبات القاتلة داخل تلك المعسكرات، وأيضاً، فرحتهم للخروج للحياة العادية التى حرموا منها لفترة معينة، ولكن العكس هو الصحيح بالنسبة لهم، لأنهم في حالة تشوش، وغموض عن الوضع خارج المعسكرات، وخاصة بعد نهاية الحرب، فمنهم من يتطرق إلى فكرة أنه سيغادر المعسكر، ولا يجد مأوى له، على الإطلاق، وربما لا يجد الأسرة، والأصدقاء، والأبناء، ويجمعهم جميعا شعور الإحباط، وعدم الوصول إلى قرار فيصل، في تحديد مكان وزمان الخروج من المعسكر.

ومن هنا، كان قرار «هولندر» بمغادرة المعسكر مفاجأة لزملائه بالمعسكر، وبالتالي، كان السؤال عن المكان الذى حدد الذهاب إليه، وكانت مفاجأة أخرى، أيضاً، بأنه ذاهب إلى البيت؛ لأن البيت بالنسبة لهم مجهول ؟ وبالتالى المصير مجهول، ومن هنا نجد التردد في اتخاذ قرار الخروج ومغادرة المعسكر من قبل غالبية أفراد مجموعة اليهود بالمعسكر .

ونخلص مما سبق إلى:

١- رغم صعوبة الحياة في المعسكرات النازية، فإن العمل بها يعد، مرحلياً، حيث

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'10- 11.

إن هناك نهاية عمل لكل فرد، ثم يتم تسريحة للحياة العادية.

٢- هناك نوع من التسريح الجماعى لمجموعات من اليهود بالمعسكرات (كوخ محرر).

٣- حالة التردد في الخروج للحياة العادية، حالة عامة، بالنسبة ليهود المعسكر، بسبب عدم وضوح الرؤية عن الحياة المدنية، وخاصة بعد الحرب، وأصبح المستقبل مجهولاً أمامهم.

٤- صعوبة أخذ قرار العودة للبيت للاحتمال الكبير بعدم وجود هذا البيت، ولا أهله.

٥- هناك تفكير طويل وعميق، وربما تخطيط جماعى أو فردى للخروج من المعسكر، بدليل أنه كان من حقهم مغادرة الكوخ، ولكنهم باقون به، وكان خروج أحدهم للبيت مفاجأة تحمل الخوف؛ لأنه قرار متسرع، وغير مدروس .

«في القسم الأخير من رواية «حفرة الثلج » «لأهارون أبيلفلد»، نجد وصفاً لمعاناة النفس، في أعقاب التسريح من المعسكر، حيث عاد «أبيلفلد» للمنطقة التى تميزه. الفقرات التالية تعطى إقناعاً واهتماماً بأكثر من سابقيها. وصف «أبيلفلد» وصفاً جيداً قلق الناجين عند العودة للعالم الخارجى الذى تركوه وهم لا يعلمون ماذا حل بذويهم، وعدم المعرفة تلك ولدت عندهم أحلاماً وكوابيس حيث يجنحون إلى المجهول، ويفحصون المتاح لهم من حياتهم القادمة، وما اختفى، دون رجعة »[1].

ويناقش «أبيلفلد» عقدة البيت والعودة له بعد التسريح في الفقرة التالية «حفرة الثلج»:

« لم يقو رجل، حتى الآن، على الحديث بوضوح عن البيت، بالتأكيد، تم ذكر البيت عرضاً، لكن دون تفصيل، كما أنه لا يوجد من يتحدثون عن مرض عضال، أو عن موت خاطف.

وفجأة، أزاح «هولندر» قناعاً ثقيلاً، وقال:

أنا تركت زوجتى وابنتى الاثنتين، من يحافظ عليهن؟ شَّع الخوف من عينيه كما لو كان قد رأى هاوية .

(١)בלבן, אברהם: שם, עמ'2.

ليس برغبتك تركتهن، وجئت هنا «يامارك» .

طلب الدكتور «بوخيندر» نسيان أوهامه، ولكن بالتأكيد انفجرت التفاتة ضعيفة عن ذلك اليوم الذى تم اعتقالنا فيه فى الجيتو، وأحضرونا إلى هنا.

تم القبض على «هولندر» عند صديقه، عندما كان يلعب الشطرنج.

ذكر هذا الخطأ مرات قليلة بصورة عابرة، ولكن في هذه المرة ذُكر بكلمات واضحة»[١] .

يمثل البيت عقدة عامة عند مجموعات اليهود في معسكرات العمل النازية، فكل حالة منهم لها أسبابها الخاصة في القلق على مصير البيت، ومصير من تركهم به، وأسباب تركهم.

وفي هذه الحالة، نجد الشعور بالذنب، وتأنيب الضمير، من قبل صاحب البيت؛ لأنه وقع في خطأ أودى به إلى غياهب المعسكر، وترك زوجته وابنتيه في مصيرهن المجهول، وذلك لأنه كان يتسلى بلعبة الشطرنج مع أحد زملائه، في وقت الحرب، وبالتالى تم القبض عليه، وترحيله لهذا المعسكر.

وكان الجسر الذي بناه اليهود على نهر «البوج»، وهم في معسكرهم النازى، محورا مهماً دارت حوله رواية «حفرة الثلج»، حيث سار عليه الناجون وهم في طريقهم للبيت. « فالرواية تبدأ بجسر، وتنتهي بجسر، الجسر الضيق الذى سار عليه الناجون، وهم في طريقهم إلى البيت المجهول، الجسر المقام بين هنا وهناك الذى توسط حلقات حياة المؤلف من أمام وخلف، هذا الجسر الذى بنى ليس فحسب، من عوارض الخشب، وقطرات دم، وعرق الناجون، ولكن، أيضاً، من خلال مشاكلهم وتخوفهم. هل أبناء أسرهم باقون على قيد الحياة ؟ ماذا بقى من منازلهم ومقتنياتهم ؟ هكذا يبنون لأنفسهم حياة جديدة في ظل كل ما مر بهم ؟ الرواية تنتهى بإحساس متداخل بين الخوف والأمل، في الوقت الذى نجد فيه أبناء الجماعة الناجين من «حفرة الثلج» يضعون منقولاتهم المتواضعة فى الحافلة، وينوون صعود الجسر. وهناك تنتهى الرواية، وقد توجهنا للعالم بنداء بأننا لا نعرف ماذا وجدوا، وكيف تصارعوا »[٢] .

---

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'12.

(٢)באומל, יהודית: לגעת בקור, לגעת בחושך,מכרה הקרח, אהרון אפלפלד, הארץ, גליון (269), 22/ 4/ 1998,עמ'5.

وهكذا، فقد رد «أهارون أبيلفيلد » في رواية «حفرة الثلج» معاناة الناجين من أحداث النازية، وهم في شتاتهم، إلى مصيرهم المجهول، بعد الخروج من المعسكرات، والمعاناة النفسية المتمثلة في القلق على مصير البيت، والأهل، وترك الباب، مفتوحاً، للبحث في تصور ما حدث لهم بعد ذلك.

وفي رواية «فويجلمان» أصدر «ميجد» حكمة على التاريخ اليهودي عامة؛ بأنه نفاية، بل نفاية كبيرة، من أوله حتى آخره، وبطبيعة الحال، فأحداث النازية، تشمل جزءاً مهماً في ذاكرة هذا التاريخ أيا كان.

ولا يزال البحث مستمراً حول تلك الأحداث، وبكثافة، وخاصة في الشتات الغربي، وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد رصد «ميجد» هذه الدراسات، وهذا الاهتمام، على الرغم من رفض الشباب الشتاتي الغربي لتلك الأحداث، وحتى مجرد اجترارها.

ويرجع الاهتمام بالبحث والدراسة لأحداث النازية، إلى الرغبة الصهيونية فى إشعال حماس اليهود، وتنشيط ذاكرتهم في الشتات، وكذا جلب التعويضات من الدول الغربية لدعم إسرائيل.

وفي هذه الفقرة من رواية «فويجلمان» جانب من هذا البحث:

« بعد فترة قصيرة من الصمت، قلت :أخبرني والدك في إحدى لقاءاتنا الأخيرة، أنه بدأ في تأليف معجم عن أحداث النازية، من حرف الألف حتى حرف التاء، من أوشفيز حتى تئومى مخلاة، حسبما قال، ولا أعلم إلى أى حرف وصل في الكتابة.

نصب قامته، وشعَّ من عينيه ضوء للتذكر، أو المفاجأة ، وقال : نعم ؟

لكن على الفور – كما لو كان يكبت مشاعره – وعلق بسخرية، قائلاً:

ذلك هو الحنين إلى ماضيه.

دهشت : حنين إلى أحداث النازية ؟

هذا ... مفهوم التناقض ..أنا أعلم .. تلعثم ..لكن يوجد شيء ما كهذا .. كلا : ليس

حنيناً إلى تلك الأيام، بالطبع ....لكن إلى مشاعر معينة . الاختيار ..صفة الخصوصية بالعلم، بالتاريخ الإنساني، مختارون .

أصابتني الأحزان كما لو كانت موجة من الأحزان حلت فجأة على الجميع على الحجرة مع كتبه الموضوعة جانباً، على المرآة الصغيرة المصقولة، كان التوتر على أية حال في داخله، من عالم الليل الممتد من خلال النافذة .

خلعت نظارتي ونظفتها بمنديلي، وهمست، وقلت : سخف، وبطريقة أخرى، بطريقة أخرى لا يمكنني أن أوضح ذلك لنفسي، «البحث مستمر ومتواصل، دون نهاية، احمر وجهه ثلاثون سنة، أربعون سنة، متعة البحث داخل موجة رفات، لأى غرض؟

على كل حال هذه حكاية، رويت بلسان أحمق، دون صخب وغضب، دون سابق معرفة»[1] .

وقد أوضحت الفقرة السابقة، ما يلي :

١- استمرار البحث والدراسة في أحداث النازية فى الشتات الغربى.

٢- النظر بعين السخرية من الشباب اليهودي الغربي بالشتات. (نجل فويجلمان القائم بالدراسة) للنازية، وأحداثها، وما يدور حولها، فالبحث ثلاثين و أربعين سنة في الرفات، أمر غير مقبول عليه .

ولكن من وجهة نظر اليهودي الشتاتى، وهو من الناجين من أحداث النازية بأن أحداث النازية جزء يميز التاريخ اليهودي.

ولكن الأساس في ذلك كله هو إنعاش ذاكرة اليهود والغرب بتلك الأحداث؛ بغرض المنفعة، وجلب الدعم المستمر لإسرائيل.

ولا زالت الصهيونية تجنى ثمار «أحداث النازية »، حتى اليوم، متمثلة في دعم الشتات والغرب لإسرائيل.

ويبدو ذلك واضحاً في الفقرة التالية من رواية «فويجلمان» «الميجد» :

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'17.

« إذا كانت المذابح اليهودية قد منعت، وكذا القتل، والنهب، والدمار، والإبادة، هل كان هؤلاء اليهود قد تحولوا عن ديانتهم ؟

أو كانوا يندمجون (يذوبون في شتاتهم) ؟

يقيمون بكل ورع ٦١٣ وصية دينية .

ينتقلون من معسكر إلى معسكر مناهض ؟ ينظمون دفاعاً ذاتياً؟

يقيمون صرحاً أمام مضطهديهم، ولا يعتمدون على وسائل حمايتهم، يهاجرون بجماهيرهم ؟

وإلى أين تكون الهجرة ؟»[١] .

تنظر الصهيونية إلى «أحداث النازية »، حسبما صورت وقائعها كما شاعت أمام اليهود في الشتات، بأن لها دوراً إيجابياً في إنعاش ذاكرة اليهود بالتخوف من تكرارها، ومن هنا، تتفجر لديهم نزعة الخوف من الاستعداد للرحيل والهجرة لإسرائيل، وسلب التعويضات والتبرعات لدعم إسرائيل، وهذا هو ما تسعى إليه الصهيونية .

وتعتبر الصهيونية أحداث النازية، أو كما تطلق عليها «النكبة»، أنها هى التى شدت من أزر اليهود في الشتات، ليحافظوا على دينهم، ويدافعوا عن أنفسهم، ومن ينوى الهجرة فليتوجه لإسرائيل!



(١)מגד, אהרון: שם, עמ'83.

الفصل الرابع

الشتات اليهودي بين الرفض والتقدير في الرواية العبرية المعاصرة

المبحث الأول: رفض الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة

«بحث دكتور ج. تامارين ود. تسفي التصور الذاتي للصبار، في مواجهة اليهودي الشتاتي، في بحث أجرى، عام ١٩٦٩م. وقد كانت نتائج البحث الذي كان رائداً في هذا المجال نتائج شاملة. إن «الصباريم» الذين طلب منهم تحديد ملامح الشخصية الصبارية وصفوا نموذجاً مثالياً يتناسب مع الأسطورة الصبارية، ووفقاً لهذه الإجابات كانت صورة الصبار على النحو التالي:

المظهر الخارجي: طويل، له خصلة شعر على جبينه، قوي متين، أسود ذو عينين لامعتين، شعره أصفر أو رمادي. أما الملابس: فتتسم بالبساطة واللامبالاة، سروال، قبعة مائلة. الشخصية: فعَّال (يقظ، أحياناً، هائج) عدواني (عنيف ومتمرِّد) يفتقر إلى الكياسة، متفاخر متكبر، وطني، مؤثر، خشن الطباع، مقبول، وصاحب موقف، طيب القلب، جاد ومتزن، يقظ، وعاقل، حر، هادئ، ريادي، لديه حاسة السخرية.

وفي مقابل هذه الصورة للصبار كانت ملامح اليهودي الشتاتي، أحدب ونحيفًا، ذا نظرة غريبة، ضعيفًا ومتمارضًا، عيناه عصبيتان، لديه ضفائر سوداء ولحية، شاحب، وإذا كان بالغاً تظهر عليه علامات الشيخوخة مثل الرعشة، أو التجاعيد، ويرتدي ملابس تقليدية أوربية باهتة وبالية، وعلى رأسه قبعة أو طاقية. ومن حيث شخصيته فهو منغلق وغريب في كل مكان، يستولى عليه الخوف والشك، يبتعد عن مخالطة الناس، ديني تقليدي، ثقيل الحركة، ويفتقر إلى اليقظة والنشاط، ليست لديه ثقة في الذات، منحط، هادئ، ومتواضع، صامت، خجول، مرتبك، يلتزم بالأدب، ومنصاع، متكرر، ولا يستمتع بالمباهج، تظهر عليه آثار مشكلة يعانيها، تلميذ مجتهد، يعمل في المسائل

الروحانية، جاد، بالغ روحانياً. أما المرأة اليهودية الشتاتية فملامحها على النحو التالي: حدباء، نحيفة، أو قصيرة، وممتلئة، ذات شعر أسود، عيناها عصبيتان سوداوان، أو لامعتان، ونظرتها شاحبة»[1].

وأصبح من المعتاد أن ترديد صدى القوة والاستعلاء على لسان قادة إسرائيل في خطبهم وأحاديثهم، وبشكل خاص، عندما يعقدون المقارنات بين ضعف وجبن اليهودي الجيتوى (إزاء تجربة النازي)، في مقابل شجاعة الإنسان الإسرائيلي الجديد. في ٢٩ إبريل ١٩٧٣م، وفي ذكرى مرور ثلاثين عاماً، على أحداث جيتو وارسو، تحدث ديفيد إليعازار، رئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، عن تجربة النازي ومغزاها، وعن مغزى انتصارات إسرائيل على العرب، بقوله: «ينبض فينا اليوم إحساس بأن القوة هي أمر حتمي، لذلك فقد أقسمنا بأن نكون أقوياء مسلحين، وقررنا ألا نعتمد على فضل الكرماء، وألا نرهن وجودنا بموافقة الآخرين»[2].

وقد كان من بين النتائج التي ترتبت على رفض اليهود للسلوك الذي اتخذه يهود الشتات إزاء النازية، واستسلامهم المخزي للذبح دون مقاومة، أن ظهر يهودي من نوع جديد في فلسطين، اعتباراً من منتصف الأربعينيات، بتأثير الحرب العالمية الثانية، يهودي عنيد، وعدواني متشائم، ومقاتل»[3].

وكان للأدبيات الصهيونية دور بارز في محاولة تصفية الشتات، من خلال كتابات تضخم سلبياته، في مقابل إيجابيات مزعومة للمقابل القومي، من خلال رؤية صهيونية «بأن معاداة السامية أمر طبيعي منطقي؛ لأن اليهودي في الشتات شخص غير منتمٍ، غريب، لابد من إعادة توطينه في وطنه القومي. ولتبرير هذا الموقف كان على الصهاينة أن يبينوا تفوق النموذج القومي اليهودي، وأن يبينوا تدني وشذوذ النموذج التقليدي – أي نموذج يهود الدياسبورا الذي يجب تصفيتهم. لكي يبرر الصهاينة قولهم بشذوذ يهود الشتات فإنهم أقاموا نقداً متكاملاً وتفصيلياً للشخصية اليهودية في المنفى «على أساس أن الاتهامات» المأخوذة من كتابات المعادين للسامية في الغرب. واليهود في

(١)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.
(٢)المرجع السابق، ص ١٤٧.
(٣)المرجع السابق، ص ١٤٧.

الكتابات الصهيونية مرابون« وشخصيات يحيون مثل الكلاب والنمل »يجمعون المال، ويتبعون قيم السوق»[1].

ويتحول النقد الصهيوني ليهود الشتات، أحياناً، إلى تصوير كاريكاتيري. فكلاتزكين، مثلاً وصف اليهود بأنهم شعب « قلق، وبلا جذور، يعيش حياة زائفة وفاسدة». واليهودي عند بنسكر، وبنص كلماته – «ضيف في كل مكان»، «وليس في وطنه في أي مكان»، «ويتنقل كشبح من بلد إلى آخر، كجسم غريب»، فهو نصف ميت، سيطر عليه مرض الترحال« ونجد نغمة واضحة معادية للسامية تميز كتابات إسرائيل سنجر، الكاتب الصهيوني، فاليهود بالنسبة له شعب «منحط، قانط، يحيى في القذارة»، وهم مجموعة من آسيا، تحيا وسط أوروبا»، وهم – ككيان مستقل – يمثلون حدبة واحدة كبيرة»[2].

وفي مقال بعنوان «دمار الروح»، جمع كوفمان مجموعة من أوصاف اليهود في الكتابات الصهيونية، على الوجه التالي:

فريشمان: حياة اليهود حياة كلاب تثير الاشمئزاز.

برديتشفسكي: ليسوا أمة، ليسا شعباً، ليسوا آدميين.

برنز: غجر، وكلاب قذرة – كلاب جريحة، لا إنسانية.

يهودا ليف جوردون: طفيليات – أناس لا فائدة منهم، أساساً.

شوادرون: عبيد وبغايا.. أحط أنواع القذارة، ديدان، وطفيليات، نجسة بلا جذور[3].

وقد بدأت الصهيونية وهي ترفع شعار «رفض المنفى»، ولكن بعد قيام الدولة، وخوض إسرائيل العديد من الحروب، في إطار الصراع العربي ـ الإسرائيلي، اتجهت إلى تعديل موقفها، وانتقلت من «رفض الشتات» إلى «تقدير الشتات»، وخاصة الشتات اليهودي في أمريكا وأوربا الغربية، بعد أن استنفذت الهجرة اليهودية كل المخزون

(١)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): الحركة الصهيونية، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢)المرجع السابق، ص ٤١ – ٤٢.

(٣)المرجع السابق، ص ٤٢.

البشري، من يهود البلاد العربية والإسلامية، ومعظم المخزون البشري من شرق أوروبا، الذي أصبح مصدر دعم مادي وعسكري، عظيم الأهمية بالنسبة لإسرائيل. وهكذا فإنه بدلاً من «مركزية إسرائيل» أصبح هناك «مركزية الشتات»، أي أنه بدلاً من أن تكون إسرائيل هي المسؤولة عن حماية اليهود، أصبح الشتات اليهودي هو المنوط به حماية إسرائيل ودعمها، وصمام الأمان لاستمرار وجود الدولة اليهودية، وبذلك تكون مقولة الصهيونية التي بررت بها قيام الدولة لليهود قد سقطت[1].

وقد تبدلت النظرة تجاه الشتات، وحدث تحول كبير في الأدب الإسرائيلي المعاصر، بعد حرب ١٩٦٧م، حيث عبر الأدب عن المساندة، غير المسبوقة، من الشتات اليهودي للكيان الإسرائيلي، بعد الإعجاب والتفاخر بنتائج تلك الحرب. ومن هنا تبدلت نظرة الكتاب من التدني لليهودي الشتاتي واحتقاره، إلى تقديره والاعتماد عليه. وقد ازداد هذا التقدير مع الشعور بالحاجة الماسة لمعاونة ومساندة الشتات اليهودي لدعم الدولة وبقائها، وخاصة بعد هزيمة حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، والشعور بأن إسرائيل معرضة لخطر الزوال والإبادة، ومن هنا جاء التقدير المتبادل بي الشتات والدولة.

وقبل أن نتعرض لتقدير الأدب الروائي للشتات اليهودي، وصورة اليهودي الشتاتي الإيجابية، نعرض النظرة السابقة للصورة المتدنية لليهودي الشتاتي، وذلك في رواية «فويجلمان» لميجد.

في الكراسة الثانية «لفويجلمان» عثرت على الجزء التالي:

«جلست في صالة السوربون، وسمعت ثماني محاضرات من الدارسين الذين تجمعوا وجاءوا من حوالي اثنتي عشرة دولة لهذا المؤتمر، لبحث أحداث النازية.

أستاذ واحد من بلجيكا، رجل مرتب، صاحب قامة طويلة، هيئته محترمة، يرتدي بزة دون زيادات، حاضر لما يقرب من ساعة حول علاقة الصليب الأحمر باللاجئين اليهود، والمعتقلين بمعسكرات الإبادة.

(١) الشامي، رشاد (دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة (٢٢٤)، ١٩٩٧، ص ١٩

المحاضر الثاني من كندا، قصير، يرتدي نظارة، له صوت صارخ، قرأ موجز البحث الذي ألفه – كمن يقرأ بنود بعقد – حول العلاقات بين سلطات «هورطي» في هنجاريا، وبين سلطات الاحتلال الألماني، في عام ١٩٤٤ ، بشأن حل مسألة اليهود.

المحاضر الثالث أستاذ «يهودي» من فيلادلفيا، إنسان مفعم بالسرور (البهجة)، له كرش، وجنتاه معلقتان مثل كيسي سكر صغيرين على جانبي وجهه، قدماه قصيرتان، ومشيته تشبه مشية البط، ألقى محاضرته بطلاقة، وبشهية كبيرة عن التقديرات المختلفة حول عدد الموتى في كل فرن من أفران الغاز.

أستاذ ألماني شاب، يبلغ من العمر حوالي ٣٥ عاماً، له ملامح صبي صغير، الحمرة تضرب وجنتيه، تحدث بانفعال حاد عن تأثير أحداث النازية على اللغة الألمانية، وتركيب جملتها.

امرأة صغيرة تبلغ من العمر حوالي ٥٥ عاماً، أو ٦٠ عاماً، صاحبة نظرة جادة جداً (صارمة جداً)، ونبرة حديث جدي ومعبر من إسرائيل، تحدثت بلغة فرنسية بطلاقة حول أعمال «يدفاشيم» بتجميع الشهادات تحريراً، أو شفاهة، وادخارها.

أستاذ نمساوي، نحيف، وطويل القامة، يرتدي نظارة مثبتة بدون أذرع، وله شارب مربع، برهن بأدلة كثيرة أن (فرماخت) في دول الاحتلال الألماني كان على علم بأعمال الإبادة، ولكنه شارك في جزء منها[1].

الفقرة السابقة مليئة بأمور كثيرة أراد الكاتب إبرازها حلول أحداث النازية، والمهتمين بها على مختلف جنسياتهم، سواء في الشتات، أو في إسرائيل، ولكن ما يهمنا هنا هو وصف المحاضر اليهودي الشتاتي، وما أراد الكاتب إظهاره من تدني صورته في مقابل الآخرين، وبالذات في مقابل المشارك الإسرائيلي في المؤتمر (سيدة).

أولاً: صفات المحاضر اليهودي الشتاتي :-

١- الشكل الظاهري :-

أ- هيئته غير متناسقة، وله كرش.

(١)מגד אהרון: שם עמי 212.

ب- الوجه: وجنتاه معلقتان مثل كيسي سكر صغيرين، على جانبي وجه.

ج- القدمان: قصيرتان.

د- المشية: تشبه مشية البط.

٢- المشاعر والأحاسيس :-

متبلد المشاعر والأحاسيس، حيث يوصف بأنه «مفعم بالسرور والبهجة، وهذا لا يتناسب مع الموقف الذي هو فيه، حيث يقوم بعرض موضوع درامي مأساوي عن أحداث النازية وقتلاها اليهود بني جلدته، وهو على هذه الحال من السرور والبهجة.

ويلقي محاضرته «بطلاقة» وشهية، على الرغم من أنه في موضع صعب، حيث يتناول التقديرات المختلفة حول عدد الموتى في أفران الغاز، ما بين فرن وآخر في معسكرات الإبادة المختلفة، وكان من الطبيعي أن تبدوا عليه علامات التأثير الطبيعية التي تصيب أي إنسان في هذا الموقف، ولو شيئاً من التلعثم، أو التوقف، أو التردد، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، وسرد هذه الأمور، وأدلى بهذه الإحصائيات، بكل طلاقة.

ثانياً: صفات المحاضر الإسرائيلي

المحاضر الإسرائيلي امرأة وصفت بأنها صغيرة، على الرغم من تقدمها في العمر (٥٥ - ٦٠ عاماً)، مما يدل على احتفاظها بشبابها، وهيئتها الشابة القوية، حيث تملك نظرة جادة جداً تصل لحد الصرامة، وحديثها معبر بتلك الجدية والرصانة، وهي تجيد الفرنسية، حيث ألقت بها محاضرتها وبطلاقة، حول أعمال مؤسسة «يد فاشيم» في الحصول على شهادات عن أحداث النازية، سواء مكتوبة، أو شفاهة، وحفظها للاستفادة منها في وقت الحاجة.

ومن هنا يبرز الفارق الكبير في وصف اليهودي الشتاتي، في مقابل اليهودي في إسرائيل، سواء من حيث الشكل والمضمون، وبالتالي سيظهر الفارق واضحاً فيما بعد، عندما يبدأ التقدير بالنسبة للشخصية الشتاتية عند الأدباء المعاصرين في رواياتهم.

كتب إيهود بن عيزر، يقول: «إن الصبار يحتقر اللاجئين / اليهود، والذين وصلوا إلى فلسطين بعد النكبة، أولئك بالذين لا يعرفون حتى العبرية، وليست سراويلهم مطوية،

بل تتدلى حتى الركبة، وسلوكهم يدل على الضعف، ومتشبهون بالنساء». «وقد أصبح ظهور هذه الشخصية العبرية الجديدة «الصبار»، مقروناً بتحقير توأمه، وهو في الجيتو. وقد ترجم رفض «الجيتو» في الواقع الإسرائيلي إلى رفض لليهودي الجيتوي، وأصبحت شخصية رجل «الجيتو» مرفوضة، وتقرب في حالات كثيرة من الشخصيات المعادية للسامية التقليدية. وفي التصور الذاتي نجد أن «الصبار» الكلاسيكي بعيد عن «اليهودي الجيتوي»، إنه يحتقر عجزه، ويكره ضعفه، إنه يشعر أنه أقرب كثيراً من «الشعب السليم في جسده وروحه، عن ذلك «اليهودي المعقد» في الجيتو كوصمة عار ليهود أوروبا »الذين ساروا كالشاة إلى المذبحة[1]. وعليه فقد أصبحت شخصية «الصبار» نموذجاً مثالياً يعبر عن القوة، في مقابل ضعف النمط الجيتوي للشخصية اليهودية، وأصبحت هناك نظرة تعالي من قبل الصباريم تجاه تلك الشخصيات، وذلك من خلال الأدب العبري المعاصر لهذه الأيديولوجية الصهيونية.

شخصية اليهودي الشتاتي في عيون الصبار الإسرائيلي

رصد «أهارون ميجد» في رواية «فويجلمان» النقد اللاذع من قبل الصبار الإسرائيلي لليهودي الشتاتي المتمثل في شخصية «فويجلمان» (الشاعر اليديشي المقيم بباريس):

« تسفي أربيل، يقول: اطلعت «نورا» زوجتي على الخطاب الذي وصلني من باريس. وعندما ترجمت سطور التحية.

قالت (نورا): «إنه إنسان مضحك».

وعندما أشرت لها على العصفور المرسوم فوق اسمه.

قالت: لا يدل على حكمة كافية.

قلت: نزوة شاعر.

تصفحت الخطاب، وقرأته بعدم اهتمام، عدد من الأشعار، لم تلق استحساني، كانت معظم تلك الأشعار تأبين ورثاء، من الواضح أنها مكتوبة بيد خبير بشئون أحداث النازية – الخراب – القتل – الدمار – أو أشعار الشوق للعالم المنصرم الذي لم يعد مرة أخرى.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٥ – ١٠٦.

وأنا غير معتاد على قراءة تلك الأشعار، ولا أملك القدرة على دراستها[١].

عرض «تسفى أربيل» (الصبار الإسرائيلي) الخطاب الوارد له من اليهودي الشتاتي (فويجلمان)، على زوجته «نورا»، حيث كان رد فعلها المباشر بأن فويجلمان إنسان مضحك ولا يملك الحكمة. وهذا رأي صائب من ناحيتها، فهي (صبارية) من مواليد إسرائيل، وترفض الشتات، ورموزه، وشخصياته المتدنية بالنسبة لها.

وقد كان رفضها له صائباً، فقد أوردت أحداث الرواية فيما بعد أنه كان السبب في انتحارها، وتدمير استقرارها، وسعادة أسرتها.

وعلى الرغم من العلاقة التي تربط بين «فويجلمان» ، و«تسفي أربيل» إلا أن أربيل أعرب عن عدم اهتمامه برسالته، وما جاء فيها، وقرأها دون اهتمام، وأكد على رفضه لتلك الأشعار التي جاءت فيها حيث تعبر عن دراما أحداث النازية من الخراب، والقتل، والدمار، وقد اعتبرها منسوجة بيد خبير بتلك الفواجع، وهذا ما يرفضه هو، تماماً، ولا يجيد دراسته على الإطلاق.

ويتطابق الوصف الأدبي في رسم صورة الشخصية الشتاتية، عند «ميجد» وآخرين، فقد وردت كلمة «مضحك»، عند ميجد، وفي كتاب «عميرام أميتاي»، حرب المستنقعات، وفي قصة «نحن نساعدك»، ويعرض «الفتى الجيتوي» الكلاسيكي في هذه الصورة، شاحب الوجه، أصفر، الشعر، ذو ملابس غريبة، ووجهه مستدير.. مثل وجه طفلة – لا يسري فيها لدم .. وشعره الأبيض الأصفر ممشط باعتناء على جبينه الأبيض الناعم، إنه باختصار، النقيض الكامل للمجتمع الصباري الذي يستقبله بالسخرية المعتادة: «بحياتي، إنه مضحك»[٢].

ويستمر النقد لشخصية اليهودي الشتاتي ورمزها في الرواية «فويجلمان»، من خلال هذا الحوار:

«تسفي أربيل» قلت: لكني لا أعرفه شخصياً و م . ش. قال إنه قابل (هذا اليهودي)

(١)מגד אהרון: שם עמי ٣٠-٢٩.

(٢)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): الشخصية اليهودية، المرجع السابق، ص ١٠٨.

في السوربون في اجتماع قومي لبحث أحداث النازية، عقد هناك، وحضر جميع المحاضرات جلس في وسط الجمهور، قليل العدد، ما بين ١٢ أو ١٣ شخصاً، وبعد محاضرته توجه إليه، وقال ما قاله عني وعن كتابي، وطلب إرسال التحيات لي.

سألت من أي نوع (هذا اليهودي) فويجلمان،

قال: يهودي متحمس، يبعث على السخرية بعض الشيء حيث إنه كان يحاول بين كل محاضرة وأخرى أو بالكافيتريا، اقتناص محادثة مع هذا أو ذاك: مع بروفيسور من نيويورك، ومع محاضر من جنيف، يتحدث بأسلوب الجدال.

هل يتحدث العبرية؟

عبرية ليست سيئة، لكن قديمة بعض الشيء، لكنه يتحدث بها.

هل قلت إنه يلقي الشعر؟

لم يكشف لي عن ذلك.

في نفس المساء، جلست لكتابة رسالة شكر، تأخرت شهرين تلك الرسالة، كانت الخطأ السابق إذا كان في الإمكان قول ذلك، فهي سبب الأسباب لكل الذي حدث فيما بعد[(١)].

تضمنت الفقرة السابقة رفض شخصية اليهودي الشتاتي «فويجلمان»، على الرغم من مشاركته في عمل وصف بأنه قومين وهو بحث أحداث النازية، حيث وصف بأنه مدعاة للسخرية من خلال تصرفاته التي أراد الكاتب أن يبرهن بها على أن الشتات يسكن في أغوار نفسه. فمن صفاته، التنقل من مكان لآخر، ومن شخصية لأخرى، ويتحدث ويجادل بصورة غير طبيعية، مما يدل على عدم استقرار نفسي في داخله، حيث يمكن وصفه كإنسان قلق، علاوة على وصفه بأنه «يبعث على السخرية.

وقد أشير إليه في الفقرة السابقة، مرتين بالإشارة الاستنكارية (هذا اليهودي)، كما لو كان المتحدث غير يهودي، فإذا كان المتحدث هنا هو «أربيل» اليهودي الصبار، فهذا

(١)מגד אהרון: שם עמי ٣١-٣٠.

يدل على محاولة التنصل منه، ومن شخصه، وأفعاله، وإظهار عدم التقارب بينهما.

وتختتم الفقرة بالندم، الذي أبداه «أربيل» على رده على رسـالة «فويجلمـان»، والتـي تمت العلاقة بينهما على إثرها، وترتب عليها مـا حـدث فيمـا بعـد. مـن أمـور إيجابيـة لليهودي الشتاتي تتمثل في ترجمة كتاب أشعاره باليديش للعبرية في إسرائيل، ومن أمـور سلبية أدت إلى انحراف «نورا» زوجة «أربيل»، ثم انتحارها، وتدمير أسرة أربيل، وهـدم سعادتها للأبد.

ويؤكد «أربيل» على بغضه لشخصية «فويجلمان»، وأنه السبب في كل ما حدث له من دمار عائلي، من خلال ما رواه لابنه الصبار الإسرائيلي، الشاب «يوآب» :

أربيل «ليوآب»: أنا ملزم أن أروي كيف تسلل (إنسان غريب) لحياتي ودمرها، دمرها تدميراً كاملاً، إذ لولاه وكل ما يتعلق بتلك العلاقة بيننا، فلـم يتوقـع، ولم يحـدث، ومـن المفترض إمكان القول بأن «نورا» (زوجتي) كانت باقية على قيد الحياة، حتى اليوم.

كانت حياتنا سعيدة.

نعم (يا يوآب) كانت لنا حياة سعيدة.

هل تشك في هذا؟

هل تشكك في أني فعلت ما في وسعي لإخراج أمك من كآبتها، في الشهور الأخيرة؟

على الرغم من كل الذي عرفته؟

إنك لم تعرف

وما لم تتمكن من معرفته؟[1] .

أظهرت الفقرة السابقة، بغض «أربيل» الصبار الإسـرائيلي «لفويجلمـان» اليهـودي الشتاتي، ووصفه إياه بأنه (إنسان غريب)، ووصفه، أيضاً، بأحط الصفات البشرية، وهي التسلل لحياة الغير وتدميرها، حيث كانت العلاقة معه وراء دمـار حياتـه تـدميراً كـاملاً بانتحار زوجته، وتفكك أسرته، وضياع سعادته.

(١)שם עמ׳ ٣٢.

ويصف «أربيل» حياته الأسرية قبل دمارها بأنها كانت حياة سعيدة، وأنه كرب أسرة متخصص في التاريخ اليهودي، وأحزانه، ولكنه يملك قسطاً من الترويح، والرفاهية الروحية لأسرته مع نظرته للحاضر والمستقبل، بعيداً عن الشتات، وتاريخه، وأحزانه، فيقول:

يقول آربيل مخاطباً ابنه «يوآب»:

« وأتذكر الأيام الجميلة، بعد الزواج، حيث كنا نحن الأربعة، أمك، وأنا، وشولاه، وأنت، نتجول بالمدينة في جميع نواحيها للبحث عن شقة لكم. نتجول من بيت لآخر، نصعد سلالم كثيرة نستعرض حجرات، نقيس مساحة، نفحص مطابخ وحمامات، نتناقش مع أصحاب البيوت، مع الوسطاء. وشولاه، بالتأكيد، هي شولاه بنت المستوطنة، كانت عملية جداً بخلافنا نحن الثلاثة، تعرف المساومة لعمل تخفيضات، لتقف على تفاصيل لم تخطر على بالنا إطلاقاً، وكيف أنت وأنا، كنا نجلس، في المساء، كتفاً بكتف.

وبعد أن اشترينا ذلك البيت في «رمت افعل»، وتم حساب الضرائب، وأقساط السكن والفوائد، وكانت مفاجأة لك أن تكتشف بأن والدك لا يحلق في السحاب الحزين للتاريخ اليهودي، ، ولكن له اهتماماته بشئون العالم الحاضر[1].

يتذكر أربيل حياته العائلية السعيدة، التي ولّت، ويروي ذلك لابنه (الصبار يوآب)، عندما كانت تجتمع الأسرة، الأب، الأم، الابن، الابنة، وحتى في أيام البحث عن مسكن جديد لهم وصف لحظات السعادة بعد العثور عليه، وجلسات المساء الأسرية، واكتشاف ابنه بأنه يملك مساحة من الحب، والترفيه، والترويح، والنظرة للحاضر، بعيداً عن أحزان التاريخ اليهودي.

ويربط الكاتب بين السعادة العائلية باكتمال الأسرة الإسرائيلية واجتماعها، والعيش في هدوء، وبين البعد عن التاريخ اليهودي وأحزانه، وكذا البعد عن اليهودي الشتاتي، وما يحمله من أ/ ور تعكر صفوة تلك الحياة، ويربطها كذلك بأمر مهم جداً، وهو السلام مع العرب.

(١)שם עמי ١٣٦.

وفي هذه الفقرة، يشير الكاتب إلى فترات السعادة والحياة العائلية العادية والطبيعية مع فترات توقف النزاعات الحدودية مع العرب.

إنني أتذكر الكثيرين من العرب، الذين كانوا يعملون عندكم كجليسي أطفال، بعد ولادة «شاريت»، في الوقت الذي كانت، أحياناً، والدتك بمفردها، وأحياناً، كنت ألعب مع الطفلة، حتى تنام.

كانت تلك فترة جميلة.

توقفت فيها النزاعات الحدودية بيننا (بين العرب واليهود)، أصبحنا أسرة طبيعية.

زيارات يوم السبت، بعد الظهر.

الحفيدة تجلس في حجري.

الشاي والفطائر.

الحديث حول ارتفاع الأسعار، وقضايا سياسية وأمنية، ربما لم تنس يوم مولدي – ومولد شولاه. هل تذكرها؟

هل بادرت بها؟ لترسل لي الورود، مصحوبة بتهنئة قلبية، فقد تأثر قلبي جداً لما حدث أيام حرب لبنان، عندما اتصلت هاتفياً من صيدا.

(على خلفية انتشار أقوال حول ضرب حجرة القيادة). واتصلت لتهنئتي بعيد ميلادي[١].

أصبحت الحياة الأسرية العادية والطبيعية التي تنعم بها أي أسرة في أي وطن عادي، من أمن وأمان، وهدوء وسكينة، أمراً مفقوداً في إسرائيل، ولذلك فقد تحول إلى حلم يراود كل من يعيش تحت سقف هذا الكيان الصهيوني الغريب.

وفي هذه الفقرة يشير الكاتب «أهارون ميجد»، إلى فترة قليلة نعمت فيها أسرة الصبار الإسرائيلي «تسفي أربيل»، بتلك الحياة الطبيعية، وذلك من خلال ذاكرته، حيث يروي لابنه الشاب «يوآب» عن تلك الحياة السعيدة، في فترة مهمة من تاريخ الأسرة، وهي فترة

(١)מגד אהרון: פוגלמן שם עמי ٣١-٣٠.

توقفت فيها النزاعات الحدودية بين العرب واليهود، أي أنها كانت فترة سلام حقيقية.

إنه يروي له عن السعادة الكبيرة التي كانت تحياها أسرتهم، على الرغم من كونها أموراً عادية، لكنها تمثل استثناء بالنسبة لهم، حيث يقول: (أصبحنا أسرة طبيعية) في تلك (الفترة الجميلة)، التي (توقفت فيها النزاعات الحدودية) بين العرب واليهود، فكانت الزيارات في يوم العطلة الأسبوعية، ولقاء الأجيال، والآباء، والأبناء، والأحفاد حول مائدة الطعام، وتبادل الأحاديث الودية، والعادية، ومناقشة القضايا العامة.

ويؤكد الكاتب في تلك الفقرة، على أن النزاعات والحروب بين اليهود والعرب هي التي جعلت الأسرة، غير طبيعية، والعكس صحيح.

ويذهب الكاتب إلى أبعد ما يصل إليه العقل من تصور للأمن والأمان، وما يحلم به، وهو السلام الكامل مع الجيران العرب، ويجسده واقعاً وحقيقة، في فترة أطلق عليها (كانت تلك فترة جميلة) حيث جعل العربي (العدو ومصدر القلق لكل يهودي) هو الحارس على أغلى ما يملك اليهودي، وأغلى مما يمكن أن ترتجف القلوب من أجلهم، وهم الأطفال، فلذات أكبادهم، وأبناؤهم الذين يخافون عليهم.

ولم يذكر ذلك كأمر فردي، أو حالة نادرة، ولكنه أراد الكثرة، حيث قال «الكثير من العرب»، وهو ما يؤكد السلام الحقيقي المتمثل في الأمان الكامل بين الطرفين، وحسن الجوار، والعلاقات الطيبة، حيث يجعل من العربي حارساً أميناً لأغلى ما يملك اليهود كجيران.

ربما كانت تلك أمنية وحلماً داخل عقل وفكر الكاتب، وإلا فقد كان في إمكانه أن يشير إلى أعمال أخرى يزاولها العرب لدى اليهود، وهذا أمر طبيعي، ربما يتم حتى أثناء اشتعال النزاع بينهما، ومن هنا، كانت إشارته لأمر نادر، وعمل خاص، وهو حراسة الأطفال ورعايتهم في غياب والديهم، وهذا يقتضي التسليم بالأمن والأمان والسلام بين الطرفين.

وليس هذا بغريب على الأديب الإسرائيلي المعاصر «أهارون ميجد»، فهو يرى أن الأرض مقابل السلام، هو الحل المناسب للقضية العربية الفلسطينية، حيث يقول: « في الواقع إنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين، ونتحدث مع من يختارونهم، فإذا

اختاروا أشخاصاً من منظمة التحرير الفلسطينية، يكون الحديث معهم. لا يجوز لنا أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم. ستكون النتيجة في نهاية الأمر، أياً كانت، هي تقسيم الأراضي، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى (اليشوف)، وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم، فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل، أيضاً، تحت سلطة فلسطينية، «إن الحل الكونفدرالي يبدو لي واقعياً»[١].

وبناء على ما تقدم ربط ميجد من خلال الفقرات السابقة برواية «فويجلمان» بين: -

- اليهودي الشتاتي وأفكاره غير المقبولة صبارياً	- دمار الأسرة.
- التاريخ اليهودي، وأحزانه.	- كآبة الأسرة.
- الحروب والنزاعات مع العرب.	- أسرة غير طبيعية.

وفي مقابل ذلك، فالسلام مع العرب هو السحر الذي يخلص الأسرة الإسرائيلية من دمارها، وكآبتها، وتصبح طبيعية تنعم بالسعادة.

الصراع بين الهوية الإسرائيلية الصبارية وبين الهوية اليهودية، هو بلا شك من المسائل والمشكلات المثارة، ورواية «فويجلمان» أبرزت الهويتين، وصراعهما المستمر على أية حال، في الحياة اليومية، والوصول لنتائج جريئة في غايتها، والوصول إلى صيغة صادقة كحبكة عائلية في السرد، وكان هو الهدف من الرواية[٢].

وحول سلبية وتدني شخصيات يهود الشتات، يعرض «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج»، مجموعة من اليهود، أقل ما يمكن أن يوصفوا به، هو برود المشاعر، حيث يقول:

«بعد تشييع جنازة (هونيج) قدمنا للهاربين قهوة. أمسك الهاربون بالفناجين، وقد طوقوها بأيديهم». وقالوا: قهوة جيدة، قهوة ممتازة. وظهروا في سمو، وكانوا أقوياء وأشداء، كما لو كانوا يستعدون لحرب جديدة[٣].

---

(١)הדרי، רמג: עם אהרון מגד לכבוד יום העצמאות ،ידיעות אחרונות، מוסף לשבת، ٢٣/٩/١٩٩١ ،עמ׳ 17 .

(٢)אהרון יוסף : הצבר חוזר אל הזהות שם עמ׳ 20.

(٣)אפלפלד אהרון : שם עמ׳ 20.

تتعرض الفقرة السابقة لواقعة محددة ومعينة، وهي تشييع جنازة (هونيج) الذي مات منتحراً، وشارك في جنازته مجموعة من اليهود الهاربين من المعسكرات، وقدم لهم أصدقاء المتوفى قهوة، فكان من المفترض أن يكون رد فعلهم متناسباً مع المتمثل في حالة وفاة غير عادية لواحد من بني جلدتهم، يهود الشتات، وذلك بشيء من الحزن أو التأثر، لكن ظهروا بمشاعر باردة، وعدم تأثر بالموقف، وكان شغلهم الشاغل هو احتساء القهوة الجيدة.

أما سامي ميخائيل، أديب الطوائف الشرقية، فيجعل من بطلة روايته «فكتوريا»، شخصية ضعيفة أمية لا تملك من أمرها شيئاً، سوى الخضوع الذليل للرجل. ومن خلال الرواية يعالج الأحداث بمصداقية كبيرة، كأديب يعرف كل شيء، ويملك أدواته ببعد نظر، حيث يملك ميزة الإصغاء والرؤية، ويصف بغداد كمراقب لها ولأسطحها، ومن ضمنها بيته، كما لو كان مراقباً من مرتفع عال عن تلك الأسطح، ويرسم بواقعية صورة النساء في الحي اليهودي ببغداد. ويصف نساء الشتات اليهودي الشرقي ببغداد من خلال الرواية، فعلى سبيل المثال، «نجية» والدة «فكتوريا»، امرأة مبلبلة فكرياً، لدرجة الجنون من الإرهاق والخوف، مع تعلقها بالحياة والبقاء، بنفس الدرجة الحمقاء، فهناك شخصية «توية»، وهي عمة «فكتوريا»، وتصغرها سناً، وهي تمعن في التدلل والبقاء شابة صغيرة، مدللة للأبد. وشخصية «مريم»، تعبر عن الفتاة الطاهرة نقية القلب، وهي ابنة عم «فكتوريا»[(١)].

وحول ما أثير في رواية «فكتوريا» عن يهود الشتات العراقي أجرى «يعقوب باسار»، حواراً مع الكاتب «ميخائيل»، على صفحات الملحق الأسبوعي لصحيفة « معاريف »، وسأله: « في أعقاب نشرك لرواية «فكتوريا»، ألم يثر عليك الجمهور؟ ألم يتهموك بأنك قد تطاولت على شرف يهود بابل؟ فأجاب: «لقد كتبت رواية «فكتوريا» بعد تفكير شاق جداً. وفي نهاية الأمر، قلت لنفسي، إن هذه الرواية واحدة من مجموعة رواياتي. حيث يوجد من بين تلك الروايات، روايات قد أضاءت الوجه المهيب لهؤلاء اليهود»[(٢)].

---

(١)הראבן גיל : (מחזאית ועתונות) ספר ביקורת להיות עם חופשי ב ויקוריה סמי מיכאל ידיעות אחרונות 1993 /12/ 8 עמ׳ 8 .

(٢)בסר יעקב : עם סמי מיכאל מוסף השבוע מעריב 1993 /12/ 3 עמ׳ 8 .

وعلى صفحات جريدة «عتون ٧٧»، أجرى، يعقوب باسار، أيضاً، حواراً مماثلاً لما أجراه مع الكاتب «سامي ميخائيل» (آنفاً)، وذلك مع الكاتب «أهارون أبيلفلد»، حول رواية «حفرة الثلج»، وما احتوته من أحداث وألوان مختلفة من الشخصيات الشتاتية، والعلاقة بين ذلك كله وما يجري الآن في إسرائيل. ومن أهم ما جاء في ذلك الحوار:

قلت: إن جانباً منك شخصياً يسود كل الصور بالرواية، وأيضاً، الضابط بروس؟

بصورة قاطعة، هو ضابط يهودي، وفي كل أسرة يهودية كان هناك،حاخام، أيضاً، وشيوعي، وعضو في البوند، وصهيوني، وأيضاً رجل يريد أن يكون ضابطاً برتبة رائد بالجيش النمساوي.

هل من خلال المفهوم النفسي لذلك الرجل يمكنك أن ترصد شيئاً ما عندك؟

(أجاب أبيلفلد): «أنا مضطر للاعتراف. جئت هنا (إسرائيل) وكان لدي قلق من التقليد، ورغبة في التغيير، وبخاصة في السنوات الأولى، وبتعبير آخر أن أكون عالياً جداً، أن أكون أشقراً جداً، ومشابهاً لمواليد البلاد السمر. وليس هذا بالشيء المطلوب منك، ولكن هذا ما شعرت به. على أية حال، إن هذا أفضل بالنسبة لك، إذا كنت معتدلاً جداً. على سبيل المثال، الفقرات التي استعرضها الضابط (ليس كالأغنام نساق للذبح)، اقتطعوا لحماً من كل من جاء لإسرائيل، حيث اتهمت باللف والدوران (كالأغنام المساقة للذبح) كان هذا محزناً ومخجلاً»[١].

رفض شخصيات الشتات اليهودي، وإظهار سلبيتهم لم يقع فحسب، على الشخصيات العادية، ولكن رأينا الكاتب الشتاتي «أبيلفلد»، يعرب عن ذلك في قرارة نفسه، ويشعر به، وأراد بالتالي أن يغير من ملامحه في إسرائيل، ليقترب من ملامح الصبار الإسرائيلي، وخاصة، في سنواته الأولى، بعد الهجرة، فهو يصف اليهود عامة بالشتات، وبأنهم «كالأغنام يساقون للذبح»، دون دفاع أو أدنى مقاومة.

كما جاء في رواية «حفرة الثلج»:

«سمع ضابطنا القصة، ولم يهتم؛ لأنه كان منهمكاً في تدريب المتطوعين، حيث

(١)בסר יעקב : אהרון אפלפלד כשאתה רואה את המוות השפה מצלמצמת שם עמ׳ 4.

يتدرب جنوده من الصباح، وحتى حلول الظلام. وكان هناك من بين المتطوعين عدد من الأفراد كبار السن، تعتبر التدريبات شاقة بالنسبة لهم.

ولكن الضابط لا يسمح لهم بأن يكونوا (كالأغنام تساق للذبح)، فهو يصيح، وفي صوته نبرة مخيفة[1]. فهنا، مجموعة من اليهود في إحدى المعسكرات بالشتات، يتلقون تدريبات عسكرية، ويشق عليهم ضابط التدريب، ويصفهم بالأغنام، التي لا تملك أي إرادة للدفاع عن نفسها، أو حتى مجرد الاعتراض على الذبح، وهذه الصفة يشار بها لليهود الذين تعرضوا لأحداث النازية.

وقد جاء في رواية «حفرة الثلج»، حول نفس الموضوع:

«لم تكن الليلة هادئة. فبعد أن تناول ضابطنا وجبته وشرب عدداً من الكؤوس، وقف في ميدان التدريب، وأدان اليهود وطباعهم، وأنهم لا يجيدون الدفاع كما ينبغي.

(وتم سوقهم للذبح كالأغنام)

وهكذا فإن عجرفته كدرت هذا المساء[2].

إن النقد في الفقرة السابقة، صادر من يهودي شتاتي، أيضاً، ولكنه ضابط في موقع السيطرة على بني دينه في المعسكر، وأوضح عن أن السلبية هي طبع من طبائع اليهود، وتحدث بزمن الماضي، مشيراً إلى تأكيد ذلك الطبع في داخلهم، إذ إنهم تم سوقهم للذبح كالأغنام، ومن وجهة نظره، فإنه يضغط عليهم لتغيير هذا الطبع السلبي.

ولا غرابة في ذلك، إذا كان الكاتب نفسه «ابيلفلد»، يشعر بتلك السلبية الشتاتية.

وفي الفقرة التالية من رواية «حفرة الثلج»، تصل السلبية إلى العقل اليهودي، والحكم هنا على مجموعة في أحد المعسكرات الغربية (على نهر البوج):

كان الثلج يسد المنافذ حولنا من جميع الجهات. وكان التاجر سالو، قصير القامة، يسير في إثر بنحاس، وسويا ليحضرا أشجاراً وحاجيات، ويسدا بها الثغرات.

(١)אפלפלד אהרון : מכרה הכרת שם עמ׳ ١٦٥.

(٢)שם עמ׳ ١٦٥.

وكان ما علمناه، حتى الآن، هو على هيئة «حفرة ثلج»، وفي وسطها كوة نار لتدفئتنا.

هنا يتعلم الجسد اليهودي أن يعمل، والعقل اليهودي أن يحيد عن الضلال:

هكذا صاح الرقيب، وصاح مرة أخرى، قائلاً:

من سيبرهن بأنه مستعد أن يتغير سينقل إلى المرحلة التالية.

إنهم، دائماً، يوزعون الوعود الجوفاء، ونحن نجني منهم الأوهام.

إنها شائعات؛ لأننا لم نلحظ في هذا الجو المغلق أية مرحلة تالية.

ادعى ضابطنا، وقال إننا نفحص، وهناك من يوزع لوحدة قتالية، وآخر يوزع لوحدة خدمات.

واتهم كعادته «اليهود» الذين يتهربون من الناحية البدنية، فالجسم اليهودي في حاجة إلى التدريب الشاق للتعود على العمل، وكما أن العقد قد وصل بالضلال، وبالحاجة إلى التقويم، والتنحي عن الضلال، وكانت تلك هي مهمة المعسكر لإحداث التغيير للأفضل لهؤلاء المجموعة من اليهود.

وقد أعلن الضابط المسئول عن تدريبهم، وبالتالي تقييمهم، أنه سوف يوزعهم على الوحدات القتالية المختلفة، حسب ما تصل إليه كفاءتهم، وفي النهاية، وجه اتهاماً بشكل عال لليهود الذين يتهربون من الخدمة العسكرية من العمل بالوحدات القتالية.

ويشير «أبيلفلد»، في رواية «حفرة الثلج»، إلى أن «اليهود» في الشتات والمعسكرات، يتهربون من الخدمة العسكرية، وإذا حدث وتواجدوا بالفعل تحت التدريب، كما هو الحال في (معسكر نهر البوج)، فإنهم يتهربون من الخدمة الميدانية، وفي الوحدات القتالية:

اتضح لنا مع الصقر الهائج فحسب، أن الذين أطلقوا الرصاص هم معتقلون مثلنا، وكانوا واثقين، أيضاً، أن الرقباء سيخرجون من مخبئهم، ويحاولون الانقضاض عليهم، ومن ناحية أخرى، فهم يملكون سلاحاً آلياً، فقرروا إطلاق النيران، والدفاع عن أنفسهم.

طلب منهم ضابطنا الإذعان، وها هم قد رفعوا أيديهم، وجاءوا لاستدعائنا، وتمت السيطرة عليهم، على الفور، لإخضاعهم وإذلالهم. واستسلموا بالفعل، وتم احتجازهم، لمدة ساعة كاملة.

وفي وقت متأخر، وقف ليخطب، وتحدث عن ازدرائه لليهود الذين رفضوا التجنيد في وحدات قتالية، ووجدوا مأوى في المخازن والمقاصف.

ولم يهدأ باله، حتى قال: (ليس عبثاً كراهيتهم لليهود) [1].

نخرج من الفقرة السابقة بما يلي:

أ- سلبية شخصيات اليهود الشتاتية إلى حد الجبن، وتهربهم من الخدمة بالوحدات القتالية بعد تدريبهم عسكرياً، وهروبهم للعمل في المخازن والمقاصف.

ب- التأكيد على إذلال وإهانة الشخصيات اليهودية بالمعسكر من قبل الضابطن وهو يهودي.

ج- أن ازدراء اليهود وكراهيتهم لم يأت من فراغ، ولكن بسبب سلبيتهم.

د- أسلوب معاملة الرقباء والضباط، وهم من اليهود لذويهم اليهود بالمعسكر، يؤكد أنانيتهم، وتعاونهم التام، وإخلاصهم للنازية في معسكراتها.

ويحاول «أبيلفلد» أن يلتمس العذر لأسلوب هذا الضابط اليهودي، فيقول: «أنا لست رجل سياسة، إن شغلي الشاغل هو الإنسان، وأفكاره، وأوهامه، وعندي مشاركة وحدانية مع الجميع، وحتى الضابط الذي يريد الضعف اليهودي، ليكون هو القوي، فقد أصبح رجل جيش، يرتدي الزي العسكري، ومن هنا، يبدأ التشويه من لحظة القول، «كل من لم يكن بالجيش فهو جبان» [2].

وقد حرص «أبيلفلد» في موضع آخر من «رواية» «حفرة الثلج»، على إبراز نموذج آخر من الضباط اليهود بالشتات:

كشف لي «هونيج» عن موضوع آخر إن: ضابطنا «تيثوشتالنكت»، يمت لي بصلة قرابة

(١)שם עמ׳ ١٤٣.

(٢)שם עמ׳ ١٦٦.

بعيدة، من ناحية أمي. اعترضت الأسرة، في البداية، على تجنيده، ولم يدركوا العوائق، وعندما تبينت الأسرة تلك العوائق والمصاعب، أصرت على اعتراضها، ولكن في النهاية، عندما أنهى دورة الضباط، وظهر بالزي العسكري، اعتذروا له، وكانوا فخورين به.

وبعد أن رقي مبكراً لدرجة نقيب، اتهم بإخفاء أسلحة، وتزوير مستندات. كانت تلك ذريعة، وأقام القضاء الدليل على أساسها. ولكن القضاة، أيضاً، عندما برءوه من كل تهمة، لم يمنعهم ذلك من تأنيبه عن إهمال روتيني محدد. قدم عريضة استئناف لمستوى قضائي عال جداً، استمرت القضية، عاماً كاملاً. وفي النهاية، لم يلغ جزاء التأنيب، كان ذلك بمثابة ضربة قاضية له. وفي البداية، اتهم ضابط وحدته بأنهم تجنوا عليه، ولفقوا له التهمة.

وفي النهاية اتهم نفسه، وقال:

«اليهود على ما يبدوا غير مؤهلين لأن يكونوا رجال جيش»[1].

لقد عرض «أبيلفلد»، من خلال أحداث رواية «حفرة الثلج» شخصية الضابط اليهودي الشتاتي، وكذا الرقيب من خلال العمل بالمعسكرات النازية. وحرص من خلال العرض على أن يصور كلاً من الضابط والرقيب في صورة بشعة، من حيث الشكل، ومن حيث السلوك، لدرجة الوصف بالإرهابي في بعض المواقف.

وإذا كان أبيلفيلد قد عرض لنماذج من الضباط والرقباء من المتعاونين مع النازية ضد بني دينهم اليهود في المعسكرات، ممن جعلتهم أنانيتهم حريصين على أنفسهم فحسب، وجعلتهم يظهرون سلوكاً نازياً أقوى من سلوك النازيين أنفسهم، فقد عرض تلك الفقرة لنموذج آخر من الضباط اليهود في الشتات، يختلف عن النماذج السابقة، حيث أنه في وحدة قتالية، ولكنه لم ينجح، أيضاً، كما عرض من قبل لتهرب اليهود، بشكل عام، من الوحدات القتالية.

وفي النهاية، جاء الحكم العام على لسان الضابط نفسه، بأن اليهود «غير جديرين بأن

(١)אפלפלד אהרון : מכרה הכרת שם עמי ١٠٠.

يكونوا رجال جيش»، والمقصود هنا رجال جيش ناجحون؛ لأنه بالفعل أصبح رجل جيش في درجة نقيب، ولكن الفشل، أياً كانت أسبابه، كان حليفه.

انحراف الحاخامات في الشتات، وإسرائيل بين الماضي والحاضر

ويعد الحاخام اليهودي في الشتات، أو في إسرائيل، شخصية مهمة على المستوى الجماهيري والديني، أو على المستوى الرسمي، حيث يلقى تقديراً من الجميع. ويزداد التقدير الجماهيري للحاخام في الشتات؛ لأنه المرجع الأول والأخير في جميع الأمور الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

ففي رواية «فكتوريا» «لسامي ميخائيل»، التي تدور أحداثها في العراق، مصورة الطائفة اليهودية هناك تبدو صورة الحاخام أقرب إلى السلبية، من حيث الشكل والمعاملة:

هزت «توية» المحظوظة رأسها بكل قوة، وقالت:

تذهب إلى الحاخام «جوري شتييات»، حيث يقرأ لنا المكتوب هنا. واقترحت مريم احتمال أن يكون مجرد تعويذة.

وذكرتها فكتوريا، قائلة: إن الحاخام لا يفعل أي شيء بالمجان. فضغطت «توية» على كيس نقود صغير كان مربوطاً بخيط حول خصرها، ومخبأ بالملابس الداخلية.

وقالت: معي بعض النقود الفكة.

قطب الحاخام وجهه، وفحص الثلاثة (فكتوريا، توية، مريم)، وقال بعجرفة، إن لم يكن هذا عملاً هزلياً فهو شيء تافه مدعاة للاستهزاء به.

خافت «توية» و«فكتوريا» من ملامحه الذابلة، وعينيه الواسعتين من وراء نظارته لدرجة الرعب.

لكن مريم ظهرت متماسكة، حتى لا تنهمك في الضحك.

وصوب الحاخام العالم عينيه إليها، قائلاً: أعرف الرقعة؟

أنت لست ابنة السيد يهودا؟

خافت مريم أن تتحدث حتى لا يخرج الضحك المحبوس داخلها، وهزت رأسها.

لوح المعالج التقي لأبناء الحي، بورقة في وجهها بطنين قاس، وقال: ربما سرقت هذا من والدك.

قالت: جلبتها الرياح. أجابت «فكتوريا» بدلاً من مريم المختنقة بضحكها الصامت. وأنت يا ابنة السيد عزوري؟

همس الحاخام، كما هو معتاد بنوع من الغضب، ونظر في قصاصة الورق، وقرأ بدون صوت[(١)].

لقد رسم «سامي ميخائيل»، صورة سلبية متدنية للحاخام «جوري»:

فمن حيث الشكل، هو عبوس الوجه، وملامحه ذابلة، ويحملق بعينيه الواسعتين من وراء النظارة، لدرجة تبعث على الخوف، وتصل لحد الرعب والسخرية، لدرجة الضحك، في نفس الوقت.

ومن حيث سلوكه، فهو إنسان مادي، لا يفعل أي شيء، دون مقابل، ولم يعامل النساء الثلاثة معاملة حسنة، ونظر إليهن بعجرفة، وسخر منهن، واتهمهن بسرقة الرقعة، في حين تم العثور عليها في مهب الريح.

ووصفه الكاتب بعد هذا كله، بأنه التقى المعالج للحي، حيث يسخر منه، ومن مسلكه، حيث ظهر غاضباً عندما بدأ في مهمته، وهي قراءة الورقة نظير مقابل مادي.

ويستمر «سامي ميخائيل»، في إتمام رسم جوانب صورة الحاخام «جوري»، وإخراجها لنا على الشكل الذي ظهر به من خلال مسلكه مع سيدات الطائفة العراقية ببغداد، أثناء قراءة الرقعة، وتفسيرها لهن على النحو التالي:

«همس الحاخام، كما هو معتاد منه بنوع من الغضب، ونظر في قصاصة الورقة، ثم قرأ بدون صوت».

إن جميع الناس يطلبون الرزق من الرب وهو يعطيهم. ولكن ثلاثة فقط من أصحاب

(١)סמי מיכאל : שם עמי 67-68 .

المهن يصلون للرب لطلب الرزق، ولكن الرب لم يستجب لهم.

الأول: طبيب يدعو الرب، ويريد رزق، وزرقه يعني مرض الناس حتى يداويهم، والثاني: يعمل في بيع صناديق الموتى، ويكون رزقه مع موت الناس، والثالث: هي الزانية التي تطلب المغفرة. هؤلاء الثلاثة يصلون، ويطلبون الرزق، ولكن الرب لم يستجب لهم.

همست إليه «توية» قائلة: ما هو المكتوب هناك؟ أنا مستعدة للدفع.

امتدت يد الحاخام اليسرى، وقبضت على النقود.

وصوبت يده اليمنى الورقة مرة أخرى أمام نظارته.

ولم تستطع مريم أن تتمالك نفسها، وهربت للحوش لتأخذ حريتها في الضحك.

وبدأ الحاخام في شرح المكتوب بالرقعة.

إنه (عن عامة الناس)، وهم يطلبون رزقاً من الرب، وهو يعطيهم.

كان الحاخام صاحب حنجرة قوية، ولكن «فكتوريا» لم تعرف ما إذا كان الحاخام يتمتم، أم يكتم ضحكه.

وعند باب حجرته سمعته يثرثر، ويقول:

«عظيم الآن أنا، و(رحمة عفصة)، نجلس على حصيرة واحدة.

لم يخطر ببال «فكتوريا»، على الإطلاق، أن تطلب منه الرقعة.

ولا زالت مريم بالخارج تنهمر بالضحك.

ابتسمت فكتوريا، وقالت ماذا جرى لك.

ذلك الحاخام الرجل المبجل الذي يحرص في كل ثانية على عدم لمس يد أي امرأة.

كنت أفكر، طوال الوقت، ما هو تصرفه لو كان قد عرف كيف كانت النقود قبل أن تنتقل إلى يده[1].

(١)אותו מקוור עמי 67-68 .

أكد الكاتب الطائفي الشرقي «سامي ميخائيل»، في هذه الفقرة على تفريغ صورة الحاخام «جوري» من مضمونها الديني، كما هو الحال في الشكل الخارجي. وفي كلتا الحالتين تبدو الصورة سلبية ومتدنية، وبالتالي لا تلقى تلك الشخصية الشتاتية المهمة، سوى الرفض من قبل الصهيونية.

فمن حيث الشكل، فهو غير طبيعي (كما ورد من قبل). وعن سلوكه، فهو إنسان غضوب، ومتكالب على المادة، في غير موضعها، فما قام به من قراءة للرقعة لا يستحق الأجر، ولكنه مجرد أن سمع السيدة «توية» تعرض عليه النقود، حتى سارع ببسط يده اليسرى، وقبض على النقود.

قرأ الحاخام الرقعة، وشرحها لسيدات الحي اليهودي، وكان موضوعها حول لجوء الناس في صلواتهم للرب، وطلب الرزق، وبالرقعة أصحاب ثلاث مهن، هم طبيب، وبائع صناديق موتى، وبائعة هوى، يصلون، ويتوجهون للرب في طلب رزقهم، ولا يجيبهم.

ولم يعلق الحاخام بشيء على ما ورد في تلك الرقعة من مخالفة لناموس الحياة والدين، (لا يجيبهم)، وهو من المفترض الطبيعي أن يكون ملماً بأمور الدنيا والدين، وبالتالي عليه أن يرد الأمور إلى صحيحها، وهو من المفترض أن ينحاز إلى الصورة الطبيعية والصحيحة، ولكن جهله جعله يصمت، بل ويعتبر نفسه حاخاماً ذا شأن كبير، تلجأ له الناس في أمورهم ومشاكلهم.

وتسخر «فكتوريا» من الاحترام المزعوم للحاخام، وحرصه على الظهور بمظهر التقي الورع الذي لا يلمس يد النساء مطلقاً، فما بالك لو عرف أن النقود التي تلهف في القبض عليها بيده، أنها كانت في الملابس الداخلية لإحدى السيدات.

والنقطة المهمة في تلك الفقرة هي كون الشخصية، تدعو للضحك من قبل إحدى السيدات (مريم)، فذلك تأكيد من الكاتب على تدني الشخصية، رغم أهميتها كحاخام، وما له من هيبة واحترام لدى الجميع، وخاصة في الشتات.

وإذا كان «سامي ميخائيل»، قد عرض في رواية «فكتوريا»، شخصية مهمة في الشتات العراقي، وهي شخصية الحاخام «جوري»، كشخصية سلبية من حيث الشكل

والمضمون، ومدعاة للسخرية والضحك، فإن الأديب «أهارون ميجد»، قد عرض في رواية «فويجلمان»، لشخصية عظيمة الأهمية، تمثل الشتات اليهودي الأوروبي، وهي شخصية الشاعر اليديشي «فويجلمان»، المقيم بباريس، وقد عرض الشخصية في سلبيتها. ومن أهم ما عرض من مظاهر سلبياتها، أنها شخصية (مدعاة للسخرية، ص٢٩) وقد قالت عنه «نورا» (إنه إنسان مضحك، ص ٣٠)[١].

بالإضافة إلى ذلك فإن شخصية الحاخام على أهميتها عرضها، أيضاً، الكاتب «أبيلفيلد»، ضمن شخصيات الشتات الغربي، من خلال الحاخام «شحيتان»، حيث قال عنه: « ظهر لي الحاخام نفسه، قصير جداً، على عكس ما عرفته»، حيث جاء ذلك على لسان بطل رواية « حفرة الثلج »، ص ١٢٣ (بالرواية)، وهذا يمثل وصفاً سلبياً ومتدنياً لتلك الشخصية.

ومن هنا، يبدو تطابق الأفكار لدى الأدباء في تصوير شخصيات الشتات المهمة، وعلى رأسها الحاخام في صورة سلبية ومتدنية، سواء في الشتات الشرقي (سامي ميخائيل رواية فكتوريا)، أو في الشتات الغربي، عند كل من (أهارون ميجد رواية فويجلمان)، و(أهارون أبيلفيلد رواية حفرة الثلج).

ويستمر انحراف حاخامات اليهود في الشتات، ويزداد داخل إسرائيل، بشكل ملحوظ، «ففي دراسة نشرها معهد القدس للدراسات، أخيراً تبين أن ٧١.٩٪ من رجال مجتمع الحريديم «الحاخامات» بمدينة القدس، لا يعملون، ويعتمدون على زوجاتهم في العيش، ورغم ذلك فزوجاتهم أكثر الفئات تعرضاً للضرب والإيذاء على أيديهم. وأكثر الجرائم انتشاراً بين رجال الدين في إسرائيل، هي جرائم التحرش الجنسي، والاغتصاب، فمنذ فترة أقامت خمس سيدات من جنوب إسرائيل، دعوى قضائية ضد أحد الحاخامات يتهمنه بالتحرش الجنسي بهن، وكشفن في الدعوى أن الحاخام يخدع أنصاره ومريديه بأنه صاحب خوارق، وقوى غير طبيعية[٢].

كما تلقت الشرطة الإسرائيلية شكوى أخرى من إحدى الفتيات تتهم فيها حاخاماً

---

(١)وردت هذه العبارة في بداية الفصل، ص ٢٤٣.

(٢)عيسى، محمد، الجريمة خارج الحدود، حاخامات إسرائيل مجرمون، الأهرام ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٢م، ص٢٧.

من مدينة حيفا باغتصابها، بعد أن لجأت إليه كي يساعدها على التوبة والإقلاع عن ذنوبها، فما كان منه إلا أن قام باغتصابها بدعوى منحها البركة. وبعد القبض عليه تبين أنه متورط في عدة قضايا مماثلة، ولم تقتصر جرائم الحاخامات على اغتصاب النساء فحسب، بل تعدت إلى ما هو أقذر وأحط باغتصاب الأطفال والمراهقين، فقد شهدت السنوات القليلة الماضية، ثورة عارمة تطالب بإلغاء التعليم الديني في إسرائيل، عقب اتهام إحدى المدارس الدينية في إسرائيل الحاخام (زئيف كوبلوفيبش)، بالاعتداء جنسياً على المئات من تلاميذ مدرسته[1].

كما هزت جريمة الحاخام (إيلان مور) الذي يتولى وظيفة الجابي في المعبد اليهودي، صورة رجال الدين في إسرائيل بصورة أكبر، حيث قام هذا الحاخام باغتصاب تلميذة بإحدى المدارسة الدينية، وكانت تبلغ من العمر (١٥ عاماً)، داخل المطبخ الملحق بالمعبد[2].

ومن هنا يتأكد الرفض للشخصيات اليهودية الشتاتية، مع امتداد التدني والانحراف لتلك الشخصيات، ومن أهمها الحاخامات، في الوقت الراهن، داخل إسرائيل.

فشل رواد الصهيونية في تحقيق أحلام اليهود

ويواصل الأدب الروائي الإسرائيلي المعاصر رصد ورسم شخصيات الشتات اليهودي، سواء الشرقي أو الغربي، مع إظهار سلبياتها، بدءاً بالشخصيات العادية والعامة، ثم المهمة، وحتى أكبر الشخصيات الصهيونية، والرموز الأوائل للحركة في دول الشتات الغربي، وذلك في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد:

«يزخر النصف الثاني من الكراسة بترديد صدى لـ «هلع يهودي»، على غرار الهلع الذي أصيب به «فويجلمان».

كانت البداية بصوت راسخ، محترم، صوت أكاديمي، تقريباً، كما لو كان على وشك أن يخرج من تحت قلمه مقالاً نظرياً، حيث يهتم بمناظرة حول (التدني الصهيوني) بأن

(١)المرجع السابق، ص٢٧

(٢)المرجع السابق.

دولة يهودية منوطة بأن تزيح معاداة السامية من العالم. ولكن بعد ورقة ونصف، أصبحت الجمل مكشوفة ومحطمة «محنة وغضب»، تتخللها كلمات ممسوحة، كلمات مشددة بخطوط محفورة، تمزق الورق، تقريباً، كلمات تضغط على كلمات...

هؤلاء الحمقى الذين ارتادوا الاجتماعات في الحدائق العامة، ويرتدون القبعات ... هيرتزل، ... فايتسمان[1] ... جابوتنسكي ... حماقة ! ..

إنهم لم يتعلموا كيف يقرؤون التاريخ ....

إنهم لم يفهموا مكنونه .....

أقلية؟

هل قتلونا من حيث إننا أقلية؟

حتى «بلعام» عندما قرأ الأجيال من البداية، فقال:

«شعب مشرد يعيش ولا يلقى بالاً بالأغيار»

هل يبحثون عن عقلانية؟

لا توجد عقلانية ....

توجد شياطين ... شياطين فحسب. مشاعر غضب.

بكل جيل وجيل، نعم بكل جيل وجيل....

ومنذ أن أقيمت الدولة (إسرائيل)؟

والعالم يكره قيام هذه الدولة (وجودها)، سواء كانت متقدمة، أم متخلفة (قوية أو ضعيفة)، لا يسمحون لها حتى باقتراف خطيئة النصر على أعدائها.. السوط يجلد..

(١)فايتسمان: حاييم وايزمان هو أول رئيس لدولة إسرائيل، وهو من زعماء الحركة الصهيونية، في فترة ما بعد موت هيرتزل. ولد في روسيا ١٨٧٤م، وهو من أوائل «محبي صهيون» الذين انضموا لهيرتسل، شارك في المؤتمر الصهيوني الأول ببازل. كان من معارضي مشروع أوغندا، في ١٩٢٠، اختير رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، وفي ١٩٥١ اختير رئيساً لدولة إسرائيل لفترة ثانية، توفي في مستعمرة رحوبوت ١٩٥٢. للمزيد راجع: תלמי אפרים ומנחם:לקסיקון ציוני (ישראל 1977) עמי 139 -140 .

يجلد .....[1].

رصدت الفقرة التدني الصهيوني المتمثل في:

١- عدم نجاح الصهيونية في التخلص من معاداة السامية بإقامة دولة إسرائيل.

٢- وصف زعماء الصهيونية بالحماقة، وجهلهم بدراسة التاريخ، وفهم مكنونه.

٣- العالم كله يكره دولة إسرائيل، منذ قيامها، وربما لو بقى اليهود مشردين لكان أفضل.

٤- تعرض اليهود للقتل ليس لكونهم أقلية.

٥- حتمية المصير اليهودي باستمرار كراهية العالم لهم.

وبعد رصد الأدب الروائي ملامح وصور شخصيات الشتات اليهودي، من حيث المظهر، وكذا المشاعر الداخلية، وشمل الرصد كل ألوان الشخصيات، ونماذجها المختلفة، على كل المستويات، نجد هنا الوصف العام للشعب اليهودي الذي يشمل الشتات وغيره، وذلك في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد»:

«لا يوجد شعب يتمسك بذكرى الدمار والكوارث في تاريخه، ويحتفل بها بالصوم، وإحياء الذكرى بالاحتفالات، وألف لها المراثي، والصلوات، والأشعار الدينية، وحدد لها المراسم والطقوس للذكرى والرثاء، مثل الشعب اليهودي، حتى أنه في كل يوم عيد وشكر، يوجد تذكر لخراب[2].

وإذا كان «ميجد» قد حكم على الشعب اليهودي بحكم عام، ووصفه بأنه شعب مأساوي حتى في أحسن أيامه وأعياده، حيث يخلط ذكريات الدمار والخراب مع مناسباته السعيدة، فإن الكاتب «أهارون أبيلفيلد» قد وصف اليهود عامة بالتشوش، وذلك في رواية «حفرة الثلج»:

«لقد تشوشت الأحاسيس والمشاعر عند اليهود، من هنا التفلسف، والتلاعب،

(١)מגד אהרון : שם עמי 252.

(٢)מגד אהרון : פוגלמן שם עמי 83.

بالألفاظ، والتظاهر للضرورة، وبدون ضرورة. ربما لم ير «شجال» نقاءً أمامه، فرسومه نموذج للوجدان اليهودي، وقالبهم تضاءل كخيوط العنكبوت. وكان «برونو» في حياته خائفاً، ويغلف، الآن، أقواله بلطف، وبشيء من السخرية، وقد توجه إليه أحد الأشخاص، وسأله في تحفظ: هل كل شيء تغير في العالم؟ الآن لا يوجد يهود، ولا يوجد فنانون يهود، لماذا الغضب، ولماذا إزعاج راحة الموتى[1].

إنه حكم عام بتشوش مشاعر وأحاسيس اليهود عامة، وبأنه لا يوجد نقاء في وجدانهم. ولكن حشد اليهود بإحياء ذكرى النازية وويلاتها، له أغراضه السياسية والمادية في الشتات وإسرائيل.

المبحث الثاني: تقدير الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة

يتناول هذا المبحث الوجه الآخر من العملة الخاصة بموقف الأدب العبري المعاصر من الشتات اليهودي. فبعد أن تناولنا في المبحث السابق، كيف أن نماذج من هذا الأدب كشفت عن موقف الرفض، أو عدم التقدير لهذا الشتات، سوف نتعرض في هذا المبحث للوجه الآخر، وهو كيف نظر الأدب العبري المعاصر نظرة تقدير لهذا الشتات، في نفس الوقت، وما هي أسباب ذلك.

وفي البداية، يجب أن نذكر، أننا تناولنا في الفصول الأولى من البحث، كيف أن الشتات اليهودي ظل ظاهرة تاريخية ملازمة للوجود اليهودي، منذ أقدم العصور، بالرغم من أن فلسطين كانت مفتوحة، دائماً، أمامهم، وكيف أن الفكر الديني اليهودي، هو الآخر، تمخض عن صك لعهود ثلاثة تعطي مشروعية لوجود اليهود خارج فلسطين، بل أنهم كانوا يفضلون الاضطهاد خارج فلسطين على يد سلطة أجنبية، من أن تحكمهم سلطة يهودية داخل فلسطين، سواء كان ذلك انتظاراً لمجيء المسيح المخلص لدى المتدينين منهم، أو لاستقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدى الغالبية العظمى من اليهود.

وليس أدل على الدور الإيجابي والحيوي الذي قد أنتجوه فيه: العهد القديم الذي

(١)אפלפלד אהרון: מכרה הכרח שם עמי 144-143.

دون خارج فلسطين، والتلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل، والترجمة السبعينية في الإسكندرية، وأدب العصر الوسيط في أسبانيا، وفي مصر، وأدب التنوير اليهودي في القرن التاسع عشر، وسعيها نحو جلب يهود الشتات لفلسطين، و«رفض المنفى» غير الصورة.

إن النشاط الصهيوني نقل اهتماماته، خلال الربع الأول من هذا القرن، من الاهتمام باحتياجات الشعب اليهودي في الشتات، إلى الاهتمام ببناء قاعدة للقوة في أرض إسرائيل، والآن، فإن النظام الإسرائيلي الصهيوني المسيطر يستغل هذا الشتات لخدمة احتياجات إسرائيل. وبالإضافة إلى ذلك فإن صفة إسرائيل هي صفة مجردة، ويستغل الشتات اليهودي، ودولة إسرائيل ذاتها لخدمة مصالح النظام المسيطر في إسرائيل الذي يجعل نفسه صنواً للدولة(١) .

وكان هناك مبدأ يعرف في الكتابات اليهودية السياسية بـ Doikeyt، وهو مصطلح باليديش، ترجمته الحرفية (هنا)، فلسطين، أو أي مكان آخر يتم تجهيزه سبيلاً لإقامة اليهود في أراضي الشتات، الأمر الذي تدعو إليه الصهيونية وأشكال أخرى من القومية الإقليمية اليهودية. وبالنسبة لتلك النوعية من المنظمات فقد كانت تؤمن بمبدأ (هنا) ولم يكن يعني هذا العداء الحتمي للهجير حين تدعو الضرورة، ولكنه كان يعني الارتباط القوي لليهود بالأرض التي أقاموا فيها لمدة طويلة، مع اعتراض قوى على فكرة وجوب أن ينشئ اليهود وحدة إقليمية مستقلة في أي مكان آخر في العالم(٢) .

ولقد أرادت معظم هذه المنظمات اليهودية أن تؤكد على الجذور العميقة لليهود في «أراضيهم الوطنية»، وعن مساهماتهم الجبارة في ثقافتها، وتطورها، ونموها الاقتصادي، ويعطي مثالاً على ذلك المكتشفين اليهود الألمان الذين ساعدوا في اكتشاف أفريقيا. يقول أحد اليهود الألمان: «إن قبول أجدادي في الأراضي الألمانية، ولآلاف السنين يعمل اليهود، وعاشوا في ألمانيا، ولسان أمي ألماني، وأنا لا استطيع التحدث بغيرها،

(١) بوعز، عفرون: المرجع السابق، ص ٦٢٣ – ٦٢٤.

(٢) mendelsohn,ezra:on modem jewish politics, oxford university press,(new york, 1993).p 10.

والعبرية بالنسبة لي لغة الصلاة، مثلها مثل اللاتينية بالنسبة للكاثوليك، وعضو مجرى يهودي في البرلمان المجري تفاخر عام ١٩٢٠م، بأن اليهود كانوا موجودين منذ بدء تكوين الدولة المجرية الأولى، في القرن العاشر(١)

ولم يؤد نقل الاهتمام من الشتات إلى إسرائيل إلى الانفصال عن هذا الشتات، فلم يتنازل أي نظام سلطوي، وبرغبته الخالصة، عن أي جزء من سيطرته، وقد اصطدمت سيطرة الجهاز الإسرائيلي على أجزاء كبيرة من الشتات اليهودي، وهي الخطوة التي تدعم، أيضاً، من سيطرته على الجمهور الإسرائيلي عن طريق الموارد المالية التي يضعها الشتات تحت تصرف المؤسسة الحاكمة – اصطدمت هذه السيطرة، وسريعاً بحقيقة أن تكون الوعي القومي المنفصل في إسرائيل، وتطور الطابع القومين وغير الديني، والمستقل الخاص بالجمهور الإسرائيلي، بغرض سيطرة الجهاز على الشتات للخطر، ومن هنا، أيضاً، تتعرض سيطرته في إسرائيل للخطر، أيضاً(٢).

وفي البداية، كان الصهيونيون متشائمين بخصوص الوضع في الشتات، فبينما هم يعرفون أنه لن يمكن أن ينتقل كافة اليهود من شتاتهم إلى فلسطين، إلا أنهم يرون في وجود دولة قومية لليهود السبيل الوحيد لإنقاذ ما سيتبقى منهم في الشتات، بحيث تصبح الدولة القومية مغناطيساً جاذباً لأفضل العناصر من أبنائها اليهود، وتؤمن في الوقت نفسه ظهور الباقين في الشتات ضد المذابح والانتهاكات. أما قوميو الشتات فحتى في أحلك أوقات اليهود، مثل أواخر الثلاثينات، كانوا متفائلين بخصوص مستقبل يهود الشتات، ويرون أن إمكانية تعايش اليهود مع غير اليهود في ظل دولة ديمقراطية متعددة القوميات، شيء محتمل الحدوث(٣).

ولكن الشتات اليهودي الأمريكي له طابع خاص، سواء في التمسك بالطابع الأمريكي من حيث الهوية والمكان، وفي العلاقة الخاصة مع الصهيونية. في عام ١٨٨٨م أعلن «سيمون وولف»، رئيس منظمة أخوة الجنود الأمريكيين اليهود «بني بريت»،

---

(١) Ibid, P.10

(٢) بوعز، عفرون: المرجع السابق، ص ٦٢٤.

(٣) Mendelsohn, Ezra, Op. Cit., P.6.

والتي أنشأت عام ١٨٤٣م، أن الولايات المتحدة الأمريكية هي وطننا، فلسطيننا، وليس لدينا طموح غير أن نبني حياة من الرخاء في هذا البلد التي تبنانا، هذه البلد التي أسهمنا بنصيبنا في نموه المادي، والاجتماعي، والفكري[١].

في قاعة الحفلات الموسيقية لجماعة الشباب العبري في «نيويورك سيتي»، توجد أسماء «جورج واشنطن»، و«توماس جيفرسون»، جنباً إلى جنب مع أسماء أشعيا وموسى. وفي عام ١٩٥٤م عندما احتفل الشعب اليهودي، بمرور ثلاثمائة عام، على الإقامة المتيسرة السلمية نسبياً في الولايات المتحدة الأمريكية، تم إصدار شعار يجمع بين الرموز اليهودية والأمريكية، في شكل متناغم متناسق، وفي هذا الشعار تم اختياره بواسطة لجنة الذكرى المئوية اليهودية الأمريكية، عام ١٩٥٣م، تم وضع ثمانية نجوم أمريكية (وليست يهودية)، فوق الشمعدان اليهودي (ميزوزاه) أشهر رموز الديانة اليهودية، ولم يتم استخدام أية حروف عبرية[٢].

وعلى هذا النحو تعد إسرائيل ويهود الشتات، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، بمثابة شطر أمريكي الهوية والثقافة، علاوة على ذلك فقد وعد «هيرتزل» بأن تكون اليهودية لصالح أوروبا، وممثلة للحضارة الأوربية في الشرق الأوسط، حيث سيكون اليهود في إسرائيل جزءاً من السد الأوربي في وجه آسيا، ومركزاً للمدنية ضد (البربرية)، أي بمثابة معرض قائم دائم لخدمة المصالح الأوربية[٣].

وقد خاطب ليفي أشكول، (رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)، أعضاء المجلس الصهيوني العام الذي انعقد في القدس، في مارس عام ١٩٦٤م، فقال: «ينبغي علينا من الآن أن نرسم الخطط للمليون الرابع والخامس. من أين ومتى يأتون، وماذا سيكون مصير الشعب اليهودي في الشتات؟ ولكي تتمكن إسرائيل من الاستمرار في تأدية رسالتها يجب أن يكون هناك توسع دائم في سكانها، غير أن المسألة ليست مجرد إيجاد ثلاثة ملايين أو حتى خمس ملايين يهودي في الدولة. فمهمتنا لا تنتهي عند هذا الحد،

---

(١) Ibid, P.6

(٢) Ibid, P.6

(٣) الحلو، أنجلينا: عوامل تكوين إسرائيل، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث (بيروت ١٩٨٧م)، ص٢١

وهذه ليست نهاية الرؤية الصهيونية. إن رسالتنا التاريخية تتحقق بالوجود والقوة، وهكذا تغدو مسألة تحقيق الرسالة الصهيونية، وتأديتها مشروطة بـ «الوجود والقوة»، أي الاستيطان والقوة العسكرية، وهما اللذان يعتمدان بدورهما على معدل الهجرة[1].

«إن المهمة القومية التي تضطلع بها دولة إسرائيل، ألا وهي جمع شتات الجاليات اليهودية المبعثرة في العالم، وتهجيرها إلى إسرائيل، تستدعي هجرة متصلة تستمر على الأقل لمدة جيل واحد (٣٠ سنة)، وعلى الدولة الإسرائيلية أن تؤمن الأحوال الطبيعية لحياة هؤلاء السكان المهاجرين... ولذا فإن مهمتنا هي احتلال الأراضي العربية، وتوطيد سيطرتنا عليها، ووضع ثروتها المادية في خدمة اليهود في إسرائيل»[2].

وعلى الرغم من استمرار تمسك الحركة الصهيونية بالمبدأ الرئيسي والتنفيذي لأيديولوجياتها، المتمثل في الهجرة من الشتات لإسرائيل، فإن هناك في نفس الوقت مجهوداً ودعوة مستمرة في الشتات الأمريكي بالذات للتوحد مع المجتمع الأمريكي كيهود، وليس الذوبان التام. وتلك أيديولوجية ترمي إلى ازدواجية المكاسب بالاستفادة من الدعم الأمريكي لإسرائيل، وفي الوقت نفسه، تنامي وزيادة قوة وتأثير الشتات اليهودي الأمريكي.

وقد أبدى «سيروس إدلر»، رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية، في عام ١٩٩٢م، ملحوظة، قائلاً: «هناك معلومة تقول بأن هناك أكثر من ٩٦٠ ألف شخصي في نيويورك سيتي يستخدمون «البيديش»، بصفتها لغتهم الأم، وكان هذا سبباً وجيهاً بالنسبة «لأدلر» لكي يفسر لماذا كان الأمريكيون يسأمون القادمين الجدد الرافضين للذوبان في المجتمع الأمريكي، الأمر الذي يدفعهم إلى الانقلاب ضد الهجرة المفتوحة على مصراعيها. وهكذا فإنه إذا كان يمكن للجيل القديم من الأوربيين المولد الاستمرار في قراءة الجرائد بالبيديش والتحدث بها كلغة أم، فإن على الجيل الجديد أن يتأمرك، ويظهر ذلك في لوحة «رفائيل سويار»، «درس الرقص»، يحاول أن يظهر في لوحته تلك عملية تكيف اليهود في العالم الجديد – تلك العملية المتعذرة القاسية – فنجد في اللوحة صورة معلقة

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) الحفني، عبد المنعم (دكتور): عالم بلا يهود، دار الرشاد، (القاهرة ١٩٩٢)، ص ٩٢ – ٩٣.

على الحائط للجد والجدة، وهم اليهود الروس عتيقو الطراز، أما الأباء الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة وهم بالغون، يبدون مندهشين، وهم ينظرون إلى الأبناء، وهم يحاولون تعلم الرقص الغربي»[١] .

ومما يزيد عملية التوحد اليهودي مع المجتمع الأمريكي، الحاجة الملحة للغة مشتركة، وهي اللغة الإنجليزية، ناهيك عن اليديش والعبرية، «فإذا سلمنا بأن اليهود ليسوا قبيلة ولاعرق، وأنهم دين عالمي له رسالة يعلمها للبشر، »فأي لغة ينبغي أن يتحدثها اليهود؟واضح أنها ليست العبرية، فعلى الرغم من اعتراف اليهود لها بالتقدير الذي تتمتع بها لكونها لغة (الكتاب المقدس)، ولغة الصلاة والدراسة، فهي لا تصلح، نظراً لأنها ظلت لمدة تتجاوز الألف عام غير مستخدمة بالنسبة للملايين من يهود شرق أوروبا ولغيرهم من يهود الشتات. وبينما كانت هذه هي النظرة إلى العبرية، فإن اليديش كان ينظر إليها كمصدر للإحراج، وهدف للسخرية والاستهزاء، فلقد نظر إليها الكثير من اليهود كلغة غير مناسبة، هذا إذا اعتبرت لغة في الأساس»[٢] .

ومن هنا يبدو الاتجاه لتقدير الشتات، وتبني لغة دولة الشتات، وبشكل خاص الإنجليزية في الشتات المهم بالنسبة لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية.

يعالج الأدب الروائي الإسرائيلي المعاصر قضية تقدير الشتات اليهودي، من خلال الشخصيات التي تتبنى الدفاع عن الشتات، من حيث البيئة والثقافة، وما يتفرع عنها من ظروف حياتية معيشية، ومستويات ثقافية تستحق القبول والفخر بها.

ويتعدى ذلك القبول، والفخر، والتباهي إلى مرحلة الاعتماد على الشتات اليهودي في دعم دولة إسرائيل، سواء بالتأييد بالانحياز لها، والدفاع عنها في محافل الشتات، أو بالدعم المباشر أو المساندة لها في حروبها ونزاعاتها مع جيرانها العرب، من خلال أيديولوجيات مفادها الخوف على إسرائيل من الدمار والزوال.

ويعرض «سامي ميخائيل» في رواية «فكتوريا» تقدير الشتات اليهودي الشرقي في الحد الأدنى من صور التقدير والمتمثل في التباهي والفخر بدور الطائفة اليهودية

---

(١) Mendelshon, Ezra: Op. Cit., P.9

(٢) Ibid, P.7.

العراقية في ازدهار الثقافة العربية هناك.

«بغداد باقية على حالها منذ أكثر من ألف عام. المدينة الكبيرة التي تطورت من قرية نائية على حافة المملكة الساسانية.

تكن «فكتوريا» حباً كبيراً لآبائها، فقد ساهم أطباء، وعلماء، ومفكرون، وساسة، وأدباء يهود ساهموا بنصيب كبير وممتاز في تشكيل الثقافة العربية التي ازدهرت هناك[١].

ومن تقدير الشتات اليهودي الشرقي إلى تقدير الشتات اليهودي الغربي من خلال رواية «فويجلمان»، «لأهارون ميجد»، والمتمثل في الفخر بمستوى الثقافة هناك (وارسو) بالمقارنة بالأدب والثقافة في إسرائيل، التي لا يمكن أن تصل لهذا المستوى الشتاتي أبداً.

يوجد أدب عبري في إسرائيل، أنا أعلم، أيضاً، أتذكر قليلاً من القراءة، يوجد عندكم معاهد ومقاهي يلتقي بها الأدباء، ولكن ما كان في «وارسو» قبل الحرب لا يوجد في إسرائيل، ولن يوجد، وحكى عن «تلومتسكا١٣» البيت الذي ضج بالحياة على مدى أكثر من عشرين عاماً، حيث كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه، طوال اليوم، وحتى ساعة متأخرة من الليل، ومن يأتي من خارج المدينة وليس له مكان للإقامة، كان يقيم به[٢].

ومن تقدير ثقافة وأدب الشتات، إلى تقدير إحدى الشخصيات في الشتات اليهودي العربي، فكما حرص الأدب الروائي على تصوير سلبية شخصيات الشتات اليهودي الغربي، وخاصة في معسكرات العمل النازية على الغالبية منهم، وخاصة أمام النازية، حرص، أيضاً، على تصوير الحالات الفردية الإيجابية، ومن الطبيعي أن يكون لكل قاعدة شواذ؟

وها هو «فاول» إحدى شخصيات رواية «حفرة الثلج» «لأبيلفيلد»:-

«فاول هو مفسر أحلامنا، أيضاً، الذي كان يحاول، طيلة الوقت، أن يعلمنا السكينة

(١)סמי מיכאל: שם עמ׳ 59.

(٢)מגד אהרון: שם עמ׳ 252-253.

والهدوء الداخلي. وقد مات، منذ شهر. إنه يحاول، الآن، أن يعلمنا أسراره، ها هو يمسك بذراع أحد الرجال، ويقول: حسب قوتك، أنت متوتر، قلق، غاضب، تلك المشاعر لا تعطي للجسم صحة. أرح جسدك، و تزوده بأفكار حزينة. لا تخف من الضربات، فكل ما تخافه يزيد كثيراً من قلقك. الجوع لا يقتلك، ولكن تقتلك المخاوف. انفض المخاوف من رأسك لتستجيب للحكم الأخير لنهاية الشخص، ومن حياتك.

إن «فاول» لم يخش الموت، بل تجاهله بكل ما في العبارة من معنى.

في الواقع كان الرقيب مبتعداً عنا، كان يمدد جسده على الأرض، وينام، كانت قوته أن يأخذ غفوة من النوم، طالما كان ذلك متاحاً بالمكان الذي يعرفه هو وحده. في مساء أحد الأيام، انقض عليه أحد الرقباء، وجلده بالسوط، وحيث إنه لم يصرخ، ولم يستعطفه، لم يخف عنه.

كنا واثقين أنه لن يبق على قيد الحياة بعد هذا. ولكن «فاول» في مفاجأة لنا، وقف ماشياً على قدميه، وحاولنا أن نجفف له الدم الذي سال على ظهره، ولكنه رفض، لأنه كان لديه اعتقاد أن الجسم يعرف كيف يحمي نفسه، ولا داعي للتدخل. وحدث ما يشبه ذلك، غير مرة، وفي كل مرة كان يثبت لنا أنه أقوى من الإرهابيين، حيث إنه مخلوق من دم ولحم بخلافهم. وعلى هذا لن يخضع لهم، وعلى ما يبدو، خاف الرقباء من أنه متسلط عليهم، ومتغطرس، ومن هنا، عاملوه بقسوة شديدة[1] .

جاء التقدير في تصوير «أبيلفيد» لـ «فاول» وهو شخصية شتاتية يهودية في إحدى معسكرات العمل (على نهر البوج)، بصورة فريدة من الإيجابية والقوة، وأنه يحمل فلسفة الإرادة التي يعيش عليها، وينصح بها الآخرين، وتلك الفلسفة تنص على :-

١- البعد عن التوتر، والقلق، والغضب، فهي التي تدمر الصحة.

٢- راحة الجسد، وإزاحة أفكار الحزن عنه.

٣- عدم الخوف من الضربات؛ لأن الخوف يؤدي للقلق، وهذا مرفوض.

(١)אפלפלד אהרון : שם עמ' 144-145.

٤- المخاوف تؤدي للقتل، وليس للجوع.

٥- التخلي عن المخاوف في الفكر والعقل للإنسان.

٦- فلسفة تجاهل الموت، لا الخوف منه.

٧- الراحة بالمكان الذي يعرفه وأنه أهل لذلك، ويعطيك الراحة المطلوبة.

٨- تقبل الضربات بقوة، دون الاستحسان.

٩- فلسفة كون الجسد يملك دفاعاً داخلياً لعلاجه.

١٠-عدم الخضوع للجلادين؛ لأنه أقوى منهم في تكوينه الجسدي.

لقد كانت تلك حالة فردية من الإيجابية في إحدى المعسكرات النازية، أراد «أبيلفيلد» أن يؤكد عليها في رواية «حفرة الثلج»، فهو يرى تلك الصور وأمثالها وقعت بالفعل هناك، فهو شخصياً، يقول:

«إن ما يغضبني هو الأمور التي تميز أحداث النازية كبشاعة ينقصها التوضيح، حيث يقتل الرجل دون تمييز، ودون أن يفعلوا شيء ... ونسوا أنه كانت هناك ملامح إنسانية كبيرة في أحداث النازية، فلولا المساعدة المتبادلة ما كان قد خرج أحد من هناك»[١].

ومن تقدير الشتات اليهودي الشرقي والغربي في الحد الأدنى منه إلى التقدير في قمته المتمثل في دعم الشتات لإسرائيل، وحمايتها، والدفاع عنها.

وبطبيعة الحال فإن هذا الدعم قادم من الشتات الغربي حيث يصوره «ميجد» في رواية «فويجلمان».

«رؤية مخيفة لمشهد يوم القيامة، تعبر عن تصوره: الدول الإسلامية المنتشرة على وجه الأرض، يشكل مواطنوها مئات الملايين، وإن ثرائهم ليس له حدود، يسيرون نحو التعاظم. ولا يوجد شيء يعرقل هذا التعاظم – تربض جيوشهم على الحدود الإسرائيلية، إن لم يكن في غضون خمس سنوات، أو عشر سنوات، أو في غضون خمس عشرة سنة، يهاجمونها (إسرائيل) من كل صوب، من البر، ومن البحر، والجو، وحلفاؤها

(١)בסר יעקב: שם עמ' 144-145.

صامتون حيث يرون أنها تتماسك بنفسها، ولا يوجد أي توقع أن تتغلب على أعدائها الأقوياء، مهملين إياها، يقفون بعيداً، كما كانت وقفتهم بعيداً عندما أباد الألمان يهود أوروبا. والمعتدون الذين ينفذون مذابح مروعة ضد يهود إسرائيل، قتل النفس، والرب ينظر من أعلى، وهو صامت كما صمت من قبل.

ومن قلب هذا الظلام الدامس، يشع ضوء خادع في الصفحات الأخيرة من الكراسة(١).

مفهوم الإنقاذ المتطرف لدى «فويجلمان» :-

«أمام كل قوى الشر في العالم – ما هو المتاح لنا أن نفعله؟ بأي شيء نصمد؟ قوة واحدة ووحيدة عندنا: «قوة العقل اليهودي».

إذا ما تذرع علينا الأغراب ببروتوكولات حكماء صهيون، وأننا عاقدو العزم على السيطرة على العالم، نعكس نزعة تلك العقدة لواقع، نقيم حلف الأسرار العالمي اليهودي، هذا العقد الموزع بين مائة دولة، حيث إن قوته (العقل اليهودي) أفرزت كل الاختراعات الكبيرة في الطب، والتكنولوجيا، ووسائل القتال، والاقتصاد، والساسة، ذلك العقل من الواجب أن يتوحد، ويجند لإنقاذ الشعب اليهودي(٢).

رسم الكتاب صورة كاملة الملامح لوجهة النظر المتطرفة ليهود الشتات الغربي، وتصورهم للوضع الحالي لدولة إسرائيل، بحجمها الصغير، وتعدادها القليل، بين الدول العربية والإسلامية الكبيرة، حيث تعد قطرة بالنسبة لهم بمقاييس الحجم، وتعد فقيرة اقتصادياً، بالقياس إلى اقتصاد الدول العربية والإسلامية.

وفي جانب من الصورة يبدو الهلع اليهودي الشتاتي في الغرب من تعاظم قوة العرب والمسلمين اقتصادياً، ويصفه بأنه (ثراء ليس له حدود)، وبعد الوصف بعدم محدودية هذا الثراء الذي يأخذ طريقه للتعاظم تبدو النظرة الهدامة من خلال القول: «لا يوجد شيء يعرقل هذا التعاظم».

(١)מגד אהרון: שם עמ' 252-253.

(٢)מגד אהרון: פוגלמן שם עמ' 253.

بمعنى أن هناك تفكيراً جاداً لاستخدام وسيلة أو أخرى لعرقلة هذا التعاظم.

ويتعدى الهلع اليهودي من التعاظم الاقتصادي إلى التعاظم العسكري لجيوش البلاد العربية المجاورة المحيطة بإسرائيل، من كل جانب، وخشية توحد هذه الجيوش وانقضاضها عليها، وضربها ضربة رجل واحد، سواء من البر، أو البحر، أو الجو.

وهناك سبب آخر للهلع الشتاتي على مصير إسرائيل، والخوف على وجودها، وهو توقع وقوف الدول الغربية الحليفة لها موقف الصمت، في حال تعرضها للخطر للقناعة بهزيمتها، وإرجاع تلك الحالة المتوقعة إلى حالة شبيهة عندما تعرض اليهود لخطر الإبادة النازية، ووقف الغرب صامتاً، ولم يفعل شيئاً. ويزداد الهلع مع استمرار سماعهم عن المذابح والقتل لليهود في إسرائيل.

ويصل الهلع اليهودي في الشتات الغربي ذروته في التشكيك في موقف ربهم، وأنه سيصمت، أيضاً، حيال دمارهم من قبل الدول العربية، كما حدث، وأن صمت عند أحداث النازية وإبادة اليهود هناك.

ومن هنا، يجسد الأدب الروائي، الأيديولوجيات الصهيونية التي تجعل من أحداث النازية نقطة انطلاق لنازيتها ضد العرب، بدعوى خشية الدمار والزوال بالنسبة لدولتهم، مع الأخذ في الاعتبار أن يكون ذلك في ذاكرة كل يهودي شتاتي في إسرائيل، وبالتالي كل يهودي في إسرائيل، وهو يمارس الإرهاب.

وتلك أيديولوجية صهيونية تروج لها بين يهود الغرب بغرض ابتزاز الدعم اليهودي من الشتات، والدعم المادي والتعويضات من دول الغرب، وإيجاد الذريعة لأعمال إسرائيل الوحشية ضد العرب، وتبرير امتلاكها للقوة، وخاصة الأسلحة النووية.

وبعد وصف إسرائيل بأنها دولة صغيرة، ومحاصرة بين شعوب قوية وغنية، ربما تفتك بها، وتعرضها للزوال، وخاصة مع فقد الثقة في حلفائها، وحتى في ربهم، أيضاً، في مساعدتهم، وخاصة مع استمرار تعرضهم للقتل في إسرائيل، وبعد هذا كله، يقدم الشتات الغربي الحل النهائي حسب تصوره، وهو تسخير «قوة العقل اليهودي» لخدمة إسرائيل بخطة واضحة ومحددة (لما أسماه) إنقاذ الشعب اليهودي في توحيد الفكر والعقل اليهودي المبعثر في دول الشتات، في شتى أنحاء العالم، واستغلال إمكاناته

الهائلة في الطب، والتكنولوجيا، ووسائل القتال، والاقتصاد، والسياسة، لتنفيذ هذا الإنقاذ المطلوب لإسرائيل.

وإذا كان توحيد وتجميع العقول اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء العالم من أجل دعم وخدمة وجود إسرائيل، فإن تسخير وسائل الصهيونية (بروتوكولات حكماء صهيون) لهذا الغرض، يأتي منطقياً من حيث استخدام تلك العقول لتنفيذ تلك الأيديولوجية الهدامة للسيطرة على العالم كله، بنشر وسائل الهدم والتدمير، وبقاء إسرائيل، وكافة اليهود في مأمن، وفي مواقع الصدارة والسيطرة.

وقد جاء في المادة الخامسة من تلك البروتوكولات، «إن التشتت الذي أصاب اليهود، «الشعب المختار»، في كل أقطار العالم، ليس كما يبدو مصدر ضعفهم، وإنما هو في الواقع مصدر قوة لهم، فإن هذا التشتت في أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوي نفوذ في كل قطر، إذ يستطيعون من خلال تشتتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية.

وجاء في المادة الثالثة «يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج في أيدينا، نستميلهم ونغريهم من طرق شتى، أهمها الرشوة، والنساء، كما أن منها العنف والإرهاب، بل والقتل في الخفاء، إذا لم تنجح وسلة غيره يتحتم أن تعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة، وبالعنف تارة أخرى، بأن تساس كما تساس قطعان الماشية»[1].

وجاء في القرار العاشر «لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر بذلك العداوات، والحروب، والموت، هذا مع الجوع، والفقر، ومع تفشي الأمراض»، «ولابد أن يمتد كل هذا إلى حد ألا يرى الأمميون أي مخرج لهم من متاعبهم، غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا، وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة.

وجاء في القرار الحادي عشر «أن الأمميين كقطيع الغنم، وأننا الذئاب. هل تعلموا ماذا تفعل الذئاب بالغنم؟ إذن ادفعوهم إلى هذا المصير .. لقد شتتنا إلهنا في أرجاء الأرض لنفعل ذلك، وهذا هو السر وراء هذا التشتت الذي حل بنا، فإن من رحمة «يهوه»

(١) السقاف، ابكار: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، ط٢، (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١٠.

أن «شعبه المختار» قد شتت؛ لأن هذا التشتيت الذي يبدو ضعفاً مشيناً أمام العالم، قد ثبت أنه كل قوتنا، التي إذا ما طبقناها على هذا المثال، وصلنا حتماً إلى أعتاب السلطة العالمية»[1].

«ويمكننا الآن أن نعرض للأفكار الأساسية في البروتوكولات، التي تؤكد أن السياسة لا تخضع للأخلاق، وأن اليهود سينفذون مخططهم الإرهابي عن طريق الغش والخداع، فعلى مستوى المجتمع سيقومون بتقويض دعائم الأسرة، وصلات القرابة، وإشاعة الإباحية، واستغلال الحريات العامة، وتخريب المؤسسات المسيحية، وإفساد أخلاق العالم المسيحي الأوروبي. أما على مستوى الدولة، فإنهم سيسعون إلى تقويض كيان الدول، عن طريق الإيقاع بينها، بحيث تندلع الحروب، على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في حدود الدول، أو إلى مكاسب إقليمية، ليتمكن رأس المال فحسب، من الخروج بالغنائم. وينبغي التركيز على المنافسة في المجتمع، وعلى تصعيد الصراع الطبقي، ليجري الجميع نحو الذهاب الذي لابد أن اليهود سيحتكرونه، وتصاب المؤسسات الدينية والسياسية بالاهتزاز، ويسود رأس المال كل شيء. وتهتم البروتوكولات في المراحل الأولى من المخطط بأن يسيطر اليهود على الصحافة، ودور النشر، وسائر وسائل الإعلام، وحتى لا يتسرب إلى الرأي العام العالمي إلا ما يريدونه. كما أنها ترى ضرورة أن يسيطر اليهود على الدور الاستعمارية، وأن يسخرها حسب أهوائهم»[2].

وعلى مدى صفحات الروايات (محل البحث والدراسة)، كان أسلوب الخطاب بين الشتات وإسرائيل، يتم بصيغة التباعد بين الطرفين بمعنى هنا وهناك، ونحن وأنتم، فعلى سبيل المثال:

(انتم متحدثو العبرية، ونحن متحدثو اليديش، وهنا الخطاب بصيغة الجمع بين إسرائيل والشتات (رواية فويجلمان ص ١٩)، (الحاخام شحيتان عندنا (الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٢٣)، (وهنا (إسرائيل) فويجلمان ص ١٥)، (يوجد عندكم معاهد

(١)المرجع السابق، ص ٣٣٢.

(٢)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٧٢.

(إسرائيل) رواية «فويجلمان» ص١١٤)، (كالأغنام (يهود الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٦٤)، (تم سوقهم (يهود الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٦٥)، (خطؤكم (إسرائيل) رواية «فويجلمان» ص ١٦) وهكذا ...

ولكن في هذه الفقرة التي عبرت عن مدى التقدير للشتات بالتلاحم مع إسرائيل، بغرض دعمها والدفاع عنها، ومن هنا، كان التوحد لهذا الغرض، وجاء أسلوب الخطاب بصيغة الجمع.

ما هو المتاح لنا ...؟

بأي شيء نصمد ...؟

قوة واحدة، ووحيدة عندنا ...

أننا عاقدو العزم ...

نعكس نزعة تلك العقدة ...

نقيم حلف الأسرار ...

تم من خلال أسلوب الجمع السابق السؤال، والإجابة، والتصور، ورد الفعل.

أ- السؤال: ما هو المتاح لنا؟ بأي شي نصمد؟
ب- الجواب: قوة واحدة، ووحيدة عندنا ..
ج- التصور: إذا ما تزرع علينا الأغراب ... بأننا عاقدو العزم ..
د- رد الفعل: نعكس نزعة تلك العقدة لحقيقة نقيم حلف الأسرار ..

ورد في الفقرة ثلاثة أرقام لها مدلولها ومغزاها في التعبير عن الهلع اليهودي في الشتات، خوفاً على مستقبل إسرائيل.

- خمس سنوات.
- عشر سنوات.
- خمس عشرة سنة.

تعد رواية «فويجلمان» من الروايات المهمة التي صدرت، بعد حرب السادس من

أكتوبر ١٩٧٣م، وعبرت عنها في ثنايا أحداثها.

ومن أهم الأسباب التي أقلقت الشتات اليهودي الغربي على مصير إسرائيل نتائج تلك الحرب، التي كان النصر فيها لمصر والعرب جميعاً، خاصة أن هذا النصر كان نتاج توحد العرب ضد إسرائيل، قلباً وقالباً، وجاء في الفقرة أن هذا التوحد هو مصدر الخوف على إسرائيل، خشية تكراره مرة أخرى، وخاصة القرارات البترولية التي أزعجت الشتات اليهودي الغربي، بل والغرب كله.

ويبدو أن الكاتب قد استوعب درس، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، جيداً، فقد جاءت بعد حرب ١٩٦٧م، بست سنوات تقريباً، وهو يعلم جيداً أن البلدان العربية تضع دائماً خططاً مستقبلية في الغالب خماسية للتطوير، وزيادة القوة العسكرية، فربما تصل القوة بعد خطة، أو اثنين، أو ثلاثة، للاستعداد التام، وتنقض تلك الدول على إسرائيل.

ويترجم الشتات الغربي حرصه على وجود إسرائيل بالدعم المتمثل في خطط وبرامج مختلفة، يتم تنفيذها لأداء هذا الغرض (رواية فويجلمان):

«وبعد أن ذكر أسماء عشرات من العلماء اليهود الذين فازوا بجائزة نوبل في الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، وفي الطب، وغيرها – أسماء على ما يبدو حصل عليها من دائرة المعارف – ذكر أن حوالي ٢٠٪ من مجموع الفائزين بتلك الجوائز، على مدى سنوات، كانوا يهوداً – ولولا خشية مانحيها من أن يعتبروا من محبي السامية بأمر مبالغ فيه، لكان الحجم الحقيقي، يصل إلى ٦٠٪ أو ٧٠٪ - سجل بحروف كبيرة وسط الصفحة شعار بصيغة كلمة السر التي رفعت في مظاهرات الأحزاب اليهودية ببولندا».

(يعيش العقل اليهودي العالمي)، «تحت هذا العنوان تفصيل أهدافه، وكيفية مزاولة نشاطه الدولي (العالمي): مثل إعداد ميثاق الأسرار، ويكون له قيادة تفرض طابعها على كل أعضائها، حيث هم هناك يسيطر عليه مغزى خطير، تستطيع عالمية العقل اليهودي أن تعوق، أو تفشل تطوير وصنع وسائل الحربن التي تشكل خطر على سلامة إسرائيل، تستطيع أن تفرض عقوبات على دولة معادية بواسطة تخريب وشل معاهد العلم. وفي مقابل هذا تستطيع إحلال وتطوير وسائل حرب سرية تستخدم للدفاع عن إسرائيل،

دفاعاً عنها وحدها[١].

تشتمل الفقرة على أعلى درجات التقدير للشتات اليهودي، حيث تمجيد قوة العقل اليهودي العالمي، المتمثل في الأعداد الكبيرة من اليهود، والذين حصلوا على جائزة نوبل، وبالتالي الاعتماد على تلك العقول كقوة عالمية يمكن تسخيرها لدعم إسرائيل، مع تنظيم تلك العقول في مواطن شتاتها، أو أن تعمل وفق برنامج سري له قوته، وله خطورته هناك، من حيث قوة ما يفرزه من أشرار ودمار (على غرار بروتوكولات حكماء صهيون) تجاه الآخرين، وبالذات تجاه من تراهم في مصاف الأعداء لليهود وإسرائيل.

ومن هنا تكون النتيجة هي الدعم المستمر لإسرائيل.

وهذه الأساليب الهدامة تكون أما، سلباً أو إيجاباً، لصالح إسرائيل. فالدعم السلبي يكون بـ:

- إعاقة وإفشال تطوير وصنع وسائل الحرب، التي تمثل خطر على سلامة إسرائيل.
- فرض عقوبات على الدول التي تشكل خطراً على إسرائيل.
- تخريب وهدم معاهد ومعامل التطوير في الدول التي تمثل خطراً على إسرائيل.

أما الدعم الإيجابي فيكون عن طريق:

إحلال وتطوير وسائل حرب سرية مصنوعة خصيصاً للدفاع عن إسرائيل وحدها.

وعلى الرغم من تصوير الكاتب بكل وضوح إمكانات عقول اليهود في شتى أنحاء العالم، في بث شرورها ودمارها وأساليبها الملتوية للسيطرة على العالم، مع تدمير كل ما يمثل خطراً على إسرائيل، فإنه كان واقعياً في عرض أهم وأقوى طبائع اليهود، وهو (تدبير الشرور واختزانها في السر)، وفي الخفاء، فإن ما يعلن يعد جزءاً مما هو مستور، وإن ما يخرج له باق، مستتر سواء، في العقول كأفكار هدامة، أو في الأدراج كخطط معدة للهدم، أو مواد في المخازن تستخرج في حينها، أيضاً، وهذا كله تحت بند (الأسرار اليهودية).

(١)מגד אהרון: שם עמי 253-254.

وقد تكررت كلمة السر في معناها، في الفقرتين السابقتين، فوردت عبارة «ميثاق الأسرار مرتين، وكذلك كلمة السري، وعبارة (وسائل حرب سرية).

وتبدأ الفقرة التالية بعبارة (السلاح السري)، حيث يعرض الشتات الغربي أعلى، وأعقد، وأقوى وسائل الدفاع عن إسرائيل متمثلة في (أشعة الموت) التي تفوق القنبلة الذرية في قوتها (فويجلمان):

«(السلاح السري) الذي يفوق كل سلاح آخر في العالم، سيكون (أشعة الموت)، ليس قنبلة ذرية، إذ إن قنبلة من هذا النوع موجودة في الغرب والشرق، وقريباً ستكون، أيضاً، في يد دول عربية، وتكفي واحدة منها أن تدمر إسرائيل، وتهلك سكانها، لكن (أشعة الموت) خلال ثوان معدودة، يمكنها أن تدمر بقوتها جيوش كبيرة وعظيمة».

فعندما تتجمع جيوش الأعداء على حدود البلاد (إسرائيل) لشن حرب، تسقط جميعاً أمام أشعة الموت، وتنقذ إسرائيل. ذلك هو الخيار الذي أشار إليه «فويجلمان»، وعرضه علي، وبعده انفصلت عنه ولم أعد لرؤيته مرة أخرى[1].

يمثل ما جاء في الفقرة السابقة قمة هلع يهود الشتات الغربي، وخوفهم على مصير إسرائيل، والتصور بإمكانية زوالها، في حال توحد وتجمع الجيوش المعادية حولها، وخشية هلاك سكانها، إذا ما استخدمت تلك الجيوش القنبلة الذرية، حيث من الوارد أن تمتلكها إحدى الدول العربية.

ومن هنا، جاء التصور بامتلاك سلاح سري يفوق القنبلة الذرية، وهو (أشعة الموت)، حيث يكون هذا السلاح مخزوناً بإسرائيل فحسب، ويوجه من داخلها ليدمر كل الجيوش المهاجمة على حدوها في ثوان معدودة. وهذا التصور الغربي يربط الإمكانيات الهائلة (التي عرضها من قبل) للعقول اليهودية في شتى أنحاء العالم، وبين ميثاق الأسرار، وامتلاك وسائل سرية مدمرة للدفاع عن إسرائيل.

وحول معاداة السامية، وتبدل أحوال اليهود وصعودهم في دول الشتات، يدور الحوار التالي من «رواية فويجلمان» «لأهارون ميجد»، بين بطل الرواية، و«أربيل» أستاذ

(١) שם עמ' 254.

التاريخ، أثناء زيارته باريس:

«وما أن أصبحنا بمفردنا، سألته: هل كانت عنده نية خاصة من وراء ما فعله، عندما أرسل لي كتب «فارفيت» و«ديقة» اندهش، وقال: أردت أن أوضح لك أن أموراً كثيرة اختفت من العالم، ومعاداة السامية موجودة للأبد، لم تبق فحسب، ولكن لم تتغير أيضاً، تلك فرية الدم تطل برأسها من جديد – منذ عهد إفيون، وحتى هتلر، وأربعون عاماً بعد هتلر، أيضاً.

لم أندهش إذا كان ذلك في باريس، منارة الحرية. تندلع بالغد إشاعة إن طفل كاثوليكي قتل لتخبز بدمه فطائر عيد الفصح، وسوف يصدق ذلك عدد ٢ مليون شخص.

قلت إنه توجد مبالغة كبيرة في أقواله.

منذ سنوات، ليست بعيدة اختير يهودي لرئاسة حكومة فرنسا، والآن يوجد لباريس رئيس أساقفة من أصل يهودي، حيث يصرح علانية، أنه على الرغم من كونه مسيحيًا حسب عقيدته، لم ينقطع عن كونه يهوديًا نعم. نعم.

هز «فويجلمان» رأسه. نعم. نعم»[١].

الإحساس باليهودية والشعور بالخوف من الآخرين هو إحساس داخلي يشعر به اليهودي، ويكون الحاكم لتصرفاته وسلوكه في بيئته، ومن هنا، جاء إحساس «فويجلمان» وشعوره بيهوديته المتدنية، وخشيته الدائمة من مواجهة موقف من إحدى المواقف المأخوذة على اليهود في أعيادهم، وهي خلط فطائر الفصح بدم بشري غير يهودي، وفي داخله أن هذا من الممكن حدوثه في باريس، موطن شتاته هو، ووقتها سيصدقه الجميع، وتكون الكارثة.

ولكن الواقع رد له صوابه بأن اليهود في شتاتهم أصبح لهم دور، في الوقت الراهن، ودلل على ذلك بما في باريس نفسها، حيث إن رئيس أساقفتها من أصل يهودي، وكان رئيس حكومة فرنسا في فترة من الفترات، يهودي.

(١)מגד אהרון: פוגלמן שם עמ' ١٠٧.

وباريس موطن شتات «فويجلمان»، بطل رواية «فويجلمان»، لها دور كبير في أحداث الرواية التي صدرت عن البطل وضيوفه من إسرائيل، وخاصة ما قدمته من دعم يشمل خطط دفاعية عن إسرائيل، وما وصل إليه اليهود في مكانه في باريس، «فمن مفارقات القدر أن ولدت الصهيونية في مكان لم يخطر ببال، ولدت في قاعة محكمة الجيش في باريس، في ١٩ ديسمبر ١٨٩٤، إذ ارتفع الستار عن قضية القرن العاصفة، وكان «الفريد دريفوس»، بؤرة العاصفة، وكان ممن شهد المحاكمة وتأثر بها يهودي من النمسا، اسمه «تيودور هيرتزل»، أحس أن العالم كله يتفتت بهذه المحاكمة، واتضح له فجأة أن اليهود لن يتمتعوا أبداً بالسلام، والأمن، والاحترام، وهم مشتتون بين أمم أخرى، وما كان لهم أن يأملوا في ذلك حتى يكون لهم وطن، هو فلسطين. ومن ثم أعد كتاباً عن إقامة دولة لليهود، بعنوان «دولة اليهود»، ترجم إلى عدة لغات، وسبب إثارة كبيرة في دوائر اليهود، حتى قال اليهود إنه المسيح المنتظر الذي سيقود الشعب اليهودي إلى «أرض الميعاد»[(١)].

ومن أهم القضايا الثائرة، في الوقت الراهن، في المجتمع الإسرائيلي قضية «من هو اليهودي»، وهي قضية موضع خلاف حاد، وعلى الرغم من التسليم بأن كل من يولد من أم يهودية فهو يهودي، ولكن الأهم في هذا هو الإحساس أو الشعور، فيقولون إن كل من يشعر بداخله أنه يهودي فهو كذلك، وهو ما تشدد عليه الصهيونية على اليهود أنفسهم وخاصة بالشتات، لا ينسون يهوديتهم على الرغم من احتمال جلب المشاكل، كما عبر عن ذلك أهارون ميجد، في رواية «فويجلمان»، من خلال بطل الرواية الشتاتي المقيم بباريس، ويشعر بداخله بأن سهام العداء موجه ضده، لمجرد أنه يهودي، وهو يشعر بذلك.

وكذلك بطل رواية «حفرة الثلج»، حيث يصوره «أهارون أبيلفيد»، شاباً يهودياً يتخبط في دول الشتات الغربي، مستشعراً بيهوديته أنه مطارد على الدوام، وعنه يقول «عاموس برت»:

---

(١)شريف حسين (دكتور): المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق.م ١٩٩٥م، من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (١٩٠٠ –١٩٤٨)، جـ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ١٩٩٥)، ص ٢١٠.

«منذ بضعة سنين سمعت على لسان «حاييم جوري»، قصة عن صبي يهودي في التاسعة من عمره، نجح في الهرب من بيته، في فترة «أحداث النازية»، وهكذا تشرد بين القرى والمدن، هرباً من تهديد جيوش الاحتلال. أخذ الفتى الصغير حبلاً سميكاً، وربط به بنطلونه بكل قوة، حتى لا يفلحوا في رفع بنطلونه لأعلى. تشرد الصبي على مدار سنتين كاملتين، في شتى أنحاء أوروبا القائمة حتى تمكن من النجاة، وحتى شهرين بعد الحرب، ولكن يبقى، حالياً، شرخ عميق في داخله، فهو تائه يرجو جماعة تحتضن شبابه، وبين الحين والآخر، عندما تظهر قضية (من هو اليهودي) دون المفهوم السياسي، ولكن بمفهوم العمق الداخلي، فإن ذلك يذكرني بتلك الرواية»[١].

«لقد أطلقت إسرائيل على نفسها في مستهل نشأتها، عام ١٩٤٨م، دولة الشعب اليهودي، وأصدرت قانون العودة الذي يمنح الجنسية الإسرائيلية تلقائياً لأي يهودي يصل لإسرائيل، ولم تستطع إسرائيل الهروب من الضرورة الخرقاء، والمشحونة بالتعقيدات الدينية، والفلسفية، والعنصرية، في تقرير من هو اليهودي، في إطار المنظمة التشريعية؟ وهل هناك معيار تشريعي لذلك؟ إن أي إنسان يدعي أنه يهودي سوف تعترف به الدولة اليهودية رسمياً، وإن الشروط الإصلاحية (والمحافظة) للتحول إلى اليهودية، غير معترف بها من قبل الأصولي، بل ويعتبرونها موضوعاً هزلياً»[٢].



(١)ברט עמוס: מכרה של קרח או מחצי אנוש עמודים ירחון הקובץ הדתי נובמבר 1997 עמ' 24 .

(٢)لانداو، ديفيد: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة، ترجمة: مجدي عبد الحكيم، مكتبة مدبولي، (القاهرة ١٩٩٤)، ص ٣٨.

الخاتمة

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أهم الأعمال الروائية العبرية المعاصرة، والتي صدرت، بعد حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣م، التى تعرضت للشتات اليهودى بمختلف جذوره، وثقافاته، وجغرافيته، حيث كان التناول لثلاثة أعمال روائية هى (فويجلمان ١٩٨٧، حفرة الثلج ١٩٩٧، فكتوريا ١٩٩٣) لأدباء تضرب جذورهم فى الشتات اليهودى غرباً وشرقاً.

وقد أظهر البحث الاتفاق حول كثير من القضايا ذات التأثير البالغ على إسرائيل، وعلاقاتها مع جيرانها والعالم الخارجى، وتوجهاتها نحو السلم والحرب، وقراراتها حيال الصراع العربي ـ الإسرائيلي، حيث جاء الاتفاق من خلال فكر ورؤى الأدباء الثلاثة.

وقد رصد البحث الرؤى الأدبية المختلفة تجاه فشل المشروع الصهيوني لقيام الدولة وإخفاقها فى تحقيق حلم اليهود ويهود الشتات. ومن هنا سيبقى المجتمع الإسرائيلى بطبيعته الاستثنائية خلافاً للمجتمعات الطبيعية لما يحتويه من أعراق مختلفة، ستبقى دوماً فى تنافر وصراع.

على ضوء ما تقدم أمكن استخلاص النتائج التالية:

(١) إن الشتات اليهودي على مختلف مسمياته بين الماضى والحاضر، ما بين السبى والمنفى، لم يكن ظاهرة خاصة باليهود وحدهم، وأن السبى كان أسلوباً قديماً، وخاصة في أعقاب الحروب، حيث تقوم الدولة المنتصرة بنقل وتشتيت من تراهم يمثلون خطراً عليها فى أوطانهم، والاستفادة بمن ترى فيهم قوة لها بجلبهم لأوطان أخرى، وأن ظاهرة

السبى قد مارسها اليهود قديماً فيما بينهم أثناء حروبهم ونزاعاتهم.

(٢) عندما فشلت الصهيونية فى تنفيذ أيديولوجياتها بتصفية الشتات عملياً، ابتدعت الأدبيات الصهيونية مصطلحاً جديداً لتبرير ذلك، وهو «المنفى الروحي»، وهو ما يطلق على الشتات اليهودى فى البلدان ذات الوضع المميز والمتعاظم فيها دور اليهود، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لتبرير بقائهم، وعدم هجرتهم.

(٣) تعارض مفهوم الخلاص المسيحاني الديني مع الأيديولوجيات الصهيونية التى دعت إلى تصفية الشتات على غير المفهوم الديني، وانتظار القوة الربانية، وعليه تم تطويع المفهوم سياسياً، وابتداع القيام بمجهود بشرى متمثل فى قيام الدولة والاستيطان، تمهيداً لما سيحدث ربانياً فى المستقبل (حسب المفهوم الدينى المسيحانى).

(٤) أجمع الأدباء الثلاثة فى أعمالهم الروائية، وفى مقابلات صحفية أجريت معهم شخصياً على تحطم فكرة الصهر والاندماج داخل الدولة، وبالتالى فشل الصهيونية فى أهم مقوماتها، والفشل فى تطبيع يهود الشتات، وعدم توفير الأمن والأمان لهم، واستمرار ظاهرة النزوح دون خجل أو إبداء مبررات.

(٥) تحطم فكرة الحق التاريخى لليهود فى فلسطين، حيث إنها كانت مفتوحة على مصراعيها أمامهم، ولم يتجهوا إليها، ورصد تواجدهم بكثافة فى شتى أنحاء الشتات ، وقد برهن على صحة ذلك الخمسون عاماً التى تلت قيام الدولة، ولا يزال هذا الوضع قائماً برفض الهجرة رغم ما يبذل من جهود لهذا الغرض.

(٦) إجماع الأدباء الثلاثة على علو منزلة ثقافة الشتات، مما يدعوهم إلى التمسك بها والفخر بها، مقابل الثقافة فى إسرائيل التى لا تصل إليها أبداً مهما حدث.

(٧) تحطم فكرة الحق الدينى فى فلسطين، حيث إن التوراة تم تلقيها خارج فلسطين، وأن التلمود كتب وأنتج فى الشتات.

(٨) استمرار الصراع بين المتدينين والعلمانيين، واتساع الهوة بين السفاراديم والاشكنازيم، والتمييز بين الطوائف المختلفة، والإحساس بالدونية لدى الطوائف الشرقية، وخاصة لدى رموزها من الكتاب والأدباء، وشعورهم بأنهم مواطنون من

الدرجة الثانية لنعتهم بصفة الشتات (يهودى عراقي ـ سوري ـ مصري .... إلخ). وتدنى حقهم فى تولى المناصب العليا والمرموقة بالجيش والدولة.

(٩) رفض الدولة (إسرائيل) من قبل الشباب الشتاتى، وانتقاد توجهاتها وحروبها مع جيرانها، وعدم الرغبة حتى فى زيارتها، فهي في نظرهم كيان غير طبيعى.

(١٠) تنامى دور المتدينين والمتشددين داخل صفوف الجيش الإسرائيلي، والسعي لتولى القيادات والاستحواذ على رتب الضباط، على عكس ما كان معروفاً من قبل، وهو السعى للإعفاء من الخدمة العسكرية، وهذا الاتجاه سيكون له أثره فى قرارات إسرائيل بالنسبة للصراع العربى ـ الإسرائيلي، والانسحاب من الأراضى المحتلة.

(١١) أصبحت الحروب الإسرائيلية ضرورة حياتية، لأنها الحالة الوحيدة التى يتم فيها الإجماع العام والتوحد أمام الخطر المتصور والمتوقع.

(١٢) التلويح الصهيونى بكون إسرائيل دولة صغيرة ومحاصرة بين ملايين العرب والمسلمين غير الراغبين فى وجودها، واحتمال تعرضها للخطر ، ومن هنا يأتى تبرير امتلاكها للقوى النووية، وممارسة الإرهاب ضد جيرانها والفلسطينيين، وممارسة أساليب نازية ضدهم.

(١٣) التوجه الدائم نحو الشتات الغربى لجلب الدعم المادى والمعنوى لإسرائيل، وتوجيه السياسات الغربية والأمريكية ضد دول الجوار لإضعاف تلك الدول لصالح إسرائيل.

(١٤) رؤية جديدة لمعسكرات النازية من خلال أديب عايشها ورصدها فى شبابه، وعبَّر عنها فى إنتاجه، حيث يرى أهارون أبيلفيد أن هذه المعسكرات كانت ضرورة لازمت الحرب العالمية، ولم تكن قاصرة على اليهود وحدهم، وأن زيادة عدد الضحايا اليهود يرجع إلى الأحوال المعيشية القاسية داخل تلك المعسكرات، وضعف البنية الجسدية لليهود، وعدم اعتيادهم الأعمال الشاقة مما ضاعف من عدد الضحايا، ولم يأت ذكر لأية أفران غاز أو خلافه.

(١٥) رصد البحث توجه الناجين من معسكرات النازية إلى دول شتات أخرى،

وليس لفلسطين.

(١٦) رصد البحث إيجابيات لـدول الشـتات، وخاصـة ألمانيـا فى مسـاعدة بعـض اليهود على الهرب والنجاة، ومساعدة بعض اليهود لرجال النازية ضد بنى دينهم اليهود، وأنه كان هناك منهم من هو أكثر نازية من الألمان.

(١٧) رصد البحث الانتقاد الموجه لرموز الصهيونية وروادها الأوائل، وأسلوبهم في قيام الدولة، مما جلب الكراهية لليهود فى شتاتهم، وفى إسرائيل.

(١٨) استمرار الشـتات اليهـودي في مواطنـه، وخاصـة الـدول الغربيـة والولايـات المتحدة الأمريكية، مع استمرار الدعم لإسرائيل، واستمرار حالة النزوح منها والشتات بين الدول، على الرغم من تأكيد الصهيونية وإلحاحها على وضع فلسطين كمركز لليهود.



المراجع

أولاً: المراجع العربية:

إدريس، محمد جلاء (دكتور): مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الإسرائيلى المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٣م.

أبو صبيح، عمران (دكتور) : الهجرة اليهودية حقائق وأرقام ١٨٨٢ –١٩٩٠، دار الجليل للنشر والدارسات والأبحاث الفلسطينية، عمان ١٩٩١م.

البحراوى، إبراهيم (دكتور) : الأدب الصهيونى بين حربين حزيران ٦٧ تشرين ١٩٧٣ الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت – لبنان ١٩٧٧.

الحفنى، عبد المنعم (دكتور): عالم بلا يهود، دراسة في المشكلة اليهودية وكتابات لماركس، وسارتر وتشمبرلين وسيجموند فرويد ومارتن بوبر، وول ديورانت وآخرين، دار الرشاد، القاهرة ١٩٩٢ م.

الحلو، انجلينا : عوامل تكوين إسرائيل، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٨٧م.

الزرو، صلاح (باحث) : المتدينون في المجتمع الإسرائيلى رابطة الجامعيين، فلسطين، الخليل ١٩٩٠م.

السعد ، جودت : الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ١٩٨٨م .

السقاف، أبكار (باحثة) : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م .

الشامي، رشاد (دكتور) : تفكيك الصهيونية فى الأدب الإسرائيلى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٣م.

موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠٢.

إشكالية الهوية في إسرائيل، **عالم المعرفة** (٢٤٤)، الكويت ١٩٩٧ .

القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، **عالم المعرفة** (١٨٦) ١٩٩٤.

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ط٢، دار الزهراء للنشر، القاهرة ١٩٩١.

عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،القاهرة ١٩٩٠.

تطور وخصائص اللغة العبرية القديمة ـ الوسيطة ـ الحديثة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٨م.

المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): اليهود فى عقل هؤلاء، سلسلة **اقرأ رقم** (٦٣٠)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨.

الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧م.

أسرار العقل الصهيونى، دار الحسام، القاهرة ١٩٩٦ .

الاستعمار الصهيونى وتطبيع الشخصية اليهودية، بيروت ١٩٩٠ .

الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، المطبعة الفنية، القاهرة ١٩٨٩ .

المسيرى، صبرى جريس، وآخرون : دليل إسرائيل العام، مؤسسة الدراسات

الفلسطينية بيروت ١٩٩٦ .

الورقى، السعيد (دكتور)، كسبر، محمود (دكتور) : في علم الاجتماع الأدبى، الأدب بين النقد الأدبى وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٩٠ .

بدر، جمال مرسى (دكتور) : التناقضات في المجتمع الإسرائيلى تقارير وتعليقات، السياسة الدولية، السياسة الدولية (٣٢) ، ١٩٧٣م .

برافز، موشيه (دكتور): حدود أرض إسرائيل في الماضى والحاضر والمستقبل، الجوانب السياسية والجغرافية، وجهة نظر إسرائيلية ١٩٤٨-٦٧-٧٣-٨٢ ، ترجمة بدر عقيلى، دار الجليل – عمان – الأردن ١٩٩٠م.

جارودى، رجاء : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة عن الفرنسية قسم الترجمة بدار الغد العربى، ط١ ، دار لغد العربى، القاهرة ١٩٩٦م.

جريس، صبرى : اليمين الصهيونى، نشأة وعقيدة وسياسة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث بيروت ١٩٧٨ .

حسنين، فؤاد على (دكتور): المجتمع الإسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٩٧م.

حفنى، قدرى (دكتور): الإسرائيليون، من هم؟ دراسة نفسية ، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٩م.

راضى، أشرف : الصراع الطائفى في المجتمع الصهيونى ومستقبله كتاب قضايا فكرية، المجلد السابع، القاهرة ١٩٨٨ .

شاش، طاهر : التطرف الإسرائيلى جذوره وحصاده، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧ .

شريف، حسين : المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠-١٩٩٥ ، الجزء الأول من العهد القديم، إلى قيام الدولة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

ظاظا، حسن (دكتور) : الفكر الدينى اليهودى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة ١٩٧٧م.

ظاظا، حسن (دكتور) وآخرون : الصهيونية العالمية وإسرائيل، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، القاهرة ١٩٧١م.

عبد المجيد، وحيد : اليهود العرب في إسرائيل، احتمالات العودة واتجاهاتها، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام – القاهرة ١٩٧٨م.

عبد الرحمن، أسعد (دكتور): رحلة التوسع الصهيونى من مشروع وطن يهودى إلى إقامة إمبراطورية إسرائيلية، كتاب العربى (الفلسطينيون من الاقتلاع حتى المقاومة) الكتاب (١٩)، الكويت، إبريل ١٩٨٨م.

عجاج، أسامة : الوجه الآخر للسلام، المفاوضات متعددة الأطراف، توزيع الأهرام، القاهرة ١٩٩٦ .

عز الدين، جلال الدين : ظاهرة ما بعد الصهيونية، الأبعاد والمضامين، أمتى في العالم حولية قضايا العالم الإسلامى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة ١٩٩٩م.

عوض، رمسيس (دكتور) : الهولوكست بين الإنكار والتأكيد، كتاب الهلال، (٦٠٠)، دار الهلال، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٠م.

فراج، على مسعد طه : إسرائيل إلى أين ؟ دراسة في فكر وتاريخ إسرائيل ومصير دولتهم الحالية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة ١٩٩٩م.

فهمى، وليم : الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م.

كيوان، مأمون : اليهود فى الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، عمان ١٩٩٦م.

لانداو، ديفيد : الأصولية اليهودية، العقيدة والقوة، ترجمة: مجدى عبد الحكيم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٤م.

ليف، حاقان : فصول من أدب يهود الشرق، القدس ١٩٨٦م.

ليون، إبراهام : المفهوم المادى للمسألة اليهودية ، تقديم أرنست مندل، تعقيب: مكسيم رود لسون وناتان ونتشكوك، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٣.

محمد، عبد العليم (دكتور): الانتخابات الإسرائيلية، الكنيست الرابعة عشرة ١٩٩٦م ومستقبل التسوية، مركز البحوث والدراسات السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٦.

محمد ، فريج غازى : النشاط السرى اليهودى فى الفكر والممارسة، ط١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان١٩٩٠م.

مناحم، ناحوم : توترات وتفرقة طائفية في إسرائيل (ملاحظات اجتماعية تاريخية)، رمات جان، مطبعة احدوت يولى، تل أبيب ١٩٨٣م.

مهران، محمد بيومى (دكتور) : بنو إسرائيل، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى عام ١٣٥م، جـ٢، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ١٩٩٩م.

ناظم، منى (دكتورة): المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الإسرائيلية، دار الهلال، القاهرة ١٩٨٦م.

هنداوى، سامى (دكتور)، صايغ، يوسف (دكتور): ملف القضية الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٨.

يس، السيد : الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى، مركز الدارسات السياسية والإستراتيجية الأهرام، القاهرة ١٩٧٣.

يفسييف، يفجينى : الفاشية في ظل النجمة السداسية دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧م.

ثانياً : المراجع المترجمة :

أبا إيبان : الدبلوماسية الجديدة، الشؤون الدولية في العصر الحديث الجزء الأول، لاندوم هاوس نيويورك. طبعة أولى كتب مترجمة (٧٩٧)، الهيئة العامة للاستعلامات،

القاهرة – ١٩٨٣م.

جديد ، فؤاد (مترجم): إسرائيل الثانية، المشكلة السفارادية، مجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة (فؤاد جديد)، منشورات فلسطين المحتلة مطابع الكرمل الحديثة، بيروت لبنان ١٩٨١م .

حتى، فيليب (دكتور) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، ط٢، بيروت ١٩٥٨م.

دومب، ديزا : صورة العربى في الأدب اليهودى، ترجمة عارف توفيق عطارى، ط١، دار الجليل للنشر – عمان ١٩٨٥م.

شابيرا، أنيتا : الصهيونية الدينية، مدخل تاريخى ترجمة أ.د/ محمد محمود أبو غدير، تقدم أ.د/ محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية (٣)، جامعة القاهرة ١٩٩٥م.

طومسون، توماس .ل : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى، ترجمة: صالح على سوداح، ط١ ، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٩٥م .

عفرون، بوعز : الحساب القومى، ترجمة ودراسة: دكتور محمد محمود أبو غدير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة ١٩٩٥م.

لافين، جون : العقلية الإسرائيلية، كتب مترجمة (٧٥٠)، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٧٩م.

لاندو، ديفيد : الأصولية اليهودية، العقيدة والعودة، ترجمة: مجدى عبد الكريم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٤م.

ميلمان، يوس : الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة:مالك فاضل البديرى الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ١٩٩٣م.

هركابى، يهوشفاط : قرارات إسرائيل المصيرية، ترجمة: منيه سمارة ومحمد الطاهر، منشورات دار الكرمل، عمان، الأردن ١٩٩٠ .

***

ثالثاً: الدراسات والمقالات:

الدويك، عبد الغفار : تصاعد التيار الديني في الجيش الإسرائيلي، **السياسة الدولية** (١٤٤)،٢٠٠١م.

المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): ماثة عام على المشروع الصهيوني (٩) أرض عطشى للدماء، الأزمة الصهيونية من منظور صهيوني، مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية، دراسات الأهرام، القاهرة ١٩٩٧م.

أنجلر، يسرائيل : المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل، آراء في المسألة لأكاديميين وحاخامات وكتاب، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (٣٠)، بيروت ١٩٩٧م.

بورات، يهوشواع : رغم أنفهم ورغم غضبهم (مجلة بولوتيكا ١٩٨٩م) **مختارات إسرائيلية** (٥٣- ٣)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام، القاهرة ١٩٩٩م.

جرينفالد، إيتحار : ثقافة التقاطب بين مدينتين، القدس وتل أبيب، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (٣٠) بيروت١٩٩٧م.

حنفى، سارى : مساهمة الشتات في الاستثمار والمساعدات في الأراضى الفلسطينية، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، (٤٠)، ١٩٩٩م.

بين عالمين، رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات وبناء الكيان الفلسطيني، ط٢، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٩٧م.

رافع، شوقى : شهادات إسرائيلية، مجتمع يضج بالعنصرية والعنف، **العربى** (٤٢٠)، ١٩٩٣م.

عارودى، نصير : دراسات إسرائيل ويهود الشتات، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (٣٨)، لبنان١٩٩٩م.

عامى، شلومو : المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل آراء في المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب، **مجلة الدراسات الفلسطينية عدد** (٣٠) ١٩٩٧م.

عايد، خالد : إسرائيليات - المتدينون والعلمانيون في إسرائيل، جدل الوحدة والصراع، **مجلة الدارسات الفلسطينية عدد (٣٠) ١٩٩٧م.**

عتريس، طلال : قضايا إسرائيل والصهيونية، مجلة شئون الأوسط (٧٣)، ١٩٩٨م.

هليفى، حافاعتسيونى : المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل آراء في المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب، إعداد: غيريث همثيرى، **مجلة الدارسات الفلسطينية (٣٠) ١٩٩٧م.**

يشعياهو، ليفمان : دراسة الدين والديمقراطية بإسرائيل (يديعوت أحرونوت ٦ يوليو ١٩٨٩م، مجلة زمانيم خريف ١٩٩٤)، **مختارات إسرائيلية (٥٣) ١٩٩٩م.**

رابعاً : الرسائل العلمية :

جوهر، هانى عبد العزيز السيد : ظاهرة الخروج اليهودى من فلسطين فى العصور القديمة، دراسة تاريخية تحليلية للعوامل والنتائج، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤، رسالة غير منشورة.

سليمان، عبد الرازق سيد : الواقعية فى النثر العبرى الحديث من خلال الإنتاج الروائى لأهارون ميجد، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦، غير منشورة.

علام، عمرو عبد العلى: اتجاهات نقد الصهيونية فى الرواية العبرية المعاصرة خلال الثمانينيات والتسعينيات، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣م، غير منشورة.

الكردى، شهاب أحمد : إشكالية الاندماج الطائفى فى بعض الأعمال الروائية العبرية للأدباء اليهود العراقيين ١٩٤٨ - ١٩٩٠م.رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، غير منشورة.

Adier, Cyrus American inercession behaif jews in the diplomatic correspondence of the united states 1840 – 1938

Author Ahron appelfeld Talks about his favorite novelists writers on my mind. Jerusalem post 1998.

Bercer. J Asociogram of the Jewish Diaspora 1973. Diaspora.

Desmond stewart Theodor

Diaspora The post-biblica history of the Jews werner keller, Pitman publishing,Translated from the German by Richard and Clara Winston 1963.

Edin-Vivian (translated form hebrew) Aharon megged (1920) Contemporary authors autobiography series volume 3 1989.

Eisen Arnoldm Salut 1986.

Frank . Waldo The jew in our day 1944 Israel and diaapora Jewry 1991.

The Jewish communities of the world 1989.

The Jewish communities of the world 1971.

The Jewish communities of the world 1959.

The Jewish communities of the world 1963.

Judaismo contemporaneo 1986.

Frank lin . d. scott .World immigration in modern times USA1968 .ISRAEL imelting pot

الهجرة العالمية في العصور الحديثة بوتقة الصهر الإسرائيلية –هال ليرمان عرض د.على البنا. السياسة الدولية (٣٢) القاهرة أبريل ١٩٧٣

Jaco, Lowis Principles of the Jewish. Faith an analytical study. London . 1964.

Jews in the diplomatic correspondence of the united states 1906.

Joseph Frankel paul Friedmanis Midian project (Herzl year book) N- Y : 1962

Kleiman Ephraim Jewish and palestinian diaspora attitudes to philanthropy and investment 1996.

Kohn, Hans Zion and the Jewish national idea reprinted text ually from the menorah journal 1958 . collected essays on Palestine inter national seminar on pal 1965.

Kol. Sakhal Kolsachal.s critique of rabbinical tradition 1988.

Linda, Btgley The maintenance and transmission of ethnk identity astudy of four gromps of rtligious Jewei in israel lanhamimd university press of America . 1995

Macdowall. David The Palestinians: The road to Nation hood. London. Minority Rights publications 1995

Marienstras Richard Etre un peuple en Diaspora 1975.

Mendelsohn Ezra On modern Jewish politics 1993

Mendlsohn,. Ezra On modern Jewish politics New York oxford university press 1993.

إسـرائيل Israel and Palestine in the post Zionist era Omri, Benjamin

وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية .الهيئة العام للاستعلامات كتب مترجمه ٧٦٥ . مطابع الأهرام التجارية القاهرة .

Robin Cohen Diasporas and nation state from victims to chauengers international . affairs . vol 72 No 3 . 1996 .

Sachar Howard :Diaspor,Scattered among the nations 1993.

Sarym,. Smith Zionismt the dream and the reality . ajewish critqut New York barnes and nobel books 1974.

Strizower. Shifra Exotic Jewish communities 1962.

www Britannica . com/ eb/ article :?Eu= 30783 encyclopaedia Britannica. Diaspora 1-1 of 2

Zionist Characters. Zionist :Revisionism from Jabotinsky to Shamir. Author lenni brennerTranslated by/ Dar El Jaleel, Jordon. 1990



מקורות:

- אפלפלד, אהרון: מכרה הכרח, כתר, ירושלים 1997.
- מגד, אהרון: פוגלמן, עם עובד, תל- אביב, 1987 .
- מיכאל, סמי: ויקטוריה, הד« 16, עם עובד, תל- אביב, 1996.

ספרים ומאמרים:

אטינגר, שמואל תולדות עם ישראל בעת החדשה, כרך שלישי, דביר, תל אביב, 1969.

איזן, ארנולד גלות, עם עובד, תל אביב 1987.

בסר, יעקב עם סמי מיכאל, מעריב, מוסף השבוע, 1993.

שיחות השבוע עם אהרון מגד, הגל החדש בספרות, מנותק מן הרצף הקודם, על המשמר, 1994.

אהרון אפלפלד, כשאתה רואה את המוות השפה מצטמצמת, מכרה הכרח, עתון77, 1997.

ברט, עמוס מכרה של הכרח או מחצבי אנוש, עמודים, יריחון הקובץ הדתי, 1997.

בלבן, אברהם מאחורי הגדרות, אהרון אפלפלד, מכרה הכרח, ידיעות אחרונות, 1997.

בן עזר, איהוד ויקטוריה היא ניצחון, ויקטוריה מאת סמי מיכאל 1993, הארץ 1997.

בורנשטיין, דרור הארון של אפלפלד , מכרה הכרח, , הארץ 1997.

באומל, יהודית לגעת באור, לגעת בחושך, מכרה הכרח, אהרון אפלפלד, הארץ 1998.

גוטמן, ישראל יהדות זמננו, שנתון לעיתון ולמחקרף כרך«א, האוניברסיטה העברית בירושלים, המכון ליהות זמננו, הוצאת ספרים, ירושלים 1984.

כרך«ד, ירושלים 1988.

דינור, בן ציון תולדות ישראל, ישראל בגלות, כרך«א, מימי כיבוש א«י על ידי הערבים עד מסעות הצלב, דביר, תל אביב 1978.

יער, אפרים ואחרים דפוסי החברה בישראל מגמות, ליכוד ופריד, האוניברסיטה הפתוחה, (סמי מיכאל שווים ושווים יותר) תל אביב 1983.

הצדעה לספרות הישראלית, תל אביב 1991.

העט כשופר פוליטי, יחד, תל אביב 1992.

זהויות בספרות הישראלית, יחד, תל אביב 1994.
הצבר חוזר אל הזהות היהודית , אהרון מגד, פוגלמן, ידיעות אחרונות, 1997.
כהן, אדיר סופרים עבריים בני זמננו, מזרח, תל אביב 1979.
מלחמות ששת הימים בראי ספרותנו ורשימות, מאזניים 5- 6 , תל אביב 1972.
מגד, איל הוציאו על כונו חוזה, אהרון ואיל מגד, יחסים אחרים, מעריב השבוע, 1991.
נגב, אילת האהבה הצילה אותי, אהרון אפלפלד, מכרה הקרח, ידיעות אחרונות, 1997.
פירטולוגי, יובל יחסים מוכלים, חברה ומרחב בסכסוך הישראלי פלסטיני, דביר, תל אביב 1996.
צוקרמן, יצחק; בסוק, משה ספר מלחמות הגיטאות בין החומות במחנות ביערות, הוצאת הקבוץ המאוד, בית לוחמי הגטאות, תל אביב 1954.
ציר, יעקב דיוקנה של התפוצות, כתר, ירושלים 1975.
ריקין, אורי עולם של קודים, דרווינסטיים נוקשים, סמי מיכאל, ויקטוריה, מעריב, 1993.
רובינשטיין, אמנון מהרצל עד רבין, יהלאה מאה שנות ציונית, הוצאת שוקן, ירושלים 1997.
שגב, תום המילון השביעי, הישראלים והשואה, כתר, ירושלים 1998.
שטאל, אברהם עדות ישראל, פרקי ספרות הוי והיסטוריה, כרך«א, עם עובד, תל אביב 1978.
כרך«ב, 1979.
שקד, גרשון אהרון אפלפלד , סדרת צד החפר.
בכל דור ודור חייב אדם לראות את עצמו, ספרים , הארץ 1994.
הספרות העברית 1880- 1980, כרך«ד, בחבלי הזמן.
הריאליזם הישראלי 1938- 1980 , הקבוץ המאוחד, כתר, 1993.
שלף, ליאון מרות המשפט ומהות המשטר, דביר, תל אביב 1996.
שמיר, משה זרקור לעומק, זהותו היהודית, מורשת ואתגר, תל אביב 1996.

האינציקלופידיות ומלונים:

האינציקלופידיה העברית כללית יהודית, א«י, מהדורה שנייה, תל אביב 1972.
אינציקלופידיה יהודית, מסדה, ירושלים 1970.
האינציקלופידיה הכללית, מסדה, ירושלים 1960.
מלון התנ«ך, עברית וארמית , יזרעאל , תל אביב 1977.
מלון עברי ערבי, דווד שגב, שוקן, ירושלים 1990.

Abstract

This research studies and analyses three novels about Jewish Diaspora its issues the relation of that to Israelis and the role of Jewish Diaspora in reinforcing Israel and its existence.

While Aharon Megged's "Foeglman" (1987)and Aharon Appelfeld's "the Ice rine" (1997) had been tackled as examples of the western Jewish Diaspora had been tackled by studying and analyzing the Iraqi novelist Sami Mikhael's "Victoria" (1993).

This research consists of:

***Section one:** The concept of Jewish Diaspora in Idiomatic, Christian and Zionist perspective .*

***Chap. One**: Idiomatic and historical perspective of the concept of the Jewish Diaspora.*

Chap. Two: Concept of the Jewish Diaspora in light of the Jewish Christian perspective and politicizing it.

***Chap. three:** the concept of Jewish Diaspora in the Zionist and Israeli perspectives.*

Chapter consists two topics:

***Topic one:** Zionist prospects of the Jewish Diaspora.*

***Topic two:** relation of Jewish Diaspora to Israel in light of the Arab Israeli wars.*

Section two: the concept of Jewish Diaspora in the contemporary Hebrew novel.

Chap. One: *The study's novelists and their stance towards the issues of Jewish Diaspora and state of Israel.*

Chap. Two: *Jewish Diaspora and indications of the failure of Zionism in the contemporary Hebrew novel.*

Chap. Three: *literary perception of the Jewish Diaspora in light of the Nazi events.*

Chap. Four: *Jewish Diaspora between rejection and estimation in the contemporary Hebrew novel.*

Chapter consists two topics:

Topic one: *rejection of Jewish Diaspora in the contemporary Hebrew novel.*

Topic two: *estimation of Jewish Diaspora in the contemporary Hebrew novel.*



المؤلف في سطور

* دكتور عبد الرازق سليمان .

* ليسانس لغات شرقية (تخصص لغة عبرية) والإلمام باللغات الفارسية والتركية وقواعد اللغة السريانية – دراسات تمهيدية للماجستير – كلية الآداب – جامعة عين شمس .

* ماجستير في واقعية الأدب الإسرائيلي المعاصر بتقدير ممتاز .

* دراسات حرة بالخارج في النقد الأدبي .

* دكتوراه في الأدب الإسرائيلي المعاصر (موضوع الشتات اليهودي ودوره في دعم وجود إسرائيل) بتقدير مرتبة الشرف.

* دراسات حرة بالولايات المتحدة الأمريكية في مجال التدريس والتقييم وتفعيل البحوث العلمية .

* دراسات البيدش (لغة اليهود بالشتات) والإلمام باللغة الألمانية والفرنسية وإجادة اللغة الإنجليزية بامتياز .

* عضو جمعية خريجي اللغات الشرقية وجمعية المترجمين .

* عدة مقالات ودراسات وبحوث حول الشأن الإسرائيلي (المستوطنات – والبناء بالقدس الشرقية – قضية السلاح النووي – الصراعات الطائفية بإسرائيل – الحركات اليهودية الرافضة للدولة – مؤامرات تقسيم الوطن العربي) .

* مدرس اللغة العبرية وآدابها والدراسات الإسرائيلية المعاصرة.

* رئيس شعبة البيانات والمعلومات بمركز الدراسات الإسرائيلية وعضو مجلس الإدارة معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق .

* مدير عام مجلس الدفاع الوطني سابقًا .

* عضو المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية .

* له كتاب بعنوان : (جريمة اغتيال الأسري المصريين – وثيقة أدبية إسرائيلية ووثائق أخرى تؤكد نصر أكتوبر ١٩٧٣) .

* حاصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الثانية ٢٠١٠م.

* له تعليق ونقد لعدة دراسات صادرة عن مراكز بحثية إسرائيلية:

- البدائل الإقليمية لحل الدولتين ، مركز بيجين – السادات للدراسات الإستراتيجية جامعة باد إيلان .

- إسرائيل : رصيد إستراتيجي للولايات المتحدة معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى .

- تقرير المسح الإستراتيجي لإسرائيل ٢٠١٠م، معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي .

- عام على الربيع العربي – التداعيات الدولية والإقليمية معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي .



الفهرس